

سفر إشعياء

القمص تادرس يعقوب ملطي

مقدمة فى سفر إشعياء : دعى إشعياء : " النبى الأنجيلى " ، ودعى سفره :

" إنجيل إشعياء " أو " الإنجيل الخامس " . من يقرأه يظن أنه أمام أحد أسفار العهد الجديد ، وأن الكاتب أشبه بشاهد عيان لحياة السيد المسيح وعمله الكفارى خاصة " الصليب " ؛ يرى صورة حية للفداء وأسراره الإلهية العميقة .

قال عنه أحد الآباء : [إنه أكثر من أى كتاب نبوى آخر ، يحوى أكمل النبوات المسمانية التى وجدت فى العهد القديم ، يشهد بطريقة أكيدة عن آلام المسيح وما يتبعها من أمجاد]

اهتم به آباء الكنيسة خاصة فى حوارهم مع غير المؤمنين لأجل ما تضمنه من نبوات كثيرة وصريحة عن شخص السيد المسيح وعمله الفدائى وكنيسته وعطية روحه القدوس الخ

+ + +

الإصحاح الأول [1 - 9]

المحاكمة العظمى

يفتح هذا السفر بإعلان الله عن محاكمة شعبه ، فيها يقف الله مدعيا وقاضيا . لا يريد أن يحكم عليهم دون إعطائهم فرصة للدفاع عن أنفسهم .

يستدعى الطبيعة الجامدة والأحداث الجارية حتى القضاة الظالمين شهودا ضد شعبه .

يعلن الإتهام وفى نفس الوقت يقدم فرصة للحوار ويفتح باب العفو إن رجعوا إليه بالتوبة ، يقف قاضيا وديانا وفى نفس الوقت طبيبا ومخلصا . يفتح ذراعيه للنفوس الساقطة .

(1) مقدمة السفر

" رؤيا إشعياء بن أموص الى رآها على يهوذا وأورليم فى أيام عزيا ويوثام وأحاز وحزقيا ملوك يهوذا " إش 1 : 1

تعتبر هذه العبارة مقدمة للسفر كله الذى يضم مجموعة رؤى ونبوات أعلنت لإشعياء فى ظروف مختلفة أيام عزيا العظيم ويوثام الملك الصالح وأحاز بعهد المظلم وحزقيا ومنسى الخ لكنه يدعوها جميعا " رؤيا " ، لأنها وإن كانت رؤى متباينة إنما تمثل وحدة واحدة ، لها هدف واحد هو إعلان الله عن فكره ومشينته وخطته الخلاصية من أجل بنيان الجماعة المقدسة أو لتقديس البشرية المؤمنة به .

هذه الرؤى تمس حياة كل إنسان يشناق نحو خلاص نفسه وتمتعه بالشركة مع الله .

(2) استدعاء الطبيعة :

" إسمعى أيتها السموات وأصغى أيتها الأرض لأن الرب يتكلم : ربيت بنين ونشأتهم . أما هم فعصوا على " إش 1 : 2

يبدأ السفر بمحاكمة عظمى طرفاها الله والإنسان ، تستدعى فيها الطبيعة الجامدة – السماء والأرض – لتشهد هذه المحاكمة

ربما استدعى إشعياء النبي الطبيعة كما سبق ففعل موسى النبي [راجع تث 32 : 1] . كأن إشعياء يؤكد لشعبه أن ما ينطق به إنما هو امتداد لكلمات موسى النبي الذى يعتز به كل يهودى .

الله لا يحمل مشاعر إنسانية لكنه ليس كائنًا جامدا ، إنما هو " الحب " عينه ، فريد فى حبه لخليقته السماوية والأرضية ، خاصة حبه نحو الإنسان . لهذا إذ يتحدث معنا نحن البشر يحدثنا بلغتنا البشرية معبرا عن حبه كما بمشاعر إنسانية حتى يمكننا التلامس معه واختبار الاتحاد والشركة معه .

يتوقع الله فينا أن نحمل روح البنوة المتجاوبة مع أبوة الله الفريدة الحانية التى كلفته الكثير .

يعاتب الله أولاده من أجل عصيانهم ، فإن عصيان البنين أمر من عصيان الأجراء والعبيد ، جراحات الأحباء خاصة البنين أقسى من تلك التى يسببها الأعداء .

(3) استدعاء الحيوانات :

" الثور يعرف قانيه ، والحمار معلف صاحبه ، أما إسرائيل فلا يعرف ، شعبي لا يفهم " إش 1 : 3

إن كان الله قد دعى إسرائيل ابنه البكر (خر 4 : 22) ، فكان يليق بالإبن أن يعرف أباه ويدرك أسرارهِ ويتجاوب مع مقاصده وإرادته ، لكن الإنسان خلال عصيانه انحط منحذرا إلى ما هو أدنى من الحيوانات العجماوات ، إذا كان الإنسان قد انحط إلى ما هو أدنى من الحيوان ، فأخذ السيد المسيح طبيعتنا وصعد إلى السماوات ليرفع طبيعتنا إلى ما هو سماوى

(4) وصف لحال الشعب :

أولا : وصفهم بسبع سمات فى إش 1 : 4 – الثلاثة تشير إلى خطايا النفس الداخلية التى على صورة الثالوث ، والأربعة تشير إلى خطايا الجسد الظاهرة .

وكان الشعب قد تدنس فى الداخل والخارج ، بخطايا خفية وظاهرة ، فى الجسد والروح .

السمات الأربع الأولى هنا تشير إلى الخطايا الجسدية الظاهرة : " ويل للأمة الخاطئة ، الشعب الثقيل الإثم ، نسل فاعلى الشر ، أولاد مفسدين " ؛ والسمات الثلاثة الأخيرة تمثل الخطايا الداخلية : " تركوا الرب ، استهانوا بقدوس إسرائيل ، ارتدوا إلى الوراء " .

رقم 7 يشير إلى " التمام " ، وكان خطاياهم قد بلغت إلى تمام الحد .

" علام تضربون بعد ؟! تزدادون زيغانا ، كل الرأس مريض وكل القلب سقيم ؛ من أسفل القدم إلى الرأس ، ليس فيه صحة بل جرح وإحباط ، وضربة طرية لم تعصر ولم تلين بالزيت " إش 1 : 5 ، 6 .

يعلن الله أن هذا الشعب قد رفض النبوة لله لذا لم يعد مستحقا أن يكون موضع اهتمام الله وتأديبه . فقد سبق فأدبهم كأبناء له لكنهم ازدادوا زيغانا ، لذا يود أن يوقف التأديبات الأبوية تاركا إياهم لنوال ثمر فسادهم الطبيعى .

" بلادكم خربة ، مدنكم محرقة بالنار ، أرضكم تأكلها غرباء قدامكم وهى خربة كانقلاب الغرباء ، فبقيت إبنة صهيون كمظلة فى كرم ، كخيمة فى مقناة ، كمدينة محاصرة " إش 1 : 7 ، 8 .

يتحدث النبى هنا عما سيحل بيهودا بعد غزو سنحاريب الأشورى حاسبا ما سيحل بهم فى المستقبل كأنه حاضر ، لأنه أمر حادث لا محالة .

هذا الخراب الذى حل هو علامة على ما أرتكبه يهوذا من آثام ، وحتمية طبيعية لتركهم الله مقدسهم وارتدادهم عنه ، وعدم طاعتهم لصوته .

هكذا كل نفس لا تلتصق بالله مقدسها يحل الخراب بكل مدننها : الجسد والنفس والفكر والقلب مع كل الأحاسيس والمشاعر الخ

وسط هذا الخراب المطبق يجد الله بقية قليلة أمينة تشهد له ، بسببها لم يحطم شعبه الذى فسد ، إذ قيل :

" لولا أن رب الجنود أبقى لنا بقية صغيرة لصرنا مثل سدوم وشابها عمورة " إش 1 : 9 .

لا يهتم الله بكثرة العدد وإنما بالبقية القليلة التى تتقدس له وسط الفساد الذى يحل بالكثيرين .

(5) استدعاء القضاة :

" اسمعوا كلام الرب يا قضاة سدوم ، اصغوا إلى شريعة إلهنا يا شعب عمورة " إش 1 : 10 . فى شجاعة بلا خوف ولا مداينة يدعو إشعيا قضاة الشعب " قضاة سدوم " ويلقب الشعب نفسه " شعب عمورة " ، وذلك من أجل الظلم والفساد الذى أتسم به كل الرؤساء والمرؤوسين .

لا نجد فى كل السفر موقفا واحدا يشعر فيه النبى بالخوف أو الضعف سوى عند رؤيته للسيد المسيح فى مجده (إش 6) ، إذ يخشى إشعيا الله لا الناس .

يرى أن العلاج الوحيد للقضاة كما للشعب هو كلمة الرب وشريعته .

(6) الإتهام : العبادة الشكلية :

الإتهام الموجه إليهم هنا خطير للغاية ؛ فإنه لم ينسب إليهم الإلحاد ولا ممارسة العبادة الوثنية إنما ينسب إليهم الرياء ، يمارسون العبادة لله بدقة شديدة مع حرفية قاتلة ، يقدمون الكثير من الذبائح والتقدمات ويحفظون الأعياد أما قلوبهم فبعيدة عن الله ، وحياتهم فاسدة .

كما قيل لملاك كنيسة اللاودكيين :

" لأنك تقول أنى أنا غنى وقد استغنيت ولا حاجة لى إلى شىء ولست تعلم أنك أنت الشقى والبائس وفقير وأعمى وعريان " رؤ 3 : 17 .

هذا الإتهام أثار آباء الكنيسة للكشف عن غاية العبادة فى حياة الكنيسة سواء فى العهد الجديد أو القديم والإلتزام بعد الإنحراف عن هذه الغاية الإلهية .

يقول : " من طلب هذا من أيديكم أن تدوسوا دورى؟! إش 1 : 12 . فقد أكثروا الدخول فى الهيكل ليقدّموا ذبائح بلا حصر ، فرأهم الله – فى عدم توبتهم – أشبه بالحيوانات التى تدوس بيته وتدنسه ! تحول تقديم الذبائح عن المصالحة مع الله إلى صلب غضب الله .

جاءوا بتقديمات كالبخور الذى يرمز إلى الصلاة ، لكنهم إذ أعطوا الرب القفا لا الوجه (إر 2 : 27) صار بخورهم مكرهة للرب ، لأنه حمل رائحة ريائهم وعدم توبتهم .

(7) دعوة للتوبة :

فضحهم الله أمام أنفسهم مظهرا بشاعة الفساد الذى حل بهم دون أن يحطمهم باليأس أو يجرح نفوسهم إنما بالحب الأبوى السماوى قدم لهم العلاج ليستتر عليهم ويردهم إلى طبيعتهم الصالحة التى خلقهم عليها . هذا العلاج هو التوبة النابعة عن الإيمان والممتزجة بالحب ، أما خطواتها فهى :

(أ) الأغتسال : بقوله " اغتسلوا .. تنقوا " إش 1 : 16 لا يقصد التطهيرات الناموسية ، لأنه فى اتهامه لهم يطلب ألا يقفوا عند الشكل الخارجى للعبادة ، إنما عنى اغتسال المعمودية الذى فيه نخلع الإنسان العتيق لنحمل فينا الإنسان الجديد الذى على صورة خالقنا .

هذا ما عناه الرب بقوله للنفس البشرية " حممتك بالماء " حز 16 : 9 ، إذ جاء فى نفس السفر " وأرش عليكم ماء طاهرا فتطهرون من كل نجاساتكم " حز 36 : 25 ، 26 .

(ب) " اعزلوا شر أفعالكم من أمام عيني الرب .. كفوا عن فعل الشر " إش 1 : 16 . إذ ينال الإنسان النقاوة التى بها يعاين الله يقدر أن يميز أعمال الشر عن العمل الإلهي ، فيرفض كل ما هو شر ، حتى لا يعرج بين الطريقين : الله والخطية .

(ج) " تعلموا فعل الخير " إش 1 : 17 .. لا يكفى الجانب السلبي ، أى نزع كل ما هو شر والكف عنه دائما وإنما هنا يوجد التزام بالعمل الإيجابى ، نحمل سمة المسيح الذى هو " الحق " فينا . لهذا يوصينا " اطلبوا الحق ، انصفوا المظلوم ، اقضوا لليتيم ، حاموا عن الأرملة " . هذه هى التوبة الإيجابية التى خلالها نرجع إلى الله لا لنكف عن الشر واطلم فحسب وإنما لنمد أيدينا بالحب العملى والرحمة ، خاصة تجاه العاجزين والأرامل .

(د) الحب العملى تجاه المتألمين ، تجعل الله يفتح مراحمه أمامنا نحن الخطاة ، قائلا :

" هلم نتحاجج يقول الرب : إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج ، وإن كانت كالدودى تصير كالصوف " إش 1 : 18 .

هذه دعوة صريحة تعلن عن شوق الله نحو خلاص كل إنسان يقبل الشركة مع القدوس خلال الصليب .

الله يطلب من الإنسان أن يدخل معه فى حوار .. ليت له لا ييأس أحد من نفسه حتى وإن بلغ أقصى الشر ، حتى وإن عبر إلى التعود على صنع الشر ، حتى وإن حمل طبيعة الشر نفسها لا يخف .. عظيمة هى قوة التوبة .

(هـ) تقديس الحرية الإنسانية ، إذ يقول :

" إن شئتم وسمعتكم تأكلون خير الأرض ، وإن أبيتم وتمردتم تؤكلون بالسيف لأن فم الرب تكلم " إش 1 : 19 ، 20 .

يفتح الله أبواب محبته أمام الجميع لكنه لا يلزم أحدا ، فهو يطلب قلب الإنسان كتقدمة اختيارية ، يقدم له الطريق ويهبه إمكانية العمل وفى نفس الوقت يترك له حرية الاختيار .

(8) عتاب من واقع الماضى :

يقارن هنا بين ما كانت عليه أورشليم قبل ما صارت عليه خلال انحرافها وفسادها ، بأسلوب مملوء رثاء وحزنا عميقا .
غشعاء النبي صريح كل الصراحة ، لكنه مملوء حبا وعاطفة !

أ – كانت أورشليم " القرية الأمينة " إش 1 : 21 ، وقد صارت " زانية " يشبهها بالعروس التي كانت مخصصة لعريسها السماوى ، تحفظ وصاياها وتعلن بهاءه ومجده خلال حياتها ، وقد جرت وراء آخر (العبادة الوثنية) فتنجست بزناها الروحي مع محبيها (حز 16 : 25 ، 32 ، 36) – كانت عذراء (إش 37) تتحد مع عريسها واهب القداسة لكنها تركته واتحدت بالرجاسات .

ب – كانت " ملآنة حقا ، كان العدل يبيت فيها ، وأما الآن فالقاتلون " إش 1 : 21 . كانت مسكنا للقدوس الذى هو " الحق " و " العدل " ، يبيت الرب فيها إذ يجد فيها راحته ، لكنها صارت مسكنا للقتلة ، لذا يقول الرب " ليس لإبن الإنسان أين يسند رأسه " مت 8 : 10 ، لو 9 : 58 ، حين تكون مقدسة تقول : " حبيبى لى ، بين ثدىي يبيت " نش 1 : 13 . لكنها متى تنجست يصير قلبها " بين ثدييها " مسكنا للشر .

ج - تسرب الزيف إليها فصارت فضتها زغلا يحمل لمعان الفضة ومنظرها لكنه لا يحمل مادة الفضة ولا قيمتها .. صار خمرها مغشوشا بالماء (إش 1 : 22) يحمل لون الخمر لكنه مغشوش ماء ... هذه صورة عن الإهتمام بشكليات العبادة وحرفية تنفيذ الوصايا بالمظاهر الخارجية دون الإهتمام بالأعماق .

مسيحنا يحول الماء خمر ، أما الشرير فيحول الخمر ماء

د- " رؤساؤك متمردون ولغفاء اللصوص " إش 1 : 23 ، أى يؤكلون اللصوص ويحفظون ثيابهم أثناء السرقة .

يحولون الرعاية إلى سلطة وعناء ، قد لا يسرقون لكنهم يتركون عدو الخير بجنوده يسرقون الشعب ويغتبون قلوبهم وهم غير مباشرين بسبب حبهم للسلطة . يحبون الرشوة والعطايا المادية أو الأدبية ، ولا يباليون بالأيتام والأرامل ، لأن المجد الزمنى شغلهم عن التفكير فيهم . حولوا أورليم " كنيسة المسيح " إلى بيت للظلم والقسوة والعنف .

(9) الديان يتقدم كمخلص :

أمام هذه الصورة البشعة لا يقف الله مكتوف الأيدى ، وإنما يقوم " رب الجنود ، عزيز (قدير) إسرائيل " إش 1 : 24 كقائد للجنود السماوية اعتزت يده بالقوة من أجل خلاص شعبه مما حل بهم .

يلاحظ هنا :

أ – دعى الله بثلاثة ألقاب [السيد " يهوه " ، رب الجنود ، عزيز (قدير) إسرائيل] .

يرى بعض الدارسين أنها إشارة خفية عن الثالوث القدوس .

وحملت أورشليم 3 ألقاب : مدينة العدل ، القرية الأمينة ، صهيون تفدى بالعدل (إش 1 : 28) .

ودعى الأشرار بالألقاب ثلاثة أيضا : المذنبون ، الخطاة ، تاركو الرب (إش 1 : 28) .

ب – يحسب الله من يتلف شعبه حملا ثقيلا (إش 23 : 24) ، فلا يكف عن مقاومة الشر حتى يستريح ويستريح معه شعبه :

" أستريح من خصمائي ، وانتقم من أعدائي " إش 1 : 24 .

تبقى أحشاء الرب تحن على شعبه حتى يحطم الشر !

ج - " ينقى أورشليم من الزغل كما بالبورق (ربما يقصد بوتاسا المعادن) ، إذ يعيد خلقة الطبيعة البشرية ليرد للكنيسة جمالها الأصيل كما بنار الروح القدس المطهر .

إنه ينقينا أيضا بالتأديب ولو ظهر قاسيا كالنار .

د - " وأعيد قضائك كما فى الأول " إش 1 : 26 . إذ يعيد الإنسان إلى كرامته وتعقله كما كان فى بدء خلقته فيكون كقاض حكيم .

هـ - يرد لأورشليم أو للنفس البشرية لقبها : " مدينة العدل القرية الأمانة " إش 1 : 26 .

إذ تصير الكنيسة - الكنيسة الجديدة - مدينة الله - عامود الحق وقاعدته ، العروس الأمانة ليعيسها .

يشبه العالم هنا بالبطمة ، لأن اليهود اعتادوا أن يقيموا عبادة البعل والعشتاروت تحت شجرة البطمة .

يشبه تاركو الرب بالبطمة التى ذبل ورقها ، وبالجنة التى بلا ماء ماء (إش 1 : 29) ، لماذا ؟ خلق الله الإنسان كجنة يجد الرب فيها ثمرته حلوة فى الداخل .

كل ما يحمله الإنسان من طاقات وأمكانيات وعواطف وغرائز هى عطايا إلهية أشبه بأشجار مغروسة فى جنة يرويهها ماء الروح القدس فتثمر بركات لا حصر لها . أما إن حمت منه الروح فتجف وتحق بالنار ، وتتحول كما إلى مشاقة (نسالة كتان) (إش 1 : 31) ، أى ما تبقى من كتان بعد مشطه ليستخدم وقيدا للنار .

+ + +

إشعيا - الإصحاح الثانى

جبل بيت الرب

فى الأصحاحات 2 - 4 ركز إشعيا أنظاره على أورشليم - جبل بيت الرب - مع أنه لم يفارقها لكن حنينه إليها وشوقه إلى تقديسها لا يقل عن ذات حنين أنبياء السبى الذين عاشوا بالجسد فى بابل أما قلوبهم فتعلقت بمدينة الله التى أصابها الخراب .

(1) مقدمة :

" الأمور التى رآها إشعيا بن أموص من جهة يهوذا وأورشليم " إش 2 : 1 . كان قلب إشعيا مشغولا بشعب الله (يهوذا) وبالمدينة المقدسة (أورشليم) ، فقد امتلأ حزنا على ما بلغ إليه الحال ، رأى شعبا ضربه الفساد ، ومدينة تهدم هيكلها الروحي فأنت أحشاءه عليهم .

أمام هذا الحب الخالص وهبه الله بصيرة وقدم له رؤى ونبوات لتعزيته وتعزية كل نفس جريحة من أجل البشرية ، قدم له الله كلمته المحيية .

(2) جبل بيت الرب

ماذا قدم الله لإشعيا الجريح النفس ؟ حمله بالروح إلى ملء الزمان ليرى يهوذا الجديد – السيد المسيح – وأورشليم الجديدة حيث يبني هيكل الرب ويقام ملكوت الله في القلب . لذا قال : " يكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتا في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجري إليه كل الأمم " إش 2 : 2 .

سحب الرب قلب إشعيا النبي إلى ملء الزمان ليرى السيد المسيح الذي يقيم كنيسته عليه شخصا بكونه صخر الدهور ، الجيل الذي رآه دانيال النبي المقطوع بغير أيدي الذي يملأ الأرض (دا 2 : 34 – 45) ، الصخرة الحقيقية التي تفيض مياة الروح على شعبه (1 كو 10 : 4) والتي لا تستطيع الحية أن تزحف عليه لتقترب إلى شعبه .

يكمل النبي : " وتجري إليه كل الأمم وتسير شعوب كثيرة ويقولون : هلم نصعد إلى جبل الرب إلى بيت إله يعقوب فيعلمنا من طرقه ونسلك في سبله ، لأنه من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب " إش 2 : 2 ، 3

معروف أن الشريعة صدرت من جبل سيناء للشعب اليهودي ، لذا فهو يتحدث عن شريعة جديدة تصدر من أورشليم موجهة إلى المسكونة كلها .

+ هذه الشريعة ليست ملكا لأمة واحدة بل لكل الأمم ، فإن شريعة الرب وكلمته لا تبقىان في صهيون وأورشليم بل تنتشران في كل المسكونة . لذلك يقول رب المجد يسوع لتلاميذه :

" هذا هو الكلام الذي كلمتكم به وأنا بعد معكم أنه لا بد أن يتم جميع ما هو مكتوب عنى في ناموس موسى والأنبياء والمزامير ... " لو 24 : 44 – 47 .

+ هناك (في أورشليم) أخبر التلاميذ : " اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والإبن والروح القدس " مت 28 : 19 .

نلاحظ في هذه الكنيسة المؤسسة على جبل الجلجثة والمنطلقة من أورشليم تحمل قوة الروح القدس أنها :

* كنيسة ثابتة ، تقوم على جبل الرب الثابت (إش 2 : 2) .

* كنيسة عالية في رأس الجبال (إش 2 : 2) ..

* كنيسة جذابة للأمم والشعوب (إش 2 : 2 ، 3) .. أبوابها مفتوحة للجميع .

* عملها مستمر أن تصعد بالبشر (إش 2 : 3) .. بالحب تنزل إليهم دون أن تفقد قدسيتها أو طبيعتها السماوية ..

* رسالتها اعلان طريق الرب (إش 2 : 3) ، تحمل كلمته إلى كل نفس وتقدم وصيته ليعيشها كل مؤمن ..

* تعلن أحكام المسيح العادلة ، حيث يخضع المؤمنون من كل الأمم لملكوته وسيادته ، كسيادة روحية فريدة في نوعها .

+ تهب سلاما بين النفوس المقدسة له : " فيطبعون سيوفهم سككا ورماحهم مناحل ، لا ترفع أمة على أمة سيفا ، ولا يتعلمون الحرب في ما بعد " إش 2 : 4 .

المسيحي يمتلئ قلبه سلاما حتى تجاه مقاوميه ، فتتحول طاقاته الداخلية من الصراع إلى العمل البناء ، من أدوات حرب إلى أدوات انتاج للرخاء .

كلمة الله تحول الأرض سماء ، فيحل السلام السمائي في حياة البشر ، وتقام مملكة السلام أو ملكوت الله المفرح في داخلهم التي لا تستطيع عداوة الناس ولا قسوة الأحداث أن تهزها .

" يا بيت يعقوب هلم نسلك في نور الرب " إش 2 : 5 .

السيد المسيح الحال في كنيسته هو بهاء مجد الآب ورسم جوهره وحامل كل الأشياء بكلمة قدرته (عب 1 : 3) . هو شمس البر والشفاء في أجنتها (ملا 4 : 2) .

(3) علة رفض الله شعبه

يقارن النبي بين تصرفات شعبه المعاصرين له وتصرفات الأمم في المستقبل حيث يقبلون الإيمان بالله المخلص ويدخلون ملكوت السلام وينعمون ببركات فائقة بسكناهم في جبل بيت الرب .

رفض بيت يعقوب الله عمليا بالرغم من اهتمامه الشديد بحرفية العبادة لذا رفضه الله ، وكان ذلك رمزا لرفض اليهود لشخص السيد المسيح تحت ستار دفاعهم عن الحق وغيرتهم على شريعة موسى .

قدم الله أربعة أسباب لرفض الشعب ، وهي :

(أ) التشبه بالغرباء " امتلأوا من المشرق " ، يقول أيضا " وهم عائفون كالفلسطينيون " إش 2 : 6 .

(ب) حبهم لغنى العالم ، " امتلأت أرضهم فضة وذهبا ولا نهاية لكنوزهم " . امتلأت قلوبهم بمحبة المال ، فحسبوه قادرا على إشباعهم ، واحتل موضع الله في فكرهم وأحاسيسهم .

(ج) اتكالهم على إمكانياتهم العسكرية ، " امتلأت أرضهم خيلا ولا نهاية لمركباتهم " إش 2 : 7 .

(د) قبولهم العبادة الوثنية (إش 2 : 8) .

هذه هي الأسباب التي من أجلها رفض الله شعبه ، أما ثمرة ذلك فهو الإنحدار المستمر عوض النمو والصعود (إش 2 : 9) . انهيار في كل جوانب الحياة عوض التقديس بالتمام بالرب الصاعد إلى السموات .

(4) بطلان الذراع البشري :

إن كان الله قد رفض شعبه فلأن شعبه مصر على رفض الله بكل وسيلة ، لكن الله يبقى في حبه مترفقا بهم وبكل البشرية معلنا خلاصه للإنسان .

إذ تعظم الإنسان جدا في عيني نفسه وتضخمت الأنا ، يعلن الرب بهاءه فيتصاغر الإنسان ويطلب الخلاص . يدخل كما في صخرة ويختبئ في التراب أمام هيبة الرب ومن بهاء عظمته (إش 2 : 10) .

ليس شيء يحطم كبرياء الإنسان مثل ملاقاته مع الله . يتحطم الكبرياء ولا تتحطم نفسه بل تشفى وتمتلئ رجاء في الرب .

ما هي الصخرة التي نختفي فيها أمام العظمة الإلهية إلا السيد المسيح ، إذ فيه نجد لأنفسنا ملجأ أمام العدل الإلهي . لذلك عندما انتهى موسى النبي أن يرى المجد الإلهي قيل له :

" لا تقدر أن ترى وجهي ، لأن الإنسان لا يراني ويعيش .. هوذا عندي مكان فتقف على الصخرة (المسيح صخرتنا) ويكون متى أجتاز مجدي إنى أضعك في نفرة من الصخرة (الاتحاد مع المسيح) واسترك بيدي حتى أجتاز " خر 33 : 21 - 20 .

يشبه النبي تشامخ الإنسان بالآتى :

(أ) " أرز لبنان العالى المرتفع وكل بلوط باشان " إش 2 : 13 تشير إلى الأتكال على غنى موارد الطبيعة ، كما تشير إلى الملوك والقادة المتعجرفين مثل ريشاقي .

(ب) " الجبال والتلال الشامخة " إش 2 : 14 ، تشير إلى الصلابة والجمود ..

(ج) " الأبراج العالية والأسوار المنيعة " إش 2 : 15 ، تشير إلى الأتكال على أعمال البر الذاتى ...

(د) " سفن ترشيش والزينات والأعلام المبهجة " إش 2 : 16 ، تشير إلى الإنهماك بالتجارة والمال مع الترف والغنى على حساب الإهتمام بالنفس .

ارتبط الكبرياء بالعبادة الوثنية لهذا يؤكد النبي أنه عندما يكتشف الإنسان عجز الأوثان يلقي بها أمام الجردان والخفافيش (إش 2 : 20) مستخفا بها ، عوض أن يأخذها معه في أسفاره لمساندته .

أخيرا يدرك الإنسان خطأ الإتكال على الذراع البشرى ، فيقول النبي " كفوا عن الإنسان الذى فى أنفه نسمة ، لأنه ماذا يحسب ؟ " إش 2 : 22 .

ليصمت كل إنسان مهما بلغت عظمته أو قدرته أو غناه ، فإنه تخرج نسمة حياته فلا يكون بعد فى العالم . تخرج روحه فيعود إلى التراب (مز 104 : 29) .

+ + +

إشعياء - الإصحاح الثالث

مجاعة مهلكة

خلق الله العالم بكل إمكانياته المدركة وغير المدركة من أجل سلام الإنسان وسعادته ، حتى يفرح كل بشر بالله محبوبه . متكئا عليه ، مشتاقا أن ينعم بشركة حب أعمق . أما وقد انشغل الإنسان بالعطية لا العاطى استند على " كل سند خبز وكل سند ماء " إش 3 : 1 . صار الإنسان يفتخر بغناه وقدراته وكثرة خبراته وجماله عوض افتخاره بالرب واتكاله عليه . لهذا ينتزع الله العطايا ويحرم الإنسان من البركات الزمنية ، لا للانتقام منه ولا لإذلاله أو حرمانه وإنما لكي يرجع بقلبه إلى الله مصدر حياته وشعبه وسلامه وفرحه ومجده فينال فى هذا العالم أضعافا وفى العالم الآتى حياة أبدية ؛ ينال الله نفسه نصيبا له وميراثا !

هنا يهدد النبي بحدوث مجاعة وحرمان وتحطيم للإثنى عشر عمودا التى تتكىء عليها الجماعة [للخبز والماء ، الجبابة (القادرين) ورجال الحرب ، القضاة ، الأنبياء ، العرافين ، الشيوخ ، رؤساء الخمسين ، المعتبرين ، المشيرين ، الماهرين بين الصناع ، الحاذقين بالرقى] . لقد انتزع الرب الموارد الطبيعية خلال المجاعة والطاقات البشرية خلال السبى حتى يرجعوا إليه .

(1) انتزاع سند الخبز وسند الماء

" فإنه هوذا السيد رب الجنود ينزع من أورشليم ومن يهوذا السند والركن وكل سند خبز وكل سند ماء " إش 3 : 1 .

حين يسمح الله لأورشليم ولبنى يهوذا ، شعبه العروس ، أن تصير فى عور إلى الخبز والماء إنما يحطم السند والركن لعلها تعود فتفكر فى الإتكاء على حبيبها (نش 8 : 5) لتجد فيه شعبها وارتواءها .

+ ما هو أخطر ، حدوث جوع لكلمة الله كما جاء فى عاموس النبى : " هوذا أيام تأتى يقول السيد الرب أرسل جوعا فى الأرض لا جوعا للخبز ولا عطشا للماء بل لإستماع كلمات الرب " (عا 8 : 11) .

(2) انتزاع القيادات الناضجة :

انتزع الله منهم القيادات الناضجة الحكيمة ليتركهم يقيموا لأنفسهم قيادات ضعيفة وعاجزة ، فيدركوا حاجتهم إلى العون الإلهى حتى فى التمتع بقيادات حية وقوية .

" (ينزع) الجبار (القدير) ورجل الحرب ؛ القاضى والنبى والعراف (المتدبر) والشيخ ، رئيس الخمسين والمعتبر والمشير والماهر بين الصناع والحاظق بالرقية (الحاذق فى الخطابة) " إش 3 : 2 ، 3 .

ربما قصد تجريدهم مما وهبهم من قدرات وإمكانات ، فيضعف الجبابرة وينهار رجال الحرب أمام العدو ويفقد القضاة الحكمة الخ .

والآن ماذا يحدث ؟

أ – " وأجعل صبيانا رؤساء لهم وأطفالا تتسلط عليهم " إش 3 : 4

حين ملك رحبعام بن سليمان قبل مشورة الأحداث المتسارعة العنيفة والمتطرفة ورفض مشورة الشيوخ الحكيمة المتزنة والمملوءة حبا وترقا (1 مل 12) ، فانقسم الشعب وحلت الحروب الداخلية بين الأسباط ، وسادت العداوة بدل الحب والوحدة .

الله محب للشباب ، يسندهم ويطلب نموهم المستمر ، لكن ما عناه هنا بالصبيان والأطفال هو عدم النضوج الروحى والفكرى .

لقد كان يوحنا المعمدان جنينا ناضجا روحيا . شهد للسيد المسيح وهو بعد فى أحشاء البتول مريم ، بينما كان كثير من الكتبة والفريسيين والصدوقيين والكهنة ناضجين من جهة السن دون الروح .

ب – " ويظلم الشعب بعضهم بعضا والرجل صاحبه ، يتمرّد الصبى على الشيخ والدنىء على الشريف " إش 3 : 5 .

علامة فقدان القيادات السليمة الناضجة اختلال الموازين فيسود قانون الظلم ويحل روح الفوضى فى حياة الجماعة كما فى داخل الإنسان . إذ لا توجد قيادة صادقة ومخلصة يطلب كل إنسان ما لذاته على حساب الغير ، ويحسب كل واحد أنه أحكم وأفضل من غيره .

أقول حينما يفقد الإنسان قيادة الروح القدس يحل فى داخله قانون الأنانية والظلم والتمرد ، فيدخل فى صراعات بلا حصر بين النفس والجسد وبين العقل والعاطفة والحواس .

ج – الدخول فى حالة يأس شديد ، حتى أن كل إنسان لا يريد أن يتحمل المسؤولية ، فيمسك كل إنسان بأخيه ويقول له : " لك ثوب " علامة قبوله رئيسا ، .. يقول كل واحد : " لا تجعلونى رئيس شعب " إش 3 : 7 ، معللا ذلك بقوله :

" لا أكون عاصبا (اضمّد الجراحات) وفى بيتى لا خبز ولا ثوب " إش 3 : 7 .

يقول المرتل : " لا تتكلموا على الرؤساء ولا على بنى آدم حيث لا خلاص عنده " مز 146 : 3 .

د – فقدان الحياة ومخافة الله : " يخبرون بخطيتهم كسدوم ، ولا يخفونها " إش 3 : 9 .

بلغت الخطورة أن أورشليم انحدرت في عثرات متكررة لا عن ضعف أو جهل وإنما عن عمد لإغاة الرب (إش 3 : 9) .

ترتكب الشرور بالقول والفعل بلا خجل أو حياء . هذه هي صورة العالم في العصر الحديث إذ يشعر كثير من الشباب أن ما يمارسه من انحرافات في كل صورها هو حق طبيعي للإنسان .

يقول : " نظر وجوههم يشد عليهم " إش 3 : 9 .

يقول الكتاب : " أولاد الله ظاهرون وأولاد إبليس " 1 يو 3 : 10 .

إن كان الأشرار ظاهرين وقد صاروا أغلبية لكنه توجد قلة مقدسة للرب ، لن يتجاهلها الله ، لذا يقول النبي : " قولوا للصادق خير ، لأنهم يأكلون ثمر أفعالهم " إش 3 : 10 . في وسط الضيق الشديد يحفظ الرب صديقيه ، ويحول كل الأمور حولهم إلى خير هم !

لقد ظنوا أنهم يصنعون بالبار شرا لكنهم كانوا يصنعون ذلك لأنفسهم فيجنون ثمر عملهم لا كعقوبة إلهية للانتقام وإنما كثمر طبيعي لتصرفاتهم وحياتهم : " ويل للشرير شر . لأن مجازاة يديه تعمل به " إش 3 : 11 .

" ما يزرعه الإنسان إياه يحصد " 2 كو 9 : 6 .

هـ - حب السلطة لا رعاية الحب :

الرؤساء الحقيقيون أشبه بأباء يحتضنون الكل أبناء لهم ، يقدمون حياتهم مبذولة من أجل الشعب ، لكن متى انتزعت نعمة الله يتحول الرؤساء – حتى الدينيون – إلى متسلطين ، لا هم لهم سوى الدفاع عن مراكزهم وسلطانهم بتبريرات متنوعة تحت ستار الدفاع عن الحق وهيبة المراكز القيادية والقدرة على بتر الشر . هؤلاء يتحولون من آباء باذلين إلى أطفال صغار تسيطر عليهم " الأنا " ، أو إلى ما هو أشبه بنساء (رمز للضعف الجسماني) يطلبون السيطرة ، إذ يقول : " شعبي ظالموه أولاد ، ونساء يتسلطن عليه . يا شعبي مرشدوك مضلون ويبلعون طريق مسالكك " إش 3 : 12 .

يرى بعض الدارسين أن هذا تحقق حرفيا إذ تسلم بعض الصبيان الملك في يهوذا وقامت بعض النساء بأدوار خطيرة في تدبير الأمور .

وسط هذا الفساد خاصة من جانب القيادات يتدخل الله من أجل البسطاء في شعبه ، فينتصب لمحاكمتهم بكونهم الكرامين الذين أكلوا الكرم عوض الاهتمام به ، موبخا إياهم : " يسحقون الشعب ويطحنون وجوه البائسين " (إش 3 : 15) .

(3) انتزاع إمكانيات الترف مع التسامخ :

بعد الحديث عن محاكمة القيادات الفاسدة بدأ الحديث عن بنات صهيون المتسامحات ، لعلهن كن وراء فساد هذه القيادات . فقد نسيت بنات صهيون انتسابهن لصهيون وللرب وسلكن كالثنيات في عجرفة مع ترف ولهو .

يقدم لنا النبي بعض ملامح الخلاعة التي اتسمت بها بنات صهيون :

أ – التشامخ : " وقال الرب من أجل أن بنات صهيون يتشامخن ويمشين ممدودات الأعناق .. " إش 3 : 16 . لقد نسين آباءهن وأمهاتهن الذين انحنت أعناقهم تحت نير العبودية في مصر ،

" قبل الكسر الكبرياء ، وقبل السقوط تشامخ الروح ، تواضع الروح مع الودعاء خير من قسم الغنيمة مع المتكبرين " أم 18 : 19 .

ب – الغمز بالعيون (إش 3 : 16) : انشغلن باصطياد قلوب الرجال وأسرها كثمرة طبيعية لفراغ القلب الداخلي ... يقول الحكيم : " فوجدت أمر من الموت المرأة التي هي شباك وقلبها أشراك ويدها قيود ، الصالح قدام الله ينجو منها " جا 7 : 26 .

ج - الخلاعة في المشى : " خاطرات في مشيهن ، يخشخن بأرجلهن " إش 3 : 16 . دلالة على فساد القلب .

ماذا يفعل الرب بهؤلاء البنات المتعجرفات السالكات في لهو وترف ؟

أ – " يصلع الرب هامة بنات صهيون ويعرى الرب عورتهم " إش 3 : 17 .. الصلع علامة القبح الشديد ، وتعريّة العورة كناية عن كشف فساد طبيعتها ، أو إشارة إلى عريها ، هذه هي حالة النفس البشرية الساقطة بالكبرياء ، إذ تفقد عطايا الله لها ، وينفضح فساد طبيعتها فتصير بلا جمال ولا قوة ولا كرامة .

ب – انتزاع كل مظاهر الغنى والزينة من خلالخيل وضيافر وأهلة وحلقان وأسوار ...

يسمح الله بهذا التأديب لبنات صهيون لكي تجد في المخلص سر زينتها ومجدها .

هنا يشير إلى ما يحل لبنات صهيون خلال السبي ، إذ يقول : " فيكون عوض الطيب عفونة " إش 3 : 24 ، هذا ما حدث عندما سبين وصارت رائحتهن كريهة بسبب العرق من جراء العمل في السبي .

" عوض المنطقة حبل " إش 3 : 24 . بعد أن كانت بنات صهيون يتمنطقن بمناطق ذهبية مزخرفة ومرصعة بحجارة كريمة ربطن بالحبال لسحبهن إلى السبي كمذلولات . صورة مؤلمة تكشف عن ثمر الخطية !

" وعوض الجداول قرعة ، عوض الديباج زنار المسح ، وعوض الجمال كى " إش 3 : 24 .. هكذا قص شهر الشريقات ، وملابس المسوح عوض الثياب الفاخرة وظهر الكى على جباههن علامة العبودية .. إذ كان العبيد من الجنسين يختمون بختم معين بالكى ليعرف السيد من هم له .

في اختصار عبر عن تحطيم حياتهن تماما لإتكالهن على المظاهر الخارجية وعلى الذراع البشرى ، لذا يقول : " رجالك يسقطون بالسيف ، وأبطالك في الحرب ، فتنتن وتتوح أبوابها وهي فارغة تجلس على الأرض " إش 3 : 25 ، 26 . مات الرجال وسبيت النساء وصارت المدينة العظيمة كما في فراغ ! .

+++

إشعياء – الإصحاح الرابع

غصن الرب هو العلاج

في الإصحاحات السابقة قدم لنا الوحي الإلهي صورة مؤلمة لما بلغه الإنسان من فساد وانحلال بسبب الخطية حيث فقد الإنسان جماله وكرامته وأكله وشربه وزينته حتى حياته ذاتها ، وصار العلاج الوحيد هو مجيء السيد المسيح " غصن الرب " يرد للإنسان جمال طبيعته ويشبعه لا بتقديم خيرات معينة بل بتقديم " نفسه " سر حياة وفرح وشبع .

(1) الحاجة إلى مخلص :

" فتمسك سبع نساء برجل واحد فى ذلك اليوم قائلات : نأكل خبزنا ونلبس ثيابنا ، ليدع فقط اسمك علينا ، انزع عارنا " إش 1 : 4 .

هؤلاء النساء السبع هم جميع الأمم من بينهم اليهود ، فقد شعر الكل بفراغ شديد يجتاح الأعماق بسبب فساد الطبيعة البشرية ، تجتمع هذه الأمم كعروس تطلب عريسها ، تريد اسمه لينزع عار فسادها ، حينئذ تأكل خبزها وتلبس ثيابها . مسيحها أهم من كل احتياجاتها ، فيه تجد كل الشيع والستر من العرى والحماية من كل عار .

من الجانب الحرفى فإن دخول اليهود فى حرب سوف يؤدى إلى فقدان الرجال ، مما تضطر معه كل سيدة إلى القبول بوجود زوجات أخريات مع رجلها ، الأمر الذى ترفضه النساء بطبيعتها ، وهذا كله جزاء الفساد الذى حصل بيهودا .

(2) غصن الرب :

الآن إن كانت البشرية بكل شعوبها (سبع نساء) اكتشفت حاجتها إلى المخلص ، فما هو النبى يبشرها بمجيئه قائلا : " فى ذلك اليوم يكون غصن الرب بهاء ومجدا وثمر الأرض وزينة للناجين من إسرائيل " إش 4 : 2 .

يقصد بـ " ذلك اليوم " ملء الزمان (غل 4 : 4) الذى فيه تجسد أبن الله الوحيد الجنس ، الذى دعى " غصن الرب " ، أو " الغصن " إر 23 : 5 ، 33 : 15 ؛ زك 3 : 3 ؛ 8 : 6 ؛ 12 : 12 . هو غصن الرب وغصن بر لداود ، إذ هو المولود قبل كل الدهور أزليا من ذات جوهر الأب وبتجسده ولد من نسل داود .

كلمة " غصن " تعادل أيضا " ناصرة " ، لذا يقول الإنجيلى : " لكى يتم ما قيل بالأنبياء أنه يدعى ناصريا " مت 2 : 23 .

(3) البقية المقدسة :

من الذى يتمتع بغصن الرب ؟

" الذى يبقى فى صهيون والذى يترك فى أورشليم " إش 4 : 3 .

هؤلاء هم القلة التى قبلت الإيمان بالسيد المسيح من جماعة اليهود ، بقوا فى صهيون الروحية ، فى الكنيسة أورشليم الجديدة .

من الجانب الحرفى تشير إلى البقية الباقية من السبى ، أما من الجانب الروحى فهى القلة المقدسة ، القطيع الصغير الذى لا يغادر صهيون ولا تفارق روحه أورشليم العليا .

هذه البقية تحدث عنها كثير من الأنبياء (زك 13 : 9) ، وجدت فى كل عصر :

ففى أيام إيليا النبى أعلن الرب أن له سبعة آلاف رجل لم يحنو ركبة لبعل بعد ..

وفى أثناء السبى وجد دانيال ومعه الثلاثة فتية ضمن القلة المقدسة ... وأيضا استير وموردخاى . والسيد المسيح نفسه يتحدث عن القطيع الصغير الذى سر الأب أن يعطيه الملكوت (لو 12) .

الآن إذ يعلن عن مجيء " غصن الرب " يرى أورشليم جديدة يسكنها قديسون فى الرب القدوس ، وينعمون بالحياة الأبدية . يقول " يسمى قدوسا كل من كتب للحياة فى أورشليم " إش 4 : 3 .

الكنيسة – أيقونة السماء – هي عربون أورشليم العليا التي لا يدخلها شيء دنس أو نجس ولا كل من يصنع كذبا ، إنما يدخلها من غسل ثيابه وبيضها في دم الحمل (رؤ 7 : 14) .

من الذى يقدس حياتنا ؟ الرب نفسه إذ يقول النبى :

" إذ غسل الرب قدر بنت صهيون ونقى دم أورشليم من وسطها بروح القضاء وروح الإحراق " إش 4 : 4

إنه غسل أذناسنا في مياة المعمودية في استحقاقات دمه ، ولا يزال يغسل كل ضعفاتنا بدمه الذى جرى من جنبه المطعون ممتزجا بدماء . إن كانت أيدينا قد تلطخت بالدم خلال خطايانا فإنه يقدم دمه كفارة عنا ليقيمنا كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن بل مقدسة فى كل شيء .

(4) حلول المسيح وسط كنيسته :

تغتسل الكنيسة بروح القضاء وروح الإحراق أى خلال ذبيحة المحرقة الفريدة التى قدمها السيد المسيح وبعمل روح القدس فى مياة المعمودية . فتطلب حلول عريسها الذبيح فى وسطها ، يستر عليها نهارا كسحابة تظللهم ويقودها ليلا كعمود دخان وعمود نار يضيء لها الطريق . هكذا تعود الكنيسة بذاكرتها إلى خيمة الإجتماع فى وسط البرية حيث كان الله يجتمع فيها مع شعبه ، لكنها خيمة جديدة على مستوى مغاير لخيمة العهد القديم ، وذلك من جهة :

أ – " على كل مكان " إش 4 : 5 ، لم تعد الحضرة الإلهية أو الحلول الإلهية قاصرا على خيمة أو على هيكل إنما يحل فى كنيسته الممتدة فى كل مكان ، فى المشارق والمغارب ..

ب – " وعلى محفلها " يشير هذا التعبير إلى عمل الله فى الكنيسة كمحفل واحد ، أو جماعة واحدة ، يتمتع كل عضو فيها بعبودية الحلول الإلهية لا كفرد منعزل وإنما كعضو فى الجماعة يرتبط مع بقية الأعضاء خلال المسيح الرأس .

ج - " يخلق ... سحابة ودخانا ولمعان نار ملتهبة " ، يكون السيد المسيح هو سر حماية كنيسته واستنارتها .

د – بقوله : " لأن على كل مجد غطاء " يعنى أن مجد إبنة الملك من داخل (مز 45) ، مخفى فيها . من الخارج تشارك مسيحها آلامه وصلبه وموته وقبره فيقال عنها ما قيل عن عيسها : " لا صورة له ولا جمال فننظر إليه ، ولا منظر فنشتهيه " إش 53 : 2 ؛ وفى الداخل تشاركه مجد قيامته .

(5) كنيسة المسيح مظلة وملجأ :

يحل الرب فى كنيسته فيقيم منها مظلة تقى النفوس المتألمة الجريحة من حر النهار ، وتضمها من السيول والأمطار (إش 4 : 6) .

يرى القديس يوحنا الذهبى الفم : أن هذه المظلة هى سحابة القديسين العظيمة (عب 12 : 1) قائلا بأن [تذكّر القديسين يقيم النفس التى تثقلت بالويلات ويردها ، فيكون كسحابة تحفظها من أشعة (الشمس) الساخنة جدا والمحرقة] .

إشعياء – الإصحاح الخامس

نشيد الكرامة

فى الإصحاح السابق تلامس إشعياء النبى مع محبة الله الفائقة نحو شعبه والمعلنة خلال التجسد الإلهى من أجل تقديس البشرية بروح القضاء وروح الإحراق .. بهذا انفتحت بصيرة النبى على حب الله لعروسه أو لكرمه فصار يتغنى بنشيد الكرامة ، أو نشيد الحبيب للكرمة المشتهاة .

(1) رعاية الله لكرمه :

" لأنشدن عن حبيبي نشيد محبى لكرمه . كان لحبيبي كرم على أكمة خصبة ، فنقبه ونقى حجارته وغرسه كرم سورك وبني برجا فى وسطه ونقر فيه أيضا معصرة ، فانتظر أن يصنع عنباً فصنع عنباً ردياً (برى) " إش 5 : 1 ، 2

يعلن هذا النشيد قصة الحب الإلهى ، حيث أحب الله الإنسان ولا يزال يحبه ويرعاه ، ويبقى الله مستمرا فى حبه بينما يقابل الإنسان الحب بالجفاف .

تحققت هذه القصة مع أبونا الأولين آدم وحواء ، وتحققت أيضا مع شعب الله فى بداية نشأته ، إذ يقول موسى النبى : " إن قسم الرب شعبه ، يعقوب حبل نصيبه ؛ وجده فى أرض قفر وفى خلاء مستوحش خرب ، أحاط به ولاحظه وصانه كحديقة عينه " تث 32 : 9 ، 10 . أخرج الله شعبه من العبودية لا ليهبه الأرض التى تفيض عسلا ولينا فحسب وإنما ليقيم كنيسة العهد الجديد التى تملأ الأرض كلها ، تنعم بملكوت الله الداخلى ، وكما يقول المرتل : " كرمة من مصر نقلت ، طردت أمما وغرستها ، هيات قدامها فأصلت أصولها ، فملأت الأرض " مز 80 : 8 ، 9 .

واضح هنا أن " الكرمة " تشير إلى الشعب كله : مملكة إسرائيل ويهوذا ، فماذا قدم الرب لشعبه المحبوب لديه ؟

أ – أقامهم على " أكمة خصبة " إش 5 : 1 ، إذ دخل بهم إلى كنعان التى تفيض لبناً وعسلا .. ما يحل من جفاف أو مجاعات لا يرجع إلى طبيعة الأرض أو ظروف المنطقة إنما هو ثمر لخطايا الشعب .

أقام الله كنيسة العهد الجديد على أكمة خصبة ، فقد رفع قلبها كما إلى السماء لكى يتمتع أبناءها بدسم الحياة السماوية ، فيشبعون ولا يعتازون إلى شىء .

ب – " نقبه (سيج حوله) " إش 5 : 2 هذا السياج هو الناموس الذى أحاط به الرب شعبه قديما حتى لا يختلط بالأمم الوثنية المحيطة به فينقل عنهم الرجاسات .. كما أنه يشير إلى حراسة الملائكة .

ج – " ونقى حجارته " إش 5 : 2 . تشير الحجارة إلى العبادة الوثنية حيث كانت الأصنام الحجرية ، هذه انتزعها الرب من وسط شعبه أو انتزع شعبه منها ليعيش الكل فى حياة تقوية لائقة .

جاء على لسان حزقيال النبى " انزع قلب الحجر من لحمهم وأعطهم قلب لحم " حز 11 : 9 . هذا القلب الجديد والروح الجديد (حز 36 : 26) إنما يتحقق بنوالنا الميلاد الروحى الجديد فى مياة المعمودية المقدسة .

د – " غرسه كرم سورك " (كرما مختارا) إش 5 : 2 ، أى غرسه كرما من أفضل أنواع الكروم ، كشعب مختار نال عهدا مع الله ، لكى يحمل " الحق " فيه ، كقول الرب :

" وأنا قد غرستك كرمة سورك زرع حق كلها ، فكيف تحولت لى سروغ جفنة غريبة ؟! " إر 2 : 21 .

أما بالنسبة لكنيسة العهد الجديد فقد جاء " الحق " نفسه ، كلمة الله المتجسد ليقدم نفسه كرمة يحملنا فيه أغصانا حية تأتى بثمر كثير (يو 15 : 5) .

هـ - " وبني برجا فى وسطه ، ونقر فيه معصرة ، فانتظر أن يصنع عنباً فصنع عنباً ردياً (برى) " إش 5 : 2

يسكن صاحب الكرم فى هذا البرج لحراسته .. البرج هو مذبج الرب الذى يقام داخل النفس ، والمعصرة لعصر العنب وعمل خمر الحب الذى يقدم للفرح الروحى . ما هذه المعصرة إلا صليب ربنا يسوع المسيح الذى اجتاز المعصرة وحده ولم يكن معه أحد من الأمم (إش 63 : 3) . قدم دمه المبذول خمر حب يفرح كل قلب مؤمن .

انتظر الرب أن يجتنى حبا مقابل الحب ، وتوبة وندامة مقابل غفران خطاياه ، لكنه وجد قلوبا متحجرة لا تصنع ثمارا تليق بالتوبة . الكل زاغوا وفسدوا وأعوزهم مجد الله ، لذا كان يليق بكلمة الله أن ينزل إلينا ككرم جديد ، هو وحده يخرسنا فيه فنأتى بثمر كثير (يو 15 : 5) .

(2) محاكمة بين الله وشعبه :

ليس أصعب من أن يدخل كائن ما فى محاكمة مع ابن محبوب لديه ، لكن أمام قساوة قلب الإنسان وجوده طلب أن يقف أمام شعبه للحوار ، متسائلا : " ماذا يصنع أيضا لكرمى وأنا لم أصنعه ؟! " إش 5 : 4 . والعجيب أنه ترك الحكم للطرف الآخر ، لمقاوميه ، حتى يحكموا بأنفسهم على أنفسهم . هذا هو أسلوب الله فى تعامله معنا ، يفضح أمامنا نفوسنا ، ويكشف أمام أعيننا ضعفنا ، ليس لأنه يريد أن يغلب أو يعاقب وإنما لأنه يطلب رجوعنا إليه ودخولنا فى علاقات حب وود معه .

إذ لم يجد الكرم ما يجيب به على الكرام العجيب فى حبه ، بدأ الكرام يعلن تأديباته حتى يتحرك الكرم ، ألا وهى :

أ – " انزع سياجه فيصير للرعى " إش 5 : 5 . إن كان ملاك الرب حال حول خائفه (مز 34 : 7) ، بل والرب نفسه يكون سور نار حول شعبه (زك 2 : 5) ، فإن الله فى محبته يتخلى عن المقاومين وينزع عنهم الحراسة السماوية ليذكروا ضعفاتهم ، ويشعروا أنهم بلا سياج ولا سور ...

ب – " اجعله خرابا لا يقضب ولا ينقب " إش 5 : 6 . إذ يفارق الرب كرمه أى النفس البشرية تصير فى فراغ وتحسب خرابا ، يبكيها الرب كما يبكى على أورشليم ، قائلا :

" هوذا بيتكم يترك لكم خرابا " مت 23 : 38 .

ج – " فيطلع شوك وحسك " إش 5 : 6 . هذا ثمر اعتزال الإنسان الله وانفصاله عنه ، إذ ينبت من عندياته شوكا وحسكا .

ما هو هذا الشوك إلا فقدان الإنسان سلامه ليحمل فى داخله متاعب وهموم لا يقدر أن يجابهها بنفسه وحده ؟!

د – " وأوصى الغيم أن لا يمطر عليه مطرا " إش 5 : 6 . يشير المطر فى العهد القديم إلى عطية الروح القدس ، فإن الإنسان الجاحد للرب الذى يطلب الانفصال عنه يخسر سكنى الروح فيه ، فيتحول قلبه إلى قفر ، لا يحمل ثمر الروح ، لهذا عوض أن يثمر " الحق " إذا به يثمر " سفك دم " ، وعوض " العدل " يثمر " صراخا " إش 5 : 7

يقول : " إن كرم رب الجنود هو بيت إسرائيل وغرس لذته رجال يهوذا . فانتظر حقا فإذا سفك دم .. وعدلا فإذا صراخ " إش 5 : 7 .

جاء " الحق " متجسدا من سبط يهوذا لكنهم سفكوا دمه ، وعوض العدل كان الصراخ :

" أصلبه ، أصلبه " .

(3) عرض تفصيلي لخطايا إسرائيل :

بعدما كشف الرب عن حبه لكرمه ورعايته الفائقة له ، بدأ يستعرض أهم خطايا الشعب وثمرهم الدئى الذى جلب ويلات مرة عوض التمتع ببركات الرب وشركة أمجاده .

أ – " ويل للذين يصلون بيتا ببيت ، ويقرون حقا بحقل ، حتى لم يبق موضع ، فصرتم تسكنون وحدكم فى وسط الأرض " إش 5 : 8 .

يعنى بهذا أنهم انهمكوا فى شراء البيوت والحقول كل الطرق ، فى أنانية حتى لم يترك الواحد موضعاً لأخيه ، خاصة الفقير والمحتاج . لقد ملكت قلة قليلة الأرض الزراعية والبيوت لتستغل عامة الشعب ، وذلك على خلاف الناموس الذى طالب أن تبقى الأراضى موزعة بالتساوى (عد 33 : 54) ، إنه فى سنة اليوبيل يعود لكل ملكيته (لا 25) .

ب – " ويل للمبكرين صباحاً يتبعون المسكر ، للمتأخرين فى العتمة تلهبهم الخمر " إش 5 : 11 .

إن كان الويل الأول منصبا عليهم بسبب الطمع والظلم فالثانى بسبب اللهو الزائد . صاروا يسكرون فى الصباح المبكر عوض قيامهم للعمل وأيضاً يبقون حتى ساعة متأخرة بالليل ، أى يسكرون نهاراً وليلاً . هكذا يكسرون الوصايا الإلهية : " الإنسان يخرج إلى عمله وإلى شغله إلى المساء " مز 104 : 23 .

تحولت حياتهم عن الفرح الروحى الممتزج بجدية الحياة والعبادة إلى اللهو الممتزج برخاوة يستخدمون كل آلات الطرب (إش 5 : 12) مع الإنشغال بإقامة ولائم لإثارة مشاعرهم وأحاسيسهم للشر ، متجاهلين الحياة التقوية فى الرب .

إن الله لا يدينهم هنا على طمع اقترفوه وإنما لمجرد التبذير ، أنت تشرب خمراً ولا تمنح المسيح كأس ماء بارد خلال من هو ظمآن . أنت ترقد على فراش ناعم مطرز وهو يهلك برداً !

أما عمل الله فهو سبى الإنسان الداخلى عن معرفة الحق ، ليعيش أسيراً للجهالة ، يجوع ويعطش داخلياً ، ولا يوجد ما يشبعه أو يرويه . يقول النبى : " لذلك سبى شعبى لعدم المعرفة وتصير شرفاؤه جوع وعامته يابسين من العطش " إش 5 : 13 .

يقول الحكيم : " لأن السكير والمسرف يفتقران ، والنوم يكسو الخرق " أم 13 : 21 .

هذا هو الثمر المر الذى يجتنيه السالكون فى الباب الواسع ، باب اللهو الدائم لإشباع الشهوات الزمنية . أما ما هو أخطر فهو هلاكهم الأبدى إذ يقول : " لذلك وسعت الهاوية نفسها وفغرت فاهها بلا حد فينزل بهاؤها وجمهورها وضجيجها والمبتهج فيها " إش 5 : 14 .

يصور الهاوية أشبه بانفتاح الأرض لإبتلاع الأشرار كما حدث مع قورح وجماعته .. تنفتح لتطلب المزيد ، تبتلعهم إلى الأعماق ليقول فى الظلمة إلى الأبد .

هذا ما يحدث بالنسبة للمنشغلين بحياة الترف واللهو ، أما بالنسبة لله رب الجنود فإنه يتمجد ويتقدس بإدانتته للخطية بالعدل والبر (إش 5 : 16) .

ربما يتساءل البعض : ما هو حال البقية القليلة الآمنة للرب ؟ يجيب النبى : " ويرعى الخراف حيثما تساق ، وخرب السمان تأكلها الغرباء " إش 5 : 17 .

ترعى الخراف – القطيع الصغير – حيثما يقودها الراعى الصالح ، يسوع المسيح ، إذ يحفظها من الظلم والإضطهاد .

ج - " ويل للجاذبين الإثم بحبال البطل ، والخطية كأنه يربط العجلة " إش 5 : 18 .

هذا الويل الثالث يحل بطالبى الخطية برغبة شديدة واجتهاد ، يسعون إليها بمحض اختيارهم ويدفعون أنفسهم إليها دفعا أو يسحبونها بقوة نحوهم .

إنهم يجتذبون الخطية كما بحبل ، وإذ هى ثقيلة للغاية تنهار على رؤوسهم فتحطمهم .

حقاً ، كل إنسان يضفر لنفسه حبلاً بخطاياهم ..

بجانب ما للخطية من خطورة أنها تسحب الإنسان إلى سلسلة من الخطايا ، فتجعله أشبه بكرة تلهو بها الخطايا فإن الخطر الثانى هو أنها تبعث روح الإستخفاف والسخرية عوض رغبة الإنسان فى التحرر منها ، فيردد الأشرار : " ليسرع ليحبل عمله لكى نرى ، وليقرب ويأتى مقصد قدوس إسرائيل لنعلم " إش 5 : 19 . إنهم يشكون فى إمكانية قضاء الله ، فيحسبون

أنهم قادرون على مواجهته ببراهين وحجج . فى استخفاف يرددون " قدوس إسرائيل " اللقب الذى استخدمه الأنبياء بالنسبة لرجائهم فى مجيء المسيا المخلص .. وكأنهم يضربون بهذا الرجاء عرض الحائط .

فى كل عصر يوجد أشرار يستهينون بطول أناة الله ويسخرون بمواعيده ومحبه كما تأديباته ظانين أنها مجرد كلمات أو أوام لن تتحقق .

د – " ويل للقائلين للشر خيرا وللخير شرا ، الجاعلين الظلام نورا والنور ظلاما ، الجاعلين المر حلوا والحلو مرا " إش 5 : 20

يسقط الويل الرابع على الذين يخلطون بين الحق والباطل ، الخير والشر ، النور والظلمة ، الحلاوة والمرارة ، المعرفة والجهل . هؤلاء يعطون الخطية مسحة الفضيلة كأن يبرروا الغضب بالدفاع عن الحق أو إدانة الآخرين تحت ستار الرغبة فى الإصلاح الخ

هـ - ادعاء الحكمة والفهم مع الاستخفاف بأراء ومشورة الغير : " ويل للحكماء فى أعين أنفسهم والفهماء عند ذواتهم " إش 21 : 5 .

من يشغل بذاتيته ولا يطلب مشورة الغير ، إنما يحمل علامة الغباوة ، قيل : " رأيت رجلا حكيما فى عيني نفسه ؟ الرجاء بالجاهل أكثر من الرجاء به " أم 26 : 12 .

و – الأبطال المفسدون لطاقتهم : " ويل للأبطال على شرب الخمر ولذوى القدرة على مزج المسكر " إش 5 : 22 . حينما تشغل القيادات بالولائم والترف والسكر تفقد دورها الحقيقى ؛ هكذا كثيرا ما تفسد طاقاتنا بأنفسنا بانحرافنا عن هدفنا الجاد وانغماسنا فى ملذات هذا العالم

ز – أخذ الرشوة : " الذين يبررون الشرير من أجل الرشوة ، وأما حق الصديقين فينز عونه منهم " إش 5 : 23 .

(4) تأديب الهي :

بسبب الخطايا التى ارتكبتها الشعب حمى غضب الرب كلهيب نار يحرق القش ليجعلهم أشبه بالغبار (إش 5 : 24) . لقد سمح بتأديبهم بحزم شديد حتى ارتعدت الجبال وصارت جثثهم ملقاة فى الأزقة . هنا يعنى ما حل بشعب الله خلال الغزو الآشورى العنف .

وسط هذا اللهيب يقول : " مع كل هذا لم يرتد غضبه بل يده ممدودة بعد " إش 5 : 25 ؛ لا يزال مملوء حبا ينتظر عودة الإنسان إليه ! .

(5) الغزو الآشورى

يقدم لنا النبى وصفا رهيبا لجيش أور فى غزوه شعب الله . هذا الوصف يكشف عن غزو العدو الخير للنفس البشرية ، بعنف وشراسة ومثابرة ، وفى نفس الوقت يوبخ المؤمنين المتراخين ؛ فالأشرار من أجل غنيمة زمنية لا يكلون حتى يحققوا هدفهم بينما أولاد الله يتراخون فى نوال شركة المجد الأبدى .

أ- " ليس فيهم رازح (متعب) " إش 5 : 27 . بالرغم من طول المسافة التى يقطعونها والصعوبات التى تواجههم لكنهم لا يشعرون بتعب من أجل رغبتهم القوية فى التمتع بالغنيمة .. بينما كثيرا ما نتراخى نحن المؤمنون فى جهادنا الروحى تحت دعوى الإرهاق أو التعب .

ب- " ولا عاثر " إش 5 : 27 بالرغم من وعورة الطريق ؛ ربما لأن الله دعاهم لتأديب شعبه فسهل لهم الطريق . كان أولى بنا نحن ألا نخاف وعورة الطريق فإننا ما دمنا فى يد مسيحننا " الطريق " لا نتعثر قط .

ج - " لا ينعسون ولا ينامون " إش 5 : 27 من أجل الهدف الزمنى والشرير الموضوع أمامهم . أفما يليق بنا نحن المؤمنون ألا ننعس ولا ننام بل نبقى فى يقظة الروح حتى نحقق غاية رسالتنا ؟!

د - " ولا تتحل حزم أحقائهم ولا تنقطع سيور أذنيهم " إش 5 : 27 ، أى جادين ومتشددين للعمل . لقد أوصانا الرب : " لتكن أحقاؤكم ممنطقة " لو 12 : 35 ، حتى نتمم خدمة الرب بقوة .

هـ - " سهامهم مسنونة وجميع قسيهم ممدودة ، حوافر خيلهم تحسب كالصوان وبكراتهم كالزوبعة " إش 5 : 28 . مستعدين بأسلحتهم وعدتهم ، كى يحاربوا بقوة ولمدة طويلة وبسرعة خاطفة ليحققوا الهدف . يليق بالمؤمنين أن يستعدوا ضد معركة إبليس بأسلحة الإيمان الروحية التى تحدث عنها الرسول بولس بأكثـر توسع (أف 6) .

و - " لهم زمجرة كاللبوة ، ويزمجون كالشبل ، ويهرون ويمسكون الفريسة ويستخلصونها ولا منقذ " إش 5 : 29 . إنهم يحملون صورة سيدهم إبليس ، الذى يجول كأسد زائر يلتبس من يبتلعه (1 بط 5 : 8) . كان يليق بالمؤمنين أن يصحوا ويسهروا مقاومين هذا العدو راسخين فى الإيمان (1 بط 5 : 8 ، 9) .

لقد تقدم الحمل - رب المجد يسوع - القادر أن يحطم العدو ، كأسد خارج من سبط يهوذا (رؤ 5 : 5) حتى لا يهزمنا إبليس بل نقاومه بالرب ونحطم طاقاته .

ز - " يهرون عليهم فى ذلك اليوم كهدير البحر " إش 5 : 30 ، إذ يسقط عليهم الجيش بأصوات الجند كهدير البحر الذى لا يقاوم ، يكتسح ويبتلع كل ما هو أمامه .. وكأنه لا أمل لهم فى النجاة من آشور .

ح - أخيرا يفقد الشعب كل رجاء فإنه " إن نظر إلى الأرض فهوذا ظلام الضيق والنور قد أظلم بسحبها " إش 5 : 30 . وقت الضيق يرفعون عيونهم لعلهم يجدون منفذا للخلاص ، لكن الظلام يخيم على أفكارهم ، وسحب الدخان الصاعدة من الحرائق تحطم كل أمل عندهم . لقد رفضوا الله : " النور الحقيقى " فملكت الظلمة على أعماقهم . لهذا يصرخ المرتل :

" بنورك يارب نعاين النور " مز 36 : 9 .

+ + +

إشعياء - الإصحاح السادس

رؤيا إشعياء ودعوته

يسجل لنا إشعياء النبى رؤياه الشهيرة ، إذ رأى الله القدوس جالسا على كرسى عال ومرتفع وأذنيه تملأ الهيكل ، رآه فى مجده الفائق تسبحه طغمة السيرافيم ، وقد عهد إليه بخدمة النبوة المقدسة .

يتساءل البعض : هل تمتع النبى بهذه الرؤيا قبل تنبؤه بما ورد فى الإصحاحات السابقة أم جاءت بعدها ؟ ولماذا لم يفتتح النبى السفر بها ؟

(1) رؤيا النبى فى الهيكل :

" فى سنة وفاة عزيا الملك رأيت السيد جالسا على كرسى عال ومرتفع وأذنيه تملأ الهيكل " إش 6 : 1

تمتع النبى بهذه الرؤيا فى سنة وفاة عزيا الملك ، ربما بعدما أعلن نبواته السابقة والتى حملت تهديدا للشعب ، فقابلها الشعب بنفور واستخفاف ، لهذا كشف له هذه الرؤيا ليعلمها للشعب مؤكدا أنه يحمل رسالة إلهية ، يقدم كلمة الله .

ظهرت الرؤيا فى سنة وفاة عزيا الملك الذى ملك على يهوذا وهو ابن 16 سنة لمدة 52 عاما وعمل المستقيم فى عينى الرب ، وقد نجح فى كل أعماله : فى الحروب والتعمير ، ولكنه إذ أصابه الكبرياء وأراد أن يوقد للرب على مذبح البخور فضربه الرب بالبرص وهو فى الهيكل ، وطرده الكهنة ، وكان أبرصا إلى يوم وفاته ، معزولا فى بيت بعيد عن قصر الملك

تطلع النبى إلى الشعب فى سنة موت عزيا ليراه منطرحا كغنم بلا راعى ، خاصة وأن الملك كان قد اعتزل الشعب زمانا قبل موته بسبب برصه .

وسط هذه المرارة أعلن الرب هذه الرؤيا لإشعيا من أجل تعزيته : تحققت الرؤيا فى الهيكل غالبا فى وقت انفرد فيه النبى للعبادة الخاصة ، يصرخ إلى الله ليتسلم رعاية شعبه .

ظهر له السيد جالسا على كرسى عال . ومرتفع ليؤكد له أنه هو راعى شعبه السماوى ، أفكاره تعلو عن أفكار البشر ، وطرقه عن طرقهم .

يرى القديس يوحنا الذهبى الفم إن إشعيا وغيره من الأنبياء لم يروا جوهر اللاهوت كما هو إنما يظهر الله لهم خلال تنازله قدر ما يحتملون الرؤيا وذلك من أجل محبته لخليقته ؛ حتى بالنسبة للسمايين وحاملى عرشه فإن كل منهم يراه قدر احتماله أما الجوهر فى ذاته أى فى كماله المطلق فلا يمكن إدراكه .

" السيرافيم واقفون فوقه ، لكل واحد ستة أجنحة ، بآثنين يغطى وجهه وبآثنين يغطى رجليه وبآثنين يطير . وهذا نادى ذاك وقال : قدوس ، قدوس ، قدوس رب الجنود ، مجده ملء كل الأرض " إش 6 : 2 ، 3 .

لعل ما يعزى نفس الخاد هو أن يرتفع قلبه ليرى الخدمة الملائكية ، فيتحقق أن كل متاعب الكنيسة وضعفاتها تنتهى يوما ما لتشارك مع السمايين فى التسبيح أبديا .

قيل أن القديس باخوميوس المصرى كان يرى الكنيسة مملوءة بالملائكة .

السيرافيم هم خدام العرش الإلهى ، يحملون الرب بفرح وتهليل ، يسبحونه بلا انقطاع . وكأن عمل كل خادم أو نبى فى الكنيسة هو جذب كل نفس إلى الرب كعرش له يسكنه ، ويقم ملكوته داخله ، فيصير أشبه بالساروف النارى السماوى . لكل ساروف 6 أجنحة :

بآثنين يغطى وجهه علامة اتسامه بالمخافة الإلهية ، لا يقدر أن يدرك كل البهاء الإلهى ...

وبآثنين يغطى رجليه علامة الحياء – إن صح التعبير -

وبآثنين يطير محلقا فى السماويات .

هكذا يليق بنا أن نتشبه بالساروف ننعم بالمخافة الإلهية فى احتشام مع نمو دائم وارتفاع مستمر نحو السماويات .

" مجده ملء كل الأرض " إش 6 : 3 ، لا يملأ السموات فحسب وإنما الأرض كلها .

يلاحظ فى هذه التسبحة :

أ – أن كلمة " السيد " جاءت بالجمع Adonai وليس بالمفرد Adon ، ربما لهذا السبب مع تكرار كلمة " قدوس " ثلاث مرات رأى القديس غريغوريوس أسقف نيصص تعلن عن مجد الثالوث ، بينما ينسبها الرسول بولس للروح القدس (أع 28 : 25 ، 26) ، والقديس يوحنا للإبن (يو 12 : 41) بينما التقليد اليهودى قديما ينسبها للآب .

ب - دعى الله " رب الجنود " وهو لقب الله فى معركته ضد الشر أو قوات الظلمة ، له معنى تعليمى ، أول من استخدمه حنة أم صموئيل فى تسبحة النصر التى نطقت بها إذ شعرت بأن الله هو سر نصرتها فى معركتها الداخلية .

ج - تستخدم هذه التسبحة فى القداس الإلهى علامة شركة المؤمنين مع السمايين فى العبادة على مستوى سماوى ، بروح الوحدة والإنسجام معا .

" فاهتزت أساسات العتب من صوت الصارخ وامتأ البيت دخانا " إش 6 : 4 .

اهتزت أساسات بيت الرب أمام صرخات الساروفيم التى تمجد الله القدوس وامتأ البيت سحابا كثيفا علامة حلول مجد الله فيه . وعندما دخل السيد المسيح أورشليم اهتزت أيضا المدينة (مت 21 : 10) . ونحن فى حاجة أن يعلن الرب حلوله فىنا . ليقم ملكوته داخلنا ، نشترك مع السرافيم تسبحتهم الأبدية فتهتز أعماق نفوسنا مع إشعيا النبى ، ويعلن مجد الرب فىنا ، وتتقدس أعماقنا فنحسب شهود حق لإنجيله .

(2) تقديس فم إشعيا

إذ نقف فى حضرة الله القدوس يعلن لنا مجده ونكتشف نحن نجاستنا ، كما حدث مع إشعيا النبى : " فقلت : ويل لى إنى هلكت لأنى انسان نجس الشفتين ، وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين ، لأن عيني رأيت الملك رب الجنود " إش 6 : 5

لعل إشعيا أراد أن يشترك مع السرافيم فى تسابيحهم لله فأدرك أنه نجس الشفتين ، وإذ تطلع إلى جماعة السرافيم فى تهليلاتهم أدرك أنه ساكن بين شعب نجس الشفتين .

شعوره بنجاسة شفتيه ونجاسة شفاه شعبه لم يحطم نفسيته ، إنما ملأه رجاء فى الله الذى تمتع برؤياه بكونه " رب الجنود " ، قادر أن يقيم من البشرية جنودا روحيين له . هذا تحقق له ، إذ قال : " فطار إلى واحد من السرافيم ويده جمره أخذها بملقط من على المذبح ، ومس بها فمى وقال : إن هذه مست شفتيك فانترع إثمك وكفر عن خطيتك " إش 6 : 6 ، 7

لقد حملت القديسة مريم كلمة الله متجسدا فيها ، الجمر الملتهب ، الذى يقدر البشرية بدمه الثمين .

(3) إرسالية إشعيا النبى :

بعد هذه الرؤيا اشتاق إشعيا النبى أن يرى شعبه متمتعا بهذه الحياة العلوية ، كأنه يقول مع الرسول بولس : " لى اشتها أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جدا ، ولكن أن أبقي فى الجسد ألزم من أجلكم " فى 1 : 24 . هذا ما يعلنه النبى أيضا بقوله : " ثم سمعت صوت السيد قائلا : من أرسل ومن يذهب لأجلنا ؟ فقلت : هاأذا أرسلنى " إش 6 : 8

هذا هو المنظر الخامس من ذات الرؤيا الذى فيه دعى للعمل النبوى ، لحساب ملكوت الرب ، هذه المناظر هى :

1 - منظر السيد الرب فى مجده (إش 6 : 1) .

2- منظر السرافيم المسبحين له (إش 2 : 3)

3 - اهتزاز أساسات العتب وامتلاء البيت دخانا (إش 6 : 4) .

4 - تقديس شفتى النبى (إش 6 : 5 - 7) .

5 - دعوة إشعيا بصوت الله نفسه (إش 6 : 8 الخ) .

جاءت الدعوة من الله القدير نفسه ، وإذ آمن إشعياء بقدرة الله الخلاصية وعمله التقديسي ، تقدم للعمل مدركاً أنه حيث هو ضعيف فهو بالرب قوى .

قبل الله القدوس عرض إشعياء ، وقال له : " اذهب " إش 6 : 9 . لقد أراد الله ألا يرسل إشعياء من أجل نوال كرامة أو مجد ، إنما ليدخل في مرارة مع شعب رافض الحق .. فالخدمة ليست مراكز كنسية ولا كرامات إنما هي جهاد روحي من أجل غسل أقدام الآخرين وحثهم على قبول الحق ..

وضع الرب كلماته على فم النبي : " تسمعون سمعاً ولا تفهمون ، وتبصرون أبصاراً ولا تعرفون " إش 6 : 9 .

لقد وضع الرب في فم إشعياء نبوات كثيرة عن السيد المسيح وعمله الخلاص ، وقد تحققت عند مجيء السيد المسيح ، لقد سمعوا ورأوا لكنهم لم يؤمنوا به ، لأن بصيرتهم الداخلية قد أصابها العمى ، وذلك على عكس التلاميذ الذين قال لهم الرب :

" طوبى لأعينكم لأنها تبصر ولأذانكم لأنها تسمع " مت 13 : 11 - 16 .

ما هي علة عدم قدرتهم على الإيمان ؟ : إنهم لم يريدوا . الله رآهم إرادتهم الفاسدة لذلك سبق أن أخبر النبي بذلك لأن المستقبل ليس مخفياً عنه ..

" غلظ قلب هذا الشعب وثقل أذنيه وأطمس عينيه لئلا يبصر بعينه ويسمع بأذنيه ويفهم بقلبه ويرجع فيشفى " إش 6 : 10 .

يلاحظ هنا أن الله لا ينسب هذا الشعب إليه ، بل يدعوه " هذا الشعب " ، وهذه عادة ما تحدث عندما يعلن الله غضبه عليهم فيحسبهم غير أهل للانتساب إليه بسبب غلاظة قلوبهم وثقل آذانهم وعمى أعينهم ، أى بسبب العنف (القسوة) ، والعصيان ، والجهل الروحي .

حزن إشعياء النبي إذ أدرك ثقل المسؤولية الملقاة عليه وما تنتظره من متاعب وآلام ، كما حزن إذ أدرك ما سيحل بالشعب من دمار حتى تصير المدن خربة بلا ساكن والبيوت بلا إنسان وتخرب الأرض وتقف (إش 6 : 11) ، فصرخ : " إلى متى أيها السيد الرب ؟ " إش 6 : 11 . هلى كان يسأل : إلى متى يبقى هذا الشعب فى القساوة ؟! أم يسأل : إلى متى أعلن نبوات مرة هكذا وقاسية ؟!

كشف له الرب عن حال الشعب بع انكساره أمام سنحاريب ، فأعلن أنه وإن بقى فى البلاد العشر [10/1] (إش 6 : 13) يعود فيقيم الشعب خلال هذه البقية ويجعل منهم زرعاً مقدساً . بهذا ينتبأ عن السبى وما يحدث بعد السبى . وفى نفس الوقت تعتبر نبوة عن سبى اليهود فى جحودهم الإيمان بالسيد المسيح مخلص العالم ، لكن فى آخر الأيام تبقى بقية تعود للإيمان به . يقول الرسول بولس : " إن القساوة قد حصلت جزئياً لإسرائيل إلى أن يدخل ملوء الأمم ، وهكذا سيخلص جميع إسرائيل " رو 11 : 25 ، 26 .

+ + +

إشعياء - الإصحاح السابع

خلاص آحاز والخلص المسيانى

كان آحاز من أشرك ملوك يهوذا ، عرف بالرياء والجبن ، أجاز ابنه فى النار وقدم ذبائح للأوثان فى المرتفعات وتحت كل شجرة خضراء .

فى بدء حكم آحاز تحالف آرام مع إسرائيل (افرايم) ضد يهوذا ، وقاما بالهجوم عليه فقتل ففح ملك إسرائيل 120 ألفاً فى يوم واحد بينما أسر رصين ملك آرام الكثيرين . أراد الأثنان فتح أورشليم لكن الله حفظها ، وقد طمأن آحاز على لسان إشعياء بالرغم من فساد آحاز ، معلناً اهتمامه بخلاص شعبه ومدينته .

انتقل إشعياء من هذا الخلاص الزمنى إلى الحديث عن الخلاص الأبدى الذى يحققه عمانوئيل المسيا .

(1) تحالف رصين وفتح ضد آحاز

فى بدء حكم آحاز تحالف رصين ملك آرام مع ففتح بن رمليا ملك إسرائيل ضد يهوذا (إش 7 : 1) . هجم الأول من جهة شرق الأردن بينما اندفع الثانى بجيوشه من الشمال ، وانهزم آحاز . صعدا إلى أورشليم العاصمة لمحاصرتها ، لكنهما لم يستطيعا اقتحامها . أما سبب المعركة فهو اختلاف آحاز عن الملكين الآخرين سياسيا ، فقد رأى آحاز أن يتحالف مع آشور بينما رأى الملكان أن يتحالفا مع مصر .

وجد آحاز نفسه فى مأزق ، فطلب معونة فلاسر ملك آشور ، الذى أسرع نحو دمشق حيث قتل رصين (2 مل 16 : 9) ، وهكذا فعل أيضا بالسامرة (2 مل 15 : 29) .

(2) خوف آحاز :

إذ عرف آحاز أن آرام حل فى افرايم (المملكة الشمالية أو إسرائيل) للتحالف معا ضده:

" رجف قلبه وقلوب شعبه كرجفان شجر الوعر قدام الريح " إش 7 : 2 . لقد أدرك آحاز وشعبه عدم قدرتهم على مواجهة آرام وإسرائيل ، أما علة خوفهم الحقيقى فهو عدم إيمانهم بالله كسند لهم قادر أن يحصنهم ويهبهم النصر . لقد فقدوا سلامهم الداخلى بانعزالهم عن الله مصدر الغلبة والسلام .

(3) إشعياء يطمئن آحاز :

اضطرب آحاز جدا ، لأنه أسقط من حساباته عنصر الإيمان أو " الوجود الإلهى " فلم يناد بالتوبة والرجوع إلى الله ، ولا ذهب إلى الهيكل ليضع الأمر بين يدى الله ، ولا أرسل إلى إشعياء النبى يستشيريه ، إنما استخدم الوسائل البشرية من إلتجاء إلى آشور لحمايته ، وخروجه إلى طرف قناة البركة العليا (إش 7 : 3) غرب أورشليم على رأس وادى ابن هنوم يختبر مع رجال الدولة موارد المياه ليحولونها إلى المدينة تنتفع بها أثناء الحصار المرتقب ولحرمان العدو منها (2 أى 22 : 3 ، 4 إش 22 : 9 - 11) كما كان يباشر تحصين المدينة قدر المستطاع .

مع هذا كله تدخل الله ليس من أجل آحاز وإنما من أجل القلة القليلة المقدسة من شعبه ، ومن أجل داود عبده ومدينته العزيزة لديه . لقد طلب من إشعياء أن يخرج لملاقاة آحاز ومعه شأرياشوب [= البقية سترجع] بكونه علامة وأعجوبة فى إسرائيل (إش 8 : 8) ، مؤكدا له :

" احترز وأهدأ ؛ لا تخف ولا يضعف قلبك من أجل ذنبى هاتين الشعلتين المدخنتين بحمو غضب رصين وأرام وأبن رمليا " إش 7 : 4 .

التقى النبى وابنه مع الملك عند البركة ليعلن الله للملك أن الخلاص لن يتم بالتخطيط البشرى والإمكانات الزمنية وإنما بعمل الله الفائق وعنايته نحو أولاده . التقى النبى مع الملك عند البركة ليؤكد له أن الله يريد أن يتحدث مع البشرية أينما وجدوا ، يلتقى مع لاوى عند مكان الجباية ومع زكا عند شجرة الجميز ومع السامرية عند بئر يعقوب الخ .. هو يبحث عنا ويذهب إلينا أينما وجدنا مشتاقا إلى خلاصنا أكثر من إشتياقنا نحن إليه .

طلب الله من آحاز ألا يخاف ولا يضعف قلبه ، للأسباب :

أ - أن العدوين ليسا إلا شعلتين مدخنتين ، قد تعكر الجو ولكن بلا نار ملتهبة لتحرق . عدو الخير قوى وجبار فى المظهر لكنه يصغر جدا ويضعف تماما أمامنا إن اختفينا فى المسيح الغالب لإبليس وكل قواته .

ب - عدم نجاح مؤامرة الأعداء : قام الملكان بمؤامرة شيطانية خفية لكن الله المدرك كل الخفيات أعلنها حتى يحتاط الملك آحاز بالرغم من شره وغبائه . يقول الرب : " لا تقوم ، لا تكون " إش 7 : 7 . قد ينجح العدو في البداية حاسبا أنه يحقق أهدافه الشريرة ، لكن الرب يشتت المستكبرين بفكر قلوبهم (لو 1 : 51) .

ج - لن يقدر آرام أن يتوسع كما ظن إنما يلتزم حدوده : " لأن رأس آرام دمشق ورأس دمشق رصين " إش 7 : 8 .

هكذا مهما حارب رصين فسيعود إلى دمشق ولا تنتسج مملكته على حساب يهوذا كما يظن . أما بالنسبة لأفرايم ففي مدة 65 سنة ينكسر حتى لا يعود يحسب شعبا (إش 7 : 8) .

ختم النبي حديثه بقوله : " إن لم تؤمنوا فلا تؤمنوا " إش 7 : 9 . فإنهم ما لم يؤمنوا بالوعد الإلهي ويثقوا فيه متكلين على ذراع الرب لن يثبتوا في هذه الظروف القاسية الصعبة . الإيمان هو الذرع (1 تس 5 : 8) الذي يحمينا من ضربات العدو .

(4) آحاز يرفض طلب آية :

قدم الله لآحاز كل إمكانيات الخلاص ، لكن قلبه كان قد تقسى تماما فوثق في أشور لا الله . ومع ذلك فإن الله في حبه ولطفه عاد يتحدث معه خلال إشعياء النبي قائلا : " اطلب لنفسك آية من الرب إلهك ؛ عمق طلبك أو رفعه إلى فوق " إش 7 : 11 . وكأنه يقول له : لماذا تطلب عوناً من أشور الغريب ، أنا هو إلهك مستعد أن أؤكد لك مواعيدى بآية من الأرض أو من السماء ، فأنا إله السماء والأرض . أطلب ما تريد وأنا أعطيك . أطلب أن تحدث زلزلة أو انشقاق للأرض كما حدث مع قورح وجماعته ، أو اطلب بروقا أو رعودا أو أمطارا أو علامة في الشمس كما حدث مع يشوع حيث توقفت الشمس . فإننى وإن كنت لا أحب تقديم آيات للاستعراض إنما من أجل حبي لبني داود ولكي تؤمن بي أعطيك سؤل قلبك . أما آحاز فقد صوب نظره نحو أشور ، رافضا آية معونة من قبل الله ، لذا رفض طلب آية منه ، مبررا ذلك بنص كتابي : " لا أجرب الرب " إش 7 : 12 (تث 6 : 16) . لم يقل هذا عن ثقة في الله وإنما رغبة في عدم التعامل معه .

هذا الفصل يقرأ في باكر من يوم الجمعة من الأسبوع الثاني من الصوم الكبير حيث تركز القراءات على " تجربة السيد المسيح " . وكان روح الرب يؤكد أنه في كل العصور يوجد أشرار يرغبون في تغطية شرورهم بنصوص كتابية ، حتى الشيطان نفسه في حوار مع السيد المسيح عند التجربة استخدم ذات الأسلوب . ما أخطر إساءة استخدام كلمة الله !

كان آحاز مخادعا في إجابته حتى على الرب ، لهذا وبخه النبي قائلا : " اسمعوا يا بيت داود ؛ هل هو قليل عليكم أن تضجروا الناس حتى تضجروا الهي أيضا ؟! " إش 7 : 13 . لقد تضجر الناس بسبب مظالم آحاز وأهل بيته وها هم كمن يضجرون الله بعدم إيمانهم به متكلين على أشور لا الرب .

(5) الآية الإلهية : عمانوئيل

... ها هو الرب يقدم نفسه آية لا آحاز وإنما لكل البشرية لنطمئن أنه بخلصها لا من الأذرع البشرية وإنما من كل قوات الظلمة الشريرة ، يرفعها فوق الأحداث الزمنية ويحملها معه إلى الأحضان الأبوية . وفي نفس الوقت يطمئن آحاز أن بيت داود لن يسقط تماما ، إنما يأتي ابن داود " الآية العجيبة " القادر أن يقيم خيمة داود الساقطة .

الآية التي يريد الرب أن يهبها لكل مؤمن هي أنه يعطى ذاته " عمانوئيل " .. حقا إنها آية فريدة ، كما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم : [لما كان ما هو مزعم أن يحدث أمرا غريبا لكثير من أن يصدقوه حتى عندما يتحقق لهذا أرسل أولا وقبل كل شيء أنبياء يعلنون عن هذه الحقيقة] ...

أ – " ها العذراء تحبل وتلد ابنا وتدعو اسمه عمانوئيل "

إش 7 : 14 .

من الواضح للجميع أنه لم يولد أحد في جنس ابراهيم من عذراء أو قيل عنه ذلك إلا مسيحنا .. بتولية القديسة مريم حقيقة إنجيلية .. تخفى إيماننا في المسيح يسوع ابنها أنه ليس من زرع بشر .. فإن كلمة الله عند تجسده لم يبال بنوع الموضع الذي يضطجع فيه (المذود) ، أو الملابس التي يتقمط بها ، أو الطعام الذي يقتات به ، لكنه حدد بدقة " العذراء " التي تصير له أما .

الكلمة العبرية المستخدمة لعذراء هي " ألما Alma " وليس " بتولية " ولا " ايسا " ، فإن كلمة " ألما " تعني عذراء صغيرة يمكن أن تكون مخطوبة ، أما " بتولية " فتعني عذراء غير مخطوبة بينما ايسا تعني سيدة متزوجة . وكأن كلمة " ألما " تطابق حالة القديسة مريم تماما بكونها عذراء وفي نفس الوقت مخطوبة للقديس يوسف الذي كان لها مدافعا وشاهدا أميناً على عفتها ، بوجوده ينتزع كل ريب أو ظن حولها .

تحدث حزقيال النبي (44 : 1 – 2) عن بتولية القديسة مريم :

+ حزقيال شهد وأظهر لنا هذا ، قائلا :

إنى رأيت بابا ناحية المشارق ،

الرب المخلص دخل إليه ، وبقي مغلقا جيدا بحاله .

أبصالية آدم يوم الأحد

+ ميلادك الإلهي يارب قد وهب البشرية كلها ميلادا ..

ولدتك البشرية حسب الجسد ، وأنت ولدتها حسب الروح ..

المجد لك يا من صرت طفلا لكي تجعل الكل جديدا .

القديس مار إفرام السرياني

ب – " زبدا وعسلا يأكل متى عرف أن يرفض الشر ويختار الخير " إش 7 : 16 .

هنا يؤكد النبي ناسوت السيد المسيح ، فمع كونه ليس من زرع بشر لكنه صار بحق ابن الإنسان ، يشاركنا أكلنا وتصرفاتنا ويشابهنا في كل شيء ما خلا الخطية وحدها (عب 2 : 7) .

الزبد والعسل هما طعام الصبية الصغار ، فإنه لن يبلغ الرجولة دفعة واحدة ، إنما يجتاز مرحلة الصبوة ، خلالها يعرف أن يرفض الشر ويختار الخير علامة نضوج نفسه وفكره . نراه في الثانية عشرة من عمره يجلس وسط المعلمين يسمعهم ويحاورهم حتى بهتوا من تعليمه (لو 2 : 46 ، 47) .

هذا تحقق بالنسبة لربنا يسوع المسيح المولود وحده من العذراء ، أما بالنسبة لما تم في أيام آحاز فقد أعلن الله عن ميلاد ابن لأشعيا ، قيل عنه : " لأنه قبل أن يعرف الصبي أن يرفض الشر ويختار الخير تخلق الأرض التي أنت خاش من ملكيها " إش 7 : 16 .

تحقق ذلك بدقة إذ هاجم ملك آشور دمشق بعد إعلان هذه النبوة بفترة قصيرة وقتل رصين (2 مل 16 : 9) كما قتل هوشع بن إيلة فقح بن رمليا وملك عوضا عنه (2 مل 15 : 30) ، وأعيد 200000 أسير بسرعة ، وذلك لا بالقوة ولا بالقدرة بل بروح الرب (2 أى 28 : 8 - 15) .

(6) آشور الحليف يصير عدوا :

إذ يتكئ آحاز على آشور كحليف له دون الرجوع إلى الرب لهذا يسمح الله أن ينقلب آشور عدوا ضد يهوذا ، ويجتاز يهوذا مرارة لم يسبق له اجتيازها منذ انقسمت المملكة إلى مملكتين " إسرائيل ويهوذا " (إش 7 : 17) ، وفي نفس الوقت يرى أياما صعبة من جهة مصر فيصير يهوذا بين حجرى رحا ، لا بمعنى أن يتفق آشور ومصر ضده ، وإنما يتصارع الاثنان ضد بعضهما ويكون يهوذا هو كبش الفداء للأثنين ، فى أرضه تحدث المعارك والصراعات .

" ويكون فى ذلك اليوم أن الرب يصفر للذباب (جيوش مصر) الذى فى أقصى ترع مصر ، وللنحل (جيوش آشور) الذى فى أرض آشور ، فتأتى وتحل جميعها فى الأودية الخربة وفى شقوق الصخور وفى كل غاب الشوك وفى كل المراعى (أى تغطى الجيوش كل بقاع يهوذا) (إش 7 : 18 ، 19) .

هذا ويصور الرب الخراب الذى يحققه آشور بموسى مستأجرة تحلق شعر الرأس وشعر الرجلين واللحية (إش 7 : 20) . وكأن العدو يمد يده كما بموسى ليمسح كل ما لدى الملك وأهل بيته والعظماء (الرأس) وما لدى عامة الشعب (الرجلين) وأيضا الكهنة (اللحية) . هكذا يتحول آشور إلى موسى مخرب ومحطم ! حلق اللحية كان علامة المذلة إذ كان الأسرى يلتزمون بذلك لا إراديا .

مرة أخرى يعطى صورة لخراب يهوذا التى اشتهرت بتربية الأغنام ، فكان كل إنسان يملك الكثير من الرؤوس ، لكن بعد الخراب يصير للمقتدر عجلة بقر وشاتين (إش 7 : 21) ، وتتحول الكروم الجيدة إلى أرض للشوك والحسك (إش 7 : 23) ، إذ لا توجد أيد عاملة بسبب الحرب ...

+ + +

إشعياء – الإصحاح الثامن

مهير شلال حاش بز

فى الإصحاح السابق تحدث الله مع آحاز الملك خلال إشعياء النبى الذى أعلن عن تدخل الله لإنقاذ أورشليم من آرام وإسرائيل ، وقد انجب النبى ابنه الأول شارياشوب [= البقية سترجع] ليؤكد أن المسيبين من يهوذا يرجعون سريعا . الآن يتحدث الله مع الشعب فى ذات الأمر وتحت نفس الظروف ، وينجب النبى الإبن الثانى المدعو مهير شلال حاش بز (= أسرع إلى السلب ، بادر إلى النهب) ليؤكد أن آشور قادم سريعا ليسلب آرام وينهب إسرائيل متقدما أورشليم ، وفى نفس الوقت ينذر شعب يهوذا لإتكاله على آشور لا على الرب .

(1) غلبة آشور على آرام وإسرائيل :

بأمر الهى أخذ إشعياء النبى لوحا كبيرا كتب عليه بحروف واضحة " مهير شلال حاش بز " وتعنى " أسرع إلى السلب ، بادر إلى النهب " . وضع إشعياء النبى اللوح فى مكان ظاهر فى الهيكل لكى يقرأه الكل ، وقد شهد كاهنان عليه هما : أوريا وزكريا ، أوريا كان رئيس كهنة فى أيام آحاز ومشيره الروحى والمشارك معه فى العبادة الوثنية . فقد أقام مذبحا على شبه الأراميين رآه حزقيا فى دمشق ، ليقدم الملك عليه ذبائح (2 مل 16 : 10 - 16) .

وقع الكاهنان على اللوح كشاهدين أن ما كتبه كان قبل حدوث الأمر .

يعلن إشعياء النبي أنه عندما يبلغ ابنه مهير شلال حاش بز حوالى سنة واحدة من عمره تتحقق النبوة ضد آرام وإسرائيل ، إذ يقول : " قبل أن يعرف الصبى أن يدعو يا أبى ويا أمى تحمل ثروة دمشق وغنيمة السامرة قدام ملك آشور " إش 8 : 4 . وقد تم ذلك بواسطة تغلث فلاسر ملك آشور (2 مل 15 : 29 ؛ 16 : 9 ؛ 1 أى 5 : 26) .

(2) إنذار بنى يهوذا :

إن كان الله يدافع عن خلاص أورشليم ، لكنه لا يدافع عن خطاياهم ولا يتستر عليها بل يطلب التوبة عنها والرجوع إليه . يقول :

" لأن هذا الشعب رذل مياة شيلوه الجارية بسكوت وسر برصين وابن رمليا " إش 8 : 6

ماذا يعنى رذل الشعب مياة هذا النهر ؟ هذا يشير إلى استخفافهم بما وهبهم الله " مملكة يهوذا " متطلعين إلى ما هو لدى الغير " الأذرع البشرية " . لقد فقدوا إيمانهم بالله واهب النصر وخشوا رصين وابن رمليا الغربيين والمقاومين ليهوذا ملتجئين إلى من ينقذهم منهما .

هم رفضوا مجرى الماء الهادى الذى يشير إلى الروح القدس طالبين المياة الغامرة القوية ، لذلك يؤدبهم الرب بأن :

" يصعد عليهم مياة النهر القوية والكثيرة ، ملك آشور وكل مجده " إش 8 : 7 .

لقد أنقذ تغلث فلاسر الأشورى يهوذا ، لكن سنحاريب الأشورى هجم بقوة على يهوذا وبلغ إلى العنق وحاصر الرأس أورشليم ، وكادت أن تسقط لولا تدخل الله : " يفيض ويعبر يبلغ العنق ويكون بسط جناحيه (فرعى نهر الفرات) ملء عرض بلادك يا عمانوئيل " إش 8 : 8 .

هكذا يسمح الله بالتأديب فتحل التجارب كالسيل الجارف لكى تبلغ إلى أعناقنا ، لكنه يحفظ الرأس (إيماننا بالسيد المسيح رأسنا) فوق سيول التجارب حتى لا يفنى إيماننا فنهلك (لو 22 : 32) ، لأننا أرض عمانوئيل ، ملك الرب ، مهما حاول العدو أن يبسط جناحيه فى داخلنا .

(3) بلاد عمانوئيل :

بينما يتحدث النبي عن الأمور الجارية فى عهده إذا بالرب يرفع أنظاره وأنظار المؤمنين نحو عمل المسيح الخلاصى . الله فى حبه يترفق بشعب يهوذا فيخلصهم من تحالف آرام وإسرائيل ضدهم ، وفى نفس الوقت إذ يخطئ الشعب بالإتجانه إلى آشور يصير آشور نفسه مقاوما لهم . هذا ما سمح به الله ، لكنه لم يسمح بإبادة يهوذا تماما ، لأن منه يخرج السيد المسيح ، الأسد الخارج من سبط يهوذا . يسمح بالغزو الأشورى يفيض حتى عنق يهوذا لكنه لا يصيب الرأس . إذ يتجسد كلمة الله من سبط يهوذا – من القديسة مريم – ويحل بيننا عمانوئيل الذى يقيم من قلوبنا أرضا أو مملكة له .. هذا ما دفع النبي إلى الانتقال المفاجئ من مشكلة يهوذا فى عصر النبي أو بعده بقليل إلى الحديث عن القوى المتحالفة ضد عمانوئيل ، قائلا :

" هيجوا أيها الشعوب وانكسروا واصنعوا يا جميع أقاصى الأرض ، احتزموا وانكسروا . تشاوروا مشورة فتبطل . تكلموا كلمة فلا تقوم لأن الله معنا " إش 8 : 9 ، 10 .

لم يقف الأمر عند آشور الذى انهيار حيث مات 185000 رجلا منهم فى المعركة وإنما يعلن النبي عن سقوط كل قوى العالم المقاومة للحق : آشور يليها بابل ثم فارس ومادى والدولة الرومانية (إش 54 : 17 ، مى 4 : 13) .

وبالأكثر قصد قوات الظلمة الروحية المقاومة لمملكة المسيح . يعلن النبي أن هياج الأعداء وتحالفهم ومشوراتهم الشريرة ضد الكنيسة ، موجهة ضد عمانوئيل الحال فى وسطها ، لهذا تنهار قوات الظلمة وتتمتع الكنيسة الحقيقية بالعلبة .

هذا الصوت النبوى يصرخ ضد كل مقاومى المسيح ، معلنا ما قاله الرب نفسه لشاول :

" لماذا تضطهدنى ؟! .. صعب عليك أن ترفض مناخس " أع 9 : 4 ، 5 .

ليفعل العدو كل ما فى وسعه مقاوما المؤمنين ، فإنه إنما يحطم نفسه .

(4) تشكيك وتعثر فى عمانوئيل :

يبدو أن البعض لم يصدق كلمات النبى وحسبوا ذلك فتنة سياسية أو خيانة وطنية ومقاومة للملك والسلطات .. كى لا يلجأ يهوذا إلى آشور فيهلك على أيدى الآراميين وإسرائيل . لقد أمسك الرب كما بيد إشعياء ليشده (إش 8 : 11) . يرى البعض أن إشعياء نفسه – كإنسان – مال أحيانا إلى رأى الملك ومشيريه والشعب ، لكن الله مصر أن يوضح له الطريق وإن كان مخالفا لرأى الجماعة ، لذا يقول : " لا تخافوا خوفه ولا ترهبوا ، قدسوا رب الجنود فهو خوفكم وهو رهبتكم " إش 8 : 12 ، 13 .

كل نفس أمينة فى خدمة الرب تقاوم ، لكن الرب نفسه يسندها لا لكى تعمل فحسب وإنما لكى تسند الآخرين وتشجعهم على العمل بروح الله القدوس ، متطلعين لا إلى المقاومة بل إلى مساندة رب الجنود لهم . ما أروع كلمات الرب تلك ..

ليس إشعياء وحده يقاوم ولا أيضا الأمناء من المؤمنين ، إنما يصير " عمانوئيل " نفسه مقاوما وحجر صدمة لكثيرين :

" ويكون مقدسا وحجر صدمة وصخرة عثرة لبنى إسرائيل وفخا وشركا لسكان أورشليم ، فيعثر بها كثيرون فينكسرون ويلقون فيلقطون " إش 8 : 14 ، 15 .

إنه " مقدس " أو " حجر مقدس " بالنسبة للمؤمنين الذين يلجأون إليه ويتمسكون به لحمايتهم وخلصهم ، هو " حجر الأساس " و " حجر الزاوية " يربط المؤمنين من اليهود مع المؤمنين من الأمم كحائطين يلتقيان معا فيه . وفى نفس الوقت هو حجر عثرة وصدمة لغير المؤمنين .

(5) البقية المقدسة لله :

ما حدث مع السيد المسيح – أن رفضه أهل بيته من اليهود ولكن قبلته قلة مثل التلاميذ والرسل والمريمات وبيت لعازر – تم مع إشعياء بصورة باهتة بكونه رمزا للمسيح ، إذ صار له هو أيضا تلاميذ أمناء .

" صر الشهادة اختتم الشريعة بتلاميذى " إش 8 : 16 . قبلت القلة المقدسة كلمات إشعياء النبى بكونها نبوات صادقة وكلمة إلهية ، حاسبين كلماته إعلانا عن فكر الله وإرادته المقدسة . هؤلاء دعاهم النبى تلاميذه وأيضا " الأولاد الذين أعطانيهم الرب " إش 8 : 18 .

هؤلاء يلزمهم أن يختموا أو يصروا على ما سمعوه ، لأن هذه النبوات يجب أن تبقى محفوظة حتى أزمنة العهد الجديد ، حيث تعلن للأطفال البسطاء (مت 11 : 25) . ختمها أيضا يعنى الإلتزام بعدم الإضافة إليها أو الحذف منها .

ما ذكره إشعياء يبدو فى عصره أنه أمر مستحيل يجب مقاومته لهذا كان يلزمه هو وتلاميذه أن يتسلحوا بالصبر للرب (إش 8 : 17) . عاشوا فى جو مقبض : الرب سائر وجهه عن شعبه (إش 8 : 17) . الأمر الذى أحزن قلب إشعياء وتلاميذه ؛ وفى نفس الوقت يتطلع إليهم الشعب كغرباء عنهم وشواذ مملوئين حماقة . فيقول : " هاأنذا والأولاد الذين أعطانيهم الرب آيات وعجائب فى إسرائيل من عند رب الجنود " إش 8 : 18 . يعنى أن إشعياء وتلاميذه أشبه بآيات وعجائب بالنسبة للشعب ، إذ يختلفون عن الكل فى إيمانهم وسلوكهم وأفكارهم نحو الرب .

(6) الإلتجاء إلى العرافين :

شعر الشعب كأن الله قد حجب وجهه عنهم لهذا بدأوا يطالبون المسؤولين – ربما من بينهم بعض تلاميذ إشعياء – أن يلجأوا إلى أصحاب التوابع والعرافين لطلب المشورة والتعرف على الأمور المستقبلية . يدعوهم النبي " المشقشين والهامسين " إيش 8 : 19 . لأنهم يتكلمون بصوت خافت كما من عالم آخر ليتقنوا تمثيل دورهم .

ماذا يعنى الإلتجاء إلى العرافة ؟ فقدان الإنسان كل ملجأ أو عون له ، ذلك كما حدث مع شاول الملك . شعر أنه فى عزلة عن الله ، وعن أنبيائه ، حتى الشعب تراجع عنه فلجأ إلى الموتى يسألهم خلال صاحبة العرافة .

فى اختصار سقط بنو يهوذا فى خطبتين خطيرتين هما : الإلتجاء إلى التحالف البشرى عوض الإتكال على الله ، والرجوع إلى العرافة والموتى عوض التمتع بكلمة الله الحية الواهبة استنارة وقوة .

هذه الصورة المؤلمة تعلن عن حقيقة هامة :

الحاجة إلى مخلص الهى !

+ + +

إشعياء - الإصحاح التاسع

المولود العجيب

إذ يشتد الظلام ينبجج الفجر لتشرق الشمس على الجالسين فى الظلمة ، هكذا ختم الإصحاح السابق بصورة قاتمة عن الشعب الذى صار فى ضيق شديد وظلمة ، لذا جاء هذا الإصحاح يحدثنا عن مجيء المسيا " شمس البر " الذى يبدد الظلمة ، والذى يمد يده بالحب منتظرا رجوع الكل إليه .

(1) نور أشرق فى الظلمة :

جاء ختام الإصحاح السابق قاتما للغاية ، لهذا بدأ هذا الإصحاح بكلمة " ولكن ... فإن الله لا يترك شعبه هكذا ، لكنه يريد أن يشرق عليهم بنوره .

" ولكن لا يكون ظلام للتى عليها ضيق كما أهان الزمان الأول أرض زبولون وأرض نفتالى يكرم الأخير طريق البحر عبر الأردن جليل الأمم . الشعب السالك فى الظلمة أبصر نورا عظيما . الجالسون فى أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور " إيش 9 : 1 ، 2 .

وقد تمت هذه النبوة بظهور السيد المسيح وكرازته فى جليل الأمم . يقول الإنجيلي : " لكى يتم ما قيل بإشعياء النبي القائل : أرض زبولون وأرض نفتاليم طريق البحر عبر الأردن جليل الأمم ؛ الشعب الجالس فى ظلمة أبصر نورا " مت 4 : 14 – 16 .

اتسمت هذه المنطقة بالضعة ، فيقول نثنائيل : " أمن الناصرة يمكن أن يكون شيء صالح ؟! " يو 1 : 46 . لعل هذا يرجع إلى أن هذه البقعة . (جليل الأمم) تقع على حدود الأمم ، فكانت معرضة للغزوات ، وبسبب اختلاطها بالأمم الوثنية المجاورة أخذت الكثير عن العادات الوثنية وظلت فترات طويلة فى انحلال روحى ، لذلك وصفها النبي : " الشعب الجالس فى الظلمة " .

+ سكن فى الجليل حتى يرى الجالسون فى الظلمة نورا عظيما

+ فليز الجالسون فى ظلمة الجهل نور كمال المعرفة العظيم ،

الأمور القديمة عبرت ، هوذا الكل قد صار جديدا (1 كو 5 : 17) ،

الحرف انتهى وتقدم الروح ، الظلال هربت وجاء إليهم الحق .

القديس غريغوريوس النزينزى

+ بالإيمان يخرجون من الظلمة وموت الخطية إلى النور والحياة .

القديس أغسطينوس

+ يشرق نور اللوغوس الذى هو الحياة فى ظلام نفوسنا ،

يأتى إلى حيث يوجد رؤساء هذه الظلمة المقاومين لجنس البشر

لإخضاعهم للظلمة ، هؤلاء الرؤساء لا يثبتون فى

قوتهم إذ يشرق عليهم النور الذى جاء ليجعل من البشر أبناء للنور .

العلامة أوريجانوس

الله لا يسمح للظلمة أن تدوم إنما يشرق بنوره .. فماذا يحدث ؟

أ – " أكثرت الأمة " إش 9 : 3 ، بالرغم من سقوطها تحت التأديب بضربات قاسية لكنها تنمو وتكثر برحمة الله ونعمته .

ب – " عظمت الفرحة " إش 9 : 3 تفرح الأمة كما فى يوم الحصاد أو يوم التمتع بغنيمة ، وكأن سر فرحها هو الحصاد الكثير والغلبة أو النصر على العدو .. عدو الخير .

الفرحة هوسمة كنيسة العهد الجديد المتهللة بالحياة الإنجيلية وسط الآلام ، تفرح من أجل حصادها المستمر لنفوس كثيرة لحساب ملكوت الله ، وتتمتع بغنيمة النصر على عدو الخير . حياتها تهليل مستمر من أجل النفوس التائبة والمتمتعة بالخلاص ومن أجل نصراتها غير المنقطعة .

ج - التمتع بحرية مجيدة :

" لأن نير ثقله وعصا كتفه وقضيب مسخره كسرتهم كما فى يوم مديان " إش 9 : 4 .

تتحرر من النير الثقيل والعصا وقضيب السخرة ، كرمز للحرية والخلاص من عبودية إبليس خلال الصليب ، فلم يعد لإبليس أو قواته سلطان على المؤمن المتمتع بحرية مجد أولاد الله .

(2) المولود العجيب :

سر تمتع الأمة بالنمو المستمر والفرح الدائم مع الحرية المجيدة هو مجيء المسيا كمخلص وغال ومنتصر باسم البشرية ضد الأعداء . جاء ابن الله متأنسا ليحمل نير الصليب بإسمنا فيهبنا كل امكانيات الخلاص . إذ يقول النبي : " لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابنا ، وتكون الرئاسة على كتفه ويدعى اسمه عجيبا مشيرا إليها قديرا أبا أبديا لنمو رياسته وللسلام لا نهاية على كرسى داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن وإلى الأبد ، غيرة رب الجنود تصنع هذا " إش 9 : 6 ، 7

كانت البشرية المؤمنة تترقب التجسد الإلهي حيث يأتي ابن الله الذي هو الخالق واهب الحياة ومجدها ليقوم طبيعتنا الميتة الفاسدة إلى صلاحها الذي خلقت عليه ، بإعادة خلقتها وتجديدها المستمر فيهبها استمرارية الحياة مع الفرحة والحرية .

أ – " لأنه يولد ولد ونعطى ابنا " ، أى يتأنس فيصير ابن الله ابن الإنسان ، ويحسب ولدا ، يحمل طبيعتنا الناسوتية حقيقة في كمال صورتها بغير انفصال عن لاهوته ودون امتزاج أو خلط أو تغيير . يشاركنا حياتنا البشرية ما عدا الخطية ويبقى كما هو " ابن الله " ... يقول الرسول : " فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك هو أيضا كذلك فيهما لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أى إبليس " عب 3 : 14 .

ب – " وتكون الرئاسة على كتفه " ، فقد ملك على خشبة كقول المرتل ، خشبة الصليب التي حملها على كتفه بكونها عرش حبه الإلهي .

ج – " يدعى اسمه عجيبا " ، لأنه فائق الإدراك ، أعطى اسما فوق كل اسم لكي تجثو باسمه كل ركبة ممن في السماء وممن على الأرض ومن تحت الأرض (فى 2 : 9 – 11)

د – " مشيرا " ، بكونه " حكمة الله " 1 كو 1 : 24 ، المذخر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم (1 كو 2 : 3) . جاءت الترجمة السبعينية " رسول المشورة العظيمة " ... ما هي هذه المشورة العظيمة التي أرسله الأب من أجلها ؟ اعلان السر الإلهي للبشر ، والكشف عن الأب الذى لا يعرفه إلا الإبن ومن أراد الإبن أن يعلن له .

هـ - " إليها قديرا " : إله حق من إله حق ، واحد مع الأب فى الجوهر ، القادر وحده أن يجدد طبيعتنا بكونه الخالق ، والشفيع الذى يقدر وحده أن يكفر عن خطايا العالم كله .

و- " أبا أبديا " يلحق اللقب " إله قدير " بـ " أب أبدي " ، ليعلن أن قدرة السيد المسيح ، الإله الحق ليست فى إبراز جبروت وعظمة إنما بالحرى فى تقديم أبوة حب فريدة نحو البشرية ، خلالها ننعم بقدرة المسيح فينا .

ز- " رئيس السلام " ، هو ملك السلام (1 تس 5 : 33) ، الذى يقدم لنا دمه من أجل مصالحتنا مع الأب ، فنحمل سلاما داخليا معه (رو 5 : 1) ، سلاما مع الله ومع أنفسنا ومع إخواننا ، محطمين سياج العداوة الداخلية والخارجية .

فى اختصار يعلن إشعياء النبي عن هذا المولود العجيب القدير ، الذى لا يخلص آحاز من مقاومة أعدائه إنما يقيم مملكة جديدة أساسها كرسى داود .

كلمة الله فى محبته غير المحدودة يتنازل ليصير إنسانا لكى يضىء للجالسين فى الظلمة ، يشرق عليهم بنوره الإلهى واهبا إياهم نور المعرفة ، مقدما لهم حياته سر فرح وتهليل ونصرة مستمرة ، أما الإنسان - فعلى العكس - يتشامخ بالكبرياء ، حاسبا فى نفسه أنه قادر بذراعه البشرى على تحقيق الخلاص .

فى هذا الفصل ثلاثة أبيات شعرية فى العبرية تنتهى بالعبارة : " مع كل هذا لم يرتد غضبه بل يده ممدودة بعد " إش 9 : 12 ، 17 ، 20 (أيضا إش 10 : 4) .

يرى البعض أن هذه اليد الإلهية الممدودة علامة على دعوة الله للإنسان كى يقترب إليه ويلتقى معه ويتحد به . وأيضا علامة حماية الله له ، وكأنه يؤكد له أنه مهما بلغت العقبات فيد القدير ممدودة لتخلصه من كل شر وتنفذه من المرارة والضيق ، كما هى علامة على التأديب الإلهى النابع عن الحب ، يمد يده ليضغط على الإنسان فيرجع إلى نفسه ويطلب الله معينه .

الله - فى محبته - سمح بالضيق لمملكة إسرائيل (افرام) لكن عوض التوبة تشامخوا بالأكثر . هذا ما كشفه النبى بقوله : " القائلون بكبرياء وبعظمة قلب ، قد هبط اللبن فنبنى بحجارة منحوتة ؛ قطع الجميز فنستخلفه بأرز " إش 9 : 10

يرى البعض أن النبى يتحدث هنا عن الزلزلة التى حدثت فى أيام عزيا ، والتى يبدو أنها كانت عامة (عا 1 : 1 ؛ زك 14 : 5) ، بسببها سقطت معظم بيوت السامرة وافرأيم وكثرت الضحايا ، فصاروا يتهكمون على قضاء الله معلنين أنه وإن كان قد سمح بهدم بيوتهم المصنوعة من اللبن وسقوط أشجار الجميز ، فإنهم يقيمون قصورا مصنوعة من الحجارة المنحوتة ويغرسون أشجار أرز لا يقدر الزلزال أن يهدمها أو يزيلها . وكأنهم بهذا يكررون ما فعله الإنسان عندما شرع فى بناء برج بابل ليكون رأسه فى السماء (تك 11 : 3 ، 4) .

يرد إشعياء النبى على ذلك بإعلان تأديب الله الأكثر شدة ، فإنهم ماداموا لم يرتعدوا بالزلزلة فسيسمح بهياج العدو " رصين " ملك آرام ، ويهيج أيضا أعداءه (ربما قصد آشور الذى هاجم إسرائيل وفيما بعد انقلب على يهوذا) .

" فياكلون إسرائيل بكل الفم " إش 9 : 12 . لكن تبقى مراحم الله تنتظر رجوعهم ، إذ يكمل حديثه : " مع كل هذا لم يرتد غضبه بل يده ممدودة بعد " إش 9 : 12 .

(4) تأديبات الرب لهم :

يبقى الشعب متحجر القلب لهذا :

" يقطع الرب من إسرائيل الرأس والذنب ، النخل والأسل (الحلفاء أو القش) فى يوم واحد " إش 9 : 14 .

أ - ينتزع رؤساء الشعب مهما كانت منزلتهم (الرأس ، النخل) .

ب - ينتزع الأنبياء الكذبة (الذنب ، الأسل) .

ج - إبادة المرشدين لأنهم مضلون (إش 9 : 16) .

د - لا يرق للفتيان بسبب صغر سنهم ، ولا للأيتام أو الأرمال مع أنه " أبو اليتامى وقاضى الأرمال " مز 68 : 5 ... فقد اشترك الكل معا فى الشر مع عناد وعجرفة وحماسة (إش 9 : 17) . كان الملوك الآشوريون فى غاية القسوة : تغلث فلاسر لم يترفق بالصغار ولا بالأرمال أو الأيتام فى افرام .

هـ - يتحول الشعب كله إلى أشبه بغابة تحترق بنار الغضب الإلهى (إش 9 : 19) ، ليس لأن الله ينتقم لنفسه وإنما لأن فجورهم نار مدمرة (إش 9 : 18) .

ز – تتحول الأمة إلى حالة من الفوضى قانونها العنف والظلم وعدم التشبع ، تسودها حروب أهلية دموية مدمرة : " لا يشفق الإنسان على أخيه ، يلتهم على اليمين فيجوع ، ويأكل على الشمال فلا يشبع ، يأكلون كل واحد لحم ذراعه (أى جاره أو قريبه) " إش 9 : 19 ، 20 .. هذه صورة بشعة لمجتمع شريعته الحرب والعنف والأنانية مع الجشع .

ح – لا يقف التطاحن على الأفراد وإنما يتسلل إلى الأسباط نفسها فيتحالف سبط مع آخر ضد ثالث وهكذا : " منسى أفرايم وأفرايم منسى ، وهما معا على يهوذا " إش 9 : 21 .

" مع كل هذا لم يرتد غضبه بل يده ممدودة بعد " إش 9 : 21 .

+ + +

إشعياء – الإصحاح العاشر

هجوم آشور على يهوذا ومعاقبة آشور

يخوى هذا الإصحاح ويلين ، الويل الأول ضد رؤساء الشعب بسبب شرهم ، والثاني ضد آشور لأن الله سمح له بغزو يهوذا للتأديب فإذا به ينتفخ على الله ويجدف عليه ، حاسبا أن إلهته غلبت إله إسرائيل .

يرى البعض أن هذا الإصحاح كتب فى السنوات الأولى من حكم حزقيا ملك يهوذا ، بعد سقوط السامرة فى يد سرجون ملك آشور (إش 10 : 11) .

(1) الويل الأول ضد القيادات 1 – 4

يرى البعض أن الويل الموجه ضد القيادات هنا هو تكملة لما ورد فى الإصحاح السابق عن كبرياء إسرائيل ، ويدللون على ذلك أنه انتهى أيضا بالعبارة التى تكررت قبلا : " مع كل هذا لم يرتد غضبه بل يده ممدودة بعد " (إش 9 : 12 ، 17 ، 21 ؛ 10 : 4) ، بهذا يكون الحديث موجها ضد قيادات الأسباط العشرة (إسرائيل) . غير أن تكملة الحديث موجه إلى أورشليم عاصمة يهوذا لهذا يرى بعض الدارسين أن ما ورد هنا ينطبق على قيادات المملكتين لأنهما تشابهتا فى الشر .

يكشف الله تصرفات القادة الجائرة ، التى تتركز فى القضاء بالباطل والحكم بالظلم (إش 10 : 1) ، يدون الضعفاء عن التمتع بحقوقهم المسلوبة ، ويسلبون حق البائسين خاصة الأيتام والأرامل (إش 10 : 2) : وكما يقول الحكيم : " ثم رجعت ورأيت كل المظالم التى تجرى تحت الشمس فهذا دموع المظلومين ولا معز لهم ومن يد ظالمهم قهر " جا 4 : 1 .

الآن إذ يدرك إشعياء عدل الله خاصة فى دفاعه عن الضعفاء يسأل هؤلاء القادة : " وماذا تفعلون فى يوم العقاب حين تأتى التهلكة من بعيد ؟ إلى من تهربون للمعونة ؟ وأين تتركون مجدكم ؟ إما يجثون بين الأسرى وإما يسقطون تحت القتلى " إش 10 : 3 ، 4 . العقاب قادم لا محالة خاصة تجاه القيادات الدينية والمدنية .

ومع هذا كله لا زال الله يمد يد محبته ليخلصهم من شرهم : " مع كل هذا لم يرتد غضبه بل يده ممدودة بعد " إش 10 : 4 .

(2) الويل الثانى ضد آشور : 5 – 19

سبق أن تحدث النبى عن قوة آشور العسكرية وجبروته ونصرته حتى على شعب الله ، كما أكد أن ما حل بالشعب هو بسماع الهى للتأديب ، لكن آشور تعظم على الله وحسب بغلبته هذه أنه غلب إله هذا الشعب وأذله ... لهذا يعود الله فيؤدب آشور نفسه المتعالى والمتعجرف .

اعتاد إشعيا النبي أن يتحدث بجرأة وصراحة فبينما يدعو أشور قضيب غضب الله وعصاهم هي سخط الرب (إش 10 : 5) ، لكون أشور أداة لتحقيق تأديبات الرب ، نجده يدعو شعب الله " أمة منافقة " و " شعب سخط الله " (إش 10 : 6 ، لأن هذا الشعب قد حمل صورة العبادة من الخارج بينما دب الفساد في حياتهم الداخلية .

لم يدرك أشور هذه الحقيقة أنه مجرد أداة للتأديب (إش 10 : 7) إنما في كبرياء قال :

" أليست رؤسائي جميعا ملوكا ؟ " (إش 10 : 8 . بمعنى أن الولاة الذين يقيمهم ملك أشور تحت قيادته هم جميعا ملوك ، فماذا يكون مركزه هو ؟ ! إنه ملك الملوك !!

قال أيضا : " أليست كلنو مثل كرمشيش ؟ ! أليست حماة مثل أرفاد ؟ ! أليست السامرة مثل دمشق ؟ ! " (إش 10 : 9 .

هكذا لم تقف أمام أشور أعظم مدن الحثيين أو الأراميين ، فهل تقف أمامه مدن يهوذا وإسرائيل ؟ ! لقد حسب أشور نفسه أنه غلب آلهة الأمم وأوثانها التي تحميها فلن يقف إله إسرائيل أو يهوذا قدامه (إش 10 : 10 ، 11) ، ظانا أنه على ذات مستوى هذه الأصنام .

لقد سمح الله له بذلك ، لكنه يعود فيؤدب أشور على سخريته به : " فيكون متى أكمل السيد كل عمله بجبل صهيون وبأورشليم إنى أعاقب ثمر عظمة قلب ملك أشور وفخر رفعة عينيه ، لأنه قال : بقدرة يدي صنعت وبحكمتي ، لأنى فهم ، ونقلت تخوم شعوب ونهبت ذخائرهم وحططت الملوك كبطل ، فأصاب يدي ثروة الشعوب كعش وكما يجمع بيض مهجور أنا كل الأرض ولم يكن مرفرف جناح ولا فاتح فم ولا مصفف " (إش 10 : 13 ، 14 .

هكذا ظن أشور أنه بقدرته وحكمته صنع أعمالا خارقة ...

لم يدرك أشور أنه كان فأسا أو منشارا يستخدمه الله للتأديب ، فتشامت الأداة على من يستعملها . لذلك يقوم الله بتأديبه هكذا :

أ – يرسل على " سمانه " ، أى أبطال جيشه الجبابرة ، هزالا (إش 10 : 16) .

ب – يوقد تحت " مجده " ، أى جيشه ، وقيدا كوقيد النار (إش 10 : 16) ، فتلتهمه ليصير رمادا . يصير الله " نور إسرائيل " نارا آكلة لأشور ، والقدوس لهيبا يحطم العدو (إش 10 : 17) . بمعنى آخر الله الذى هو نور للمؤمنين وسر تقديس لحياتهم يكون نارا آكلة ولهيبا للأشرار المقاومين .

ج - ينفى جيشه فيبقى عدد قليل (أشجار وعرة) يستطيع صبي أن يكتب اسماءهم (إش 10 : 19) ، هذا من جهة العدد أما من جهة القوة فيفقدون طاقتهم النفسية والجسدية ويكونون كمسلول يذوب (إش 10 : 18) .

(3) الناجون من إسرائيل 20 – 23

كثيرا ما تحدث الأنبياء عن " البقية " التي تخلص ، قصدوا بها القلة القليلة التي تبقى أمينة للرب وسط انهيار القيادات الدينية وفساد القضاة والرؤساء والشعب أيضا . هذه البقية التي تنجو من ظلم أشور لا تفرح بعودتها إلى أورشليم إنما هو أعظم ، تفرح بلقائهم مع الله القدير نفسه (إش 10 : 21) .

اقتبس الرسول بولس قول إشعيا النبي (10 : 22 ، 23) قائلا : " وإشعيا يصرخ من جهة إسرائيل وإن كان عدد بنى إسرائيل كرم البحر فالبقية ستخلص ، لأنه متمم أمر وقاض بالبر ، لأن الرب يصنع أمرا مقضيا به على الأرض " رو 9 : 27 ، 28 .

كان هذا القول يحمل نبوة عن المسيبيين إذ كانوا كثيرين جدا بالنسبة للقلة القليلة التي تنجو من الأسر ... وأن الله سمح بذلك ، طبق الرسول هذه النبوة بصورة أشمل على العصر المسياني حيث يؤسر عدد كبير جدا من اليهود تحت الجحود رافضين الإيمان بالمسيا ، وقليلون هم الذين يخلصون بقبولهم المسيا المخلص ، وقد سمح الله بذلك لأجل البر ، ليفتح الباب للأمم .

(4) لا تخف يا شعبي : 24 – 27

يرى بعض الدارسين أن النبوة هنا تشير إلى الحدث التالي : عندما رفض حزقيا بن أحاز وخليفته دفع الجزية هاجم سنحاريب الآشوري يهوذا بجيش قوى وحاصر أورشليم وكان على وشك استلام المدينة ، لكن الله أمر بخلاصها . قتل الجيش و هرب سنحاريب حيث قتله أبنائه .

يطالب الله شعبه ألا يخاف من آشور فإنه سيباد ، إذ يقيم الله عليه سوطا (إش 10 : 26) ، يضربه بملاكه ضربة قاتلة (2 أي 32 : 21) ، كما سبق فضرب غراب أمير مديان (قض 7 : 25 ، مز 83 : 11) ، وكما ضرب فرعون وجنوده في بحر سوف خلال عصا موسى (إش 10 : 26) ، هكذا يبيد الله آشور لينزع هذا النير عن كتف شعبه (إش 10 : 27) وعن عنقه بسبب السمانة (الدهن) ، لأجل المسحة المقدسة التي نالها داود الملك وبنوه من بعده .

(5) الغزو الآشوري ليهوذا : 28 – 32

قبل الحديث عن سقوط آشور تحدث النبي عن الغزو الآشوري ليهوذا ليوضح قدراته الحربية الجبارة وسرعة تقدمه نحو أورشليم العاصمة مع ضعف مقاومة يهوذا بل وانعدامها ، وكيف ارتعب يهوذا وارتعد (إش 10 : 28 – 32) . قدم النبي وصفا شاعريا يكشف عن مرارة مدن يهوذا ، لكن آشور يتوقف عند نوب (مدينة للكهنة تقع في شمال أورشليم) ، ربما ليستريح الجيش ويستعد لمواجهة أورشليم . لقد وقف سنحاريب هناك ليرفع يده ويمدها مهددا أورشليم (إش 10 : 32) فظهر كشجرة شامخة منعجفة . هدد بسحق أورشليم ولم يدرك أن الله قد سمح بسحقه هو ولينزع عنه أغصانه التي يتشامخ بها .

(6) سقوط آشور 33 – 34

يعلن الله تحطيم آشور تماما ، فإنه يقضب أغصانه بل وينتزع أصوله لينهار تشامخه وينتزع أصوله لينهار تشامخه وينزل مجده إلى التراب (إش 10 : 33 ، 34) ، هذه هي ثمرة الكبرياء !

إشعياء – الإصحاح الحادى عشر

المسيا والعصر المesianى

لم يكن ممكنا لإشعياء النبي أن ينحصر فى الأحداث المعاصرة له ولا الخاصة بالمستقبل القريب بالنسبة له وإنما اتجه نحو الخلاص الأبدى ، ليرى عمل الله العجيب لا بسقوط آشور ولا بعودة القلة الأمانة إلى يهوذا ، وإنما بسقوط عدو الخير إبليس واجتماع المؤمنين من اليهود والأمم كأعضاء فى جسد واحد يتمتعون بالملكوت المesianى العجيب .

(1) ظهور ابن يسى :

فى الإصحاح التاسع تحدث عن المخلص بكونه المولود العجيب : " لأنه يولد لنا ولد .. ويدعى اسمه عجيبا مشيرا إليها قديرا أبا أبديا " إش 9 : 6 ،

أما هنا فيؤكد ناسوته بكونه الملك ابن يسى : " ويخرج قضيب من جذع يسى وينبت غصن من أصوله " إش 11 : 1 .

لم يقل ابن داود مع أنه شرعا هو ابن داود ، لكنه أراد تقديمه بصورة متواضعة جدا ، كقضيب وغصن من يسى الذى عاش ومات قليل الشأن . والعجيب أن نسل داود الملك ضعف جدا حتى جاء يوسف والقديسة مريم فقراء للغاية .

بينما يتحدث الوحى فى الإصحاح السابق عن أشور – يمثل عدو الكنيسة – كأغصان مرتفعة وقوية (إش 10 : 33) يظهر المسيا كقضيب أو غصن متواضع . أراد أن يسحق الكبرياء محطم البشرية بإتضاعه . وكما تقول عنه الكنيسة فى جمعة الصليوت : " أظهر بالضعف (الصليب) ما هو أعظم من القوة "

+ هذا هو المسيح ، فقد حبل به بقوة الله بواسطة عذراء من نسل يعقوب ، أب يهوذا ، وأب اليهود ، من نسل يسى ..

(2) المخلص وروح الرب :

" ويحل عليه روح الرب ، روح الحكمة والفهم ، روح المشورة والقوة ، روح المعرفة ومخافة الرب " إش 11 : 2

إذ جاء السيد المسيح ممثلا للبشرية حل عليه الروح القدس الذى ليس بغريب عنه ، لأنه روحه . حلول الروح القدس على المسيح يختلف عن حلوله علينا ؛ بالنسبة له حلول أقتومى ، واحد معه فى ذات الجوهر مع الآب ، حلول بلا حدود .

كلمة الله هو الحكمة عينها والفهم والقوة .. فحلول الروح القدس ليس حلولا زمنيا بل هو اتحاد أزلى بين الأقانيم الثلاثة . بالتجسد الإلهى قبل ربنا يسوع ظهور الروح القدس حالا عليه لكى يهبنا نحن فيه ، كأعضاء جسده ، عطية الروح القدس واهب الحكمة والفهم والمشورة والقوة والمعرفة ومخافة الرب .

ربما يسأل البعض : لماذا حل الروح القدس على السيد المسيح عند عماده ؟

نقول : الروح القدس هو الذى شكل ناسوت السيد المسيح منذ لحظة البشارة بالتجسد الإلهى . ولما كان لاهوت السيد لم يفارق ناسوته ، لم يكن الناسوت قط فى معزل عن الروح القدس . ولا فى حاجة إلى تجديد الروح له ، لأنه لم يسقط قط فى خطية ولا كان للإنسان القديم موضع فيه ، إنما طلب السيد أن يعتمد " لكى يكمل كل بر " ، أى يقدم لنا برا جديدا نحمله فينا خلال جسده المقدس . حلول الروح عليه فى الحقيقة كان لأجل الإنسانية التى تنقدس فيه ، فتقبل روحه القدوس .

(3) أعمال المخلص :

" ولذته تكون فى مخافة الرب ، فلا يقضى بحسب نظر عينيه ولا يحكم بحسب سمع أذنيه ، بل يقضى بالعدل للمساكين ، ويحكم بالإنصاف لبائسى الأرض ، ويضرب الأرض بقضيب فمه ، ويميت المنافق بنفخة شفتيه " إش 11 : 3 ، 4 .

أ – يقدم لنا السيد المسيح صورة حية عن التعامل مع الآخرين ، وهى ألا تقوم على المظاهر الخارجية المجردة ، وألا تكون حواسنا هى الحكم خاصة الشم والنظر والسمع .

يقول " لذته His breath تكون فى مخافة الرب " إش 11 : 3 .

العبيد والأجراء يخافون سادتهم لنلا يقتلوهم أو يحرموهم الأجر أو المكافأة ، أما الأبناء فيخافون لنلا ترح مشاعر آبائهم . هذا الخوف السامى الذى يهبه روح الرب لنا حتى نهاب الله ليس خشية العقوبة ولا الحرمان من المكافأة وإنما لأننا أبناء لا نريد أن نجرح مشاعر محبته .

ب – " لا يقضى بحسب نظر عينيه " إنما حسب الأعماق الداخلية بكونه فاحص القلوب والعارف بالأفكار والنيات . لقد وقف السيد المسيح حازما ضد القيادات الدينية التى تحكم بالمحاباة ، أى يأخذون بمظهر الناس وليس بعدل القضاء .

ج - رفض الوشايات البشرية " لا يحكم بحسب سمع أذنيه " إش 11 : 3 .

د – اهتمامه بالمساكين والبائسين والمظلومين (إش 11 : 4) .

هـ - " ويضرب الأرض بقضيب فمه " إش 11 : 4 . جاء رب المجد يضرب بكلمته (قضيب فمه) أو بسيف فمه (رؤ 2 : 16 ؛ 19 : 6) ، سيف الكلمة ذى الحدين (عب 4 : 3) كل من التصق بمحبة الأرضيات فصار أرضا . غايته أن يحطم فينا محبة الزمنيات ليرفع كل طاقاتنا نحو السمويات .

و – " ويكون البر منطقة متنيه والأمانة منطقة حقويه " إش 11 : 5

جاء ربنا يسوع المسيح إلى العالم ملكا روحيا لا يشارك العالم خاصة الأغنياء مظهرهم فى اللباس والمظاهر البراقة ، يتمنطق بالبر والأمانة علامة غناه وجماله بكونه القدوس واهب الحياة القدسية ، جاء كخادم يتمنطق لكى يغسل الأقدام البشرية حتى يظهر كل من يقبل إليه .

(4) سمات العصر المسيانى :

بعد أن تحدث عن عمل السيد المسيح استطرد ليتحدث عن العصر المسيانى ، مقدما لنا صورة حية عنه أبرزها اتسام البشرية المؤمنة بالاتحاد معا فى جسد واحد ، يحملون طبيعة الحب والسلام ...

يصور هذا العصر قائلا :

" فيسكن الذئب مع الخروف " إش 11 : 6 ... لا يوجد تضاد أعظم من هذا ، يسكن سافك الدم مع الحمل الوديع العاجز عن الدفاع عن نفسه . يحملان طبيعة جديدة دستورهما الحب والوفاق . صار الكل قطيعا واحدا يحمل الخليقة الجديدة التى فى المسيح يسوع .

" ويربض النمر مع الجدى " إش 11 : 6

" والعجل والشبل والمسمن معا ؛ وصبى صغير يسوقها " إش 11 : 7

قطيع عجيب غير متجانس ، تحت قيادة عجيبة . هذا الصبى الصغير يشير إلى القيادات الروحية الكنسية التى تستطيع بروح البساطة أن تخلق بروح الرب من المؤمنين القادمين من أمم وشعوب مختلفة والذين يحملون مواهب متعددة قطيعا وديعا يخضع بروح الإنجيل كما لصبى صغير .

" والبقرة والدبة ترعيان ، تربض أولادهما معا ، والأسد كالبقرة يأكل تبننا " إش 11 : 7

البقرة تشير إلى اليهود لأنها من الحيوانات الطاهرة ، والدبة تشير إلى الأمم والشعوب الوثنية إذ هى مفترسة (عنيفة) وكأنه من سمات العصر المسيانى أن يجتمع أعضاء من أصل يهودى مع أصل أممى فى رعية واحدة تحت قيادة راعى واحد .

والأسد إذ فقد طبعه الوحشى وتغيرت طبيعته فصار كالحيوان المستأنس لا يطلب لحما بل تبننا .

" ويلعب الرضيع على سرب الصل ، ويمد الفطيم يده على جحر الأفعوان " إش 11 : 8 .

فى اختصار عمل السيد المسيح هو تغيير الطبيعة البشرية الشرسة خلال خدامه المتسمين بروح الوداعة ، فتحمل الكنيسة كلها – خداما ومخدومين – روح الحب والوحدة . بهذا لا يصيب الكنيسة – جبل قدس الرب – فساد " لأن الأرض تمتلئ من معرفة الرب ، كما تغطى المياه البحر " إش 11 : 9 .

(5) سلام بين الشعوب :

أ – جاء السيد المسيح ليقيم ملكوته من كل الأمم والشعوب ، واهبا سلاما للمؤمنين الحقيقيين " ويكون فى ذلك اليوم أن أصل يسى القائم راية للشعوب إياه تطلب الأمم ويكون محله مجدا " إش 11 : 10 .

يقول " إياه تطلب الأمم " إنه مشتهى الشعوب ، بحث عنه اليونانيون (يو 12 : 20 ، 21) ؛ وأرسل قائد المئة كرينليوس الأمامى إلى بطرس لى يسمع عن السيد المسيح (أع 10)

" ويكون محله مجدا " جاء فى الترجمة اليسوعية " يكون مثواه مجدا " ، لعله يقصد أن صليبه الذى كان عارا صار بقيامته مجدا ، إذ صار قبره الفارغ مقدسا للمؤمنين فيه يدركون حقيقة مسيحهم واهب الحياة والقيامة .

ب – ضم السيد المسيح إلى كنيسته البقية التى قبلت الخلاص ، وقد جاءت من أماكن متفرقة (أع 2 ، يع 1 : 1 ، 1 بط 1 : 1) . لذلك يقول النبى : " ويكون فى ذلك اليوم أن السيد يعيد يده ثانية ليقتنى بقية شعبه التى بقيت من أشور ومن مصر ومن فتروس (مصر العليا) ومن كوش ومن عيلام (مملكة فى شرق نهر دجلة وشمال شرقى الخليج الفارسى) ومن شنعار (سهل بابل) ومن حماة ومن جزائر البحر " إش 11 : 11 .

تحققت هذه النبوة فى عيد العنصرة وأيضا خلال خدمة الرسل وعبر الأجيال ، وستتحقق مرة أخرى بصورة أوسع فى الأيام الأخيرة حينما يقبل اليهود الإيمان بالسيد المسيح كقول الرسول بولس (رو 11 : 11 – 27) .

فى ذلك اليوم ينضم قابلو الإيمان القادمون من اليهود إلى الكنيسة التى سبق أن ضمت الأمم ويكون الكل أعضاء فى جسد واحد : " ويرفع راية للأمم ويجمع منفى إسرائيل ويضم مشنتى يهوذا من أربعة أطراف الأرض " إش 11 : 12 .

ح – يقدم الاتحاد الذى تم بين إسرائيل (إفرام) ويهوذا عند عودتهم من السبى بع أن استحكمت النزاعات بل والعداوة بينهما قرونا طويلة صورة للاتحاد بين الأمم واليهود (إش 11 : 13) .

فى القديم كان الفلسطينيون وبنو المشرق وأدوم وعمون وموآب ومصر مقاومين للشعب لذا وهب الله شعبه إمكانية النصر عليه (إش 11 : 14 – 16) ، أما فى العهد الجديد فتكون الغلبة لا بانتصارات حربية وإنما بقبول هذه الأمم للإيمان الحى فتصير أدوات للبناء لا للمقاومة والهدم . الله الذى سبق فحول البحر لخلاص شعبه إذ أجازهم فيه بعد أن فتح لهم فيه طريقا للعبور هكذا يجفف كل مقاومة فى قلوب الأمم لينفتح طريق الملكوت المسمانى .

بمعنى آخر الذى أصدع شعبه من مصر مجتازا بهم وسط مياه البحر الأحمر ، هو الذى يعبر بهم من أشور بعد السبى (إش 11 : 16) ، وهو الذى يعبر بالأمم إلى ملكوته بالرغم من كل العقبات والصعوبات التى تقف أمامهم .

+++

إشعياء – الإصحاح الثانى عشر

تسبحة المفديين

اجتاز إشعياء النبى حالة الضيق التى أصابت نفسه بسبب ما بلغ إليه الشعب من فساد ، الأمر الذى لأجله سمح الله بتأديبه بواسطة أشور وتلامس مع عمل الله الخلاصى لا بإعادة المسيبيين إلى يهوذا وإنما ما هو أعظم : ظهور ابن يسى راية للأمم يجمع بحبه الفائت مؤمنيه من كل الشعوب ليتمتعوا بسلامه السماوى . لم يكن أمام النبى إلا أن يسجل على لسان هؤلاء المفديين بدم المخلص تسبحة مفرحة تعتبر امتدادا للنبوة الواردة فى الإصحاح السابق التى تشدو بمجد المسيح وشخصه وعمله وملكوته وشعبه .

(1) مراحم الله وسط غضبه :

" وتقول فى ذلك اليوم : أحمذك يارب لأنه إذ غضبت على ارتد غضبك فتعزىنى " إش 12 : 1 .

تبدأ الترنيمة الجديدة التى ينطق بها كل من يتمتع بعمل السيد المسيح الخلاصى بالكلمات :

" وتقول فى ذلك اليوم " . أى يوم هذا ؟

إنه يوم الصليب أو يوم الكفارة العظيم الذى فيه نحمد الرب الذى حول الغضب إلى خلاص وتعزية ومجد . لقد تجسم الغضب الإلهى على الخطية التى نرتكبها بصلب السيد المسيح – كلمة الله المتجسد – ليرفعنا من الغضب إلى المجد .

ظهرت تعزيات الله العجيبة إذ حررنا لا من السبى البابلى وإنما من أسر إبليس وجنوده وأعماله الشريرة ليملك البر فىنا .

(2) يهوه سر خلاصنا وقوتنا وفرحنا :

" هوذا الله خلاصى فأطمئن ولا أرتعب ، لأن ياه يهوه قوتى وترنيمتى ، وقد صار لى خلاصا ، فتستقون مياهها بفرح من ينباع الخلاص " إش 12 : 2 ، 3

اقتبست الكنيسة القبطية جزءا من هذه التسبحة لتتشدها للرب المصلوب فى يومى خميس العهد وجمعة الصلבות ، وهو : " قوتى وتسبحتى (ترنيمتى) هو الرب ، وقد صار لى خلاصا . الله هو سر قوتنا وتسبيحنا وخلاصنا ! فى وسط مشاركة الكنيسة عريسها آلامه تسبح وتنشد ؛ أما تسبحتها أو أنشودتها فهو المسيح نفسه ، هو كل شىء بالنسبة لها .

بالمسيح المصلوب عرفنا الهتاف (مز 89 : 15) ؛ هتاف الغلبة على إبليس وأعماله الشريرة ! هتاف الخلاص الذى به ننقل من الشمال إلى اليمين ننعم بشركة الملكوت السماوى المفرح .

بالصليب تفجر ينبوع دم وماء من الجنب المطعون لتتقدس وتطهر ، ولكن نشرب ونفرح ، إذ وجدنا ينبوع خلاصنا الأبدى .

هنا يدعو الله " ياه يهوه " ؛ " ياه " هى اختصار للإسم " يهوه " ، وكأن التسبحة تكرر هذا اللقب الإلهى " يهوه " لتأكيد أنه الله السرمدى غير المتغير ، يتكىء عليه المؤمن فيجد فيه قوته وفرحه وخلاصه إلى الأبد ، فيطمئن على الدوام دون خوف .

وكما يقول القديس أغسطينوس : [إن شئت أن يكون فرحك ثابتا باقيا ، التثق بالله السرمدى ، ذاك الذى لا يعتريه تغيير ، بل يستمر ثابتا على حال واحد إلى الأبد] .

(3) الشهادة لأعمال الله :

يرى البعض أن العبارات السابقة (إش 12 : 1 – 3) تمثل تسبحة مستقلة عن العبارات التالية (إش 12 : 4 – 6) التى تمثل تسبحة ثانية .

على أى الأحوال إن كانت الأولى تعلن انبيعات الحمد والتسبيح فى النفس خلال التمتع بخلص الرب ، فإن الثانية مكمله لها تعلن الألتزام بالشهادة لله المخلص أمام الأمم . فما نختبره خلال اتحادنا مع الله مخلصنا يثير فينا شوقا نحو تمتع الغير بذات الخلاص .

" وتقولون فى ذلك اليوم : احمدا الرب ، ادعوا باسمه ، عرفوا بين الشعوب بأفعاله ، ذكروا بأن اسمه قد تعالى . رنموا للرب لأنه قد صنع مفتخرا ، ليكن هذا معروفا فى كل الأرض . صوتى واهتفى يا ساكنة صهيون ، لأن قدوس إسرائيل عظيم فى وسطك " إش 12 : 4 - 6 .

كيف نركز بالرب ؟

أ – بالتبشير : " عرفوا بين الشعوب بأفعاله " ،

وكما يقول الرب لتلاميذه : " اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها " مر 16 : 5 . كل مؤمن يلتزم بالشهادة لمخلصه ، إذ نرى المرتل داود وهو يعلن توبته فى المزمور الخمسين يقول : " امنحنى بهجة خلاصك فأعلم الخطاة طرقك " .

ب – بالفرح المقدس : " رنموا للرب لأنه قد صنع مفتخرا ، ليكن هذا معروفا فى كل الأرض " .

ليست شهادة للمخلص أعظم من تلامس الغير مع فرحنا الداخلى بالرب الذى يجتاز كل الأحداث والمتاعب . يقول المرتل : " حينئذ امتلأت أفواهنا فرحا وألسنتنا ترنما ، حينئذ قالوا بين الأمم : إن الرب قد عظم الصنيع معنا " مز 26 : 2 .

صوت التهليل الداخلى يشهد لسكنى القدوس فينا !

الفرح المقدس يعلن عن ملكوت الله المفرح فى داخلنا . جاء فى سيرة القديس أبوللو الكاهن بطيية على حدود هرموبوليس (أشمونين) ، ان وجهه كان دائم البشاشة ، مجتذبا بذلك كثيرين إلى الحياة النسكية كحياة مفرحة فى الداخل ، ومشبعة للقلب بالرب نفسه . كثيرا ما كان يردد القول : [لماذا نجاهد ووجوهنا عابسة ؟! ألسنا ورثة الحياة الأبدية ؟ اتركوا العبوس والوجوم للوثنيين والعويل للخطاة (الأشرار) ، أما الأبرار والقديسون فحرى بهم أن يمرحوا ويبتسموا لأنهم يستمتعون بالروحيات] .

+ + +

إشعياء – الإصحاح الثالث عشر

وحى من جهة بابل

إذ تحدث النبى عن السيد المسيح وأمجاد عصره خشى أن يفهم البعض أن هذا الأمر يتم فى عهده أو فى المستقبل القريب لذلك تنبأ عن بابل وما سيحل بالشعب خلال السبى البابلى ثم العودة من السبى .

قبل مجىء السيد المسيح تظهر مملكة بابل بكل عنفوانها لتتحطم ، ويأتى المسيا ليملك ولا يكون لملكه نهاية . يتكرر الأمر بالنسبة لمجيئه الأخير حيث تظهر مملكة الدجال كمملكة بابل تقاوم الكنيسة وتسود العالم لكنها تنهار لياتى رب المجد على السحاب .

بابل وغيرها من الأمم العنيفة إنما تمثل المقاومة لله ولكنيسته ... وقد جاء الوحي هنا يعلن أن كل القوى المعادية لله ومسيحه وشعبه لن تدوم بل تنهار .

(1) وحى من جهة بابل :

" وحى من جهة بابل رآه إشعياء بن أموص " إش 13 : 1 .

أراد النبي تأكيد أنه هو كاتب النبوة ، تمتع بها من جهة بابل . أما تأكيده أنه هو الذى رآها فذلك لسببين :

أ – إن كان إشعيا قد تنبأ بخصوص يهوذا وأورشليم لكنه يتحدث هنا عن مصير الأمم المجاورة مؤكدا أن الله إله القديسين هو بعينه إله جميع الأمم .

ب – لم يكن لبابل حسابان فى ذلك الوقت ، فكان يصعب على السامع أو القارىء أن يصدق ما يقال عنها فى هذه النبوات .

(2) دعوة الأمم لمقاتلة بابل :

لم تكن بابل قد ظهرت عظمتها بعد ، لكن النبي يراها قادمة ، عاصمتها مدينة عتاة ، لهذا يبدأ نبوته عنها بتحريض الرب للأمم كي تتجهض ضد بابل وتفتح أبوابها وتذل كبرياءها ، قائلا : " أقيموا راية على جبل أقرع " إش 13 : 2 . هكذا يصدر الله أمرا بمحاربة بابل فيدعو الأمم أن تقيم راية الحرب على جبل خال من كل شجر أو نباتات حتى يمكن لكل الجيش أن يراها . لأن خلو المكان من الأشجار يساعد سرعة انتباه الجيش لبدء الحرب .

" ارفعوا صوتا إليهم " إش 13 : 2 ، أى اضربوا بالأبواق لأجل تحميس الجيوش .

" أشيروا باليد ليدخلوا أبواب العتاة (الأشراف) إش 13 : 2 ، أى يلوحون بالأيدي لتشجيع أهم من أجل اقتحام مدينة الأحرار الأشراف فى شجاعة وإقدام .

ما هى بابل إلا النفس المتعجرفة التى يلزمنا أن نفتحمها لا برايات الحرب ولا بأصوات الأبواق ولا بالتلويح بأياد بشرية وإنما برفع راية الحب التى لمسيحنا المصلوب لتقول :

" علمه فوقى محبة " نش 2 : 4 .

الحديث هنا أعظم من أن يكون خاصا بدعوة فارس ومادى لأقتحام الإمبراطورية العظيمة بابل ، إنما هو دعوة تمس خلاص النفس الأبدى . لهذا يكمل قائلا :

" أنا أوصيت مقدسى ودعوت أبطالى لأجل غضبى مفتخرى عظمتى ، صوت جمهور على الجبال شبه قوم كثيرين ، صوت ضجيج ممالك أمم مجتمعة . رب الجنود يعرض جيش الحرب . يأتون من أرض بعيدة من أقصى السموات الرب وأدوات سخطه ليخرب الأرض " إش 13 : 3 – 5 .

يلاحظ فى هذا النص :

أولا : يرى البعض أن هؤلاء المقدسين والأبطال هم القيادات العسكرية لفارس ومادى .. ليسوا لأنهم قديسون وإنما لأن الله دعاهم دون أن يدروا لتحقيق أهدافه المقدسة ، ووهبهم قوة للعمل واستخدامهم لتحقيق أمور ليست فى أفكارهم .

ثانيا : ما هو صوت الجمهور القائم على الجبال شبه قوم كثيرين ، " صوت ضجيج ممالك أمم مجتمعة ، رب الجنود يعرض جيش الحرب " إش 43 : 4 إلا صوت الكنيسة المجتمعة معا بروح الحب والوحدة على الجبال المقدسة تتمتع بالحياة العلوية ، تسكن على قمم الوصايا المباركة لا عند السفح ، تجتمع من ممالك أمم كثيرة كجيش بألوية (نش 6 : 10) ... إنها كنائس متعددة لها ثقافات متباينة لكنها خلال الإيمان الواحد والفكر الواحد تعيش كجيش روحى سماوى ... هذه هى سمة الكنيسة الحقيقية : كنيسة سماوية .

+ كم من كثيرين هاجموا الكنيسة فهلك الذين هاجموا ، أما هى فحلقت فى السماء .

تجتمع الكنيسة من أرض بعيدة ، إذ كان أغلب أعضائها وثنيين مرتبطين بالعالم ، غرباء عن بيت الله ، لكنهم صاروا سماء الرب ومقدسه ، يخربون الأفكار الزمنية أو محبة الأرضيات ليحملوا الآخرين إلى خبرة الحياة السماوية .

(3) يوم خراب بابل :

يصور لنا النبي يوم خراب بابل المرهب على أيدي فارس ومادى بكونه يوم الرب الذى فيه يعلن غضبه على بابل المقاومة له ولأولاده .

يرى البعض أن ما ورد هنا تحقق فعلا فى أيام كورش ولكن بصورة جزئية ، غير أنه سيتحقق بصورة أشمل فى الأيام الأخيرة كما جاء فى سفر الرؤيا (رؤ 17) . عن دينونة الزانية العظيمة الجالسة على مائة كثيرة ، بابل العظيمة أم الزواني .

أ – يقول النبي : " ولولوا لأن يوم الرب قادم كخراب من القادر على كل شيء ، لذلك ترتخى كل الأيادى " إش 13 : 6 ، فلا يقفوا على حمل السلاح . لقد صارت مملكة بابل سيدة العالم كله ، وقد أطال الله أناته عليها عشرات السنوات ، والبابليون يتمادون فى كبرياء قلوبهم وعجرفتهم ضد الرب نفسه ، لذلك إذ يسقطون تحت غضبه ترتخى أياديهم العنيفة الحاملة للسلاح ، فيصبرون فى ضعف شديد وموضع سخرية .

ب – " ويذوب قلب كل إنسان ، فيرتاعون " إش 13 : 7 ، 8 . هكذا ينتاب الكل حالة من الرعدة والخوف ، من رجال ونساء وشباب وشيوخ وأطفال ، يصير الكل منهرا ليس من يسند أخاه بل كل واحد يحطم نفسه كما يحطم من هم حوله !

ج - يتلون من الألم كالوالدة وهى فى حالة طلق (إش 13 : 8) ، فقد حملوا فى داخلهم ثمر شر يلدونه مرارة المر . والعجيب أن الكتاب المقدس يشبه آلام الأشرار بآلام المومنين (يو 16 : 20) ، الأولون يئنون فى يأس وبرعدة لأنهم يلدون ريحا (إش 26 : 18) ، أما الآخرون فيفرحون وسط الحزن الخارجى لأنهم ينجبون إنسانا فى العالم (يو 16 : 20) .

د – تصوير " وجوهكم وجوه لهيب " إش 13 : 8 ، محمرة خجلا بسبب انكسارهم الشديد وجبنهم ، كما تبهت أحيانا وجوههم (إش 13 : 8) ، إذ تصفر بسبب الخوف .

هـ - تصوير أرضهم خرابا ليس من يمشى عليها (إش 13 : 9) ، كرمز لما يحل بالجسد (الأرض) من فقدان لكل حيوية حقيقية . من يقاوم الرب من أجل شهوات الجسد يفقد حتى جسده وتخرّب نفسه الداخلية ، إذ قيل : " لذلك أزلزل السموات (النفس) وتنتزع الأرض (الجسد) من مكانها فى سخط " إش 13 : 13 . ربما يشير هنا أيضا إلى ثورة الطبيعة ضد من يعصى خالقها . وكان من يعصى الرب تعصاه الطبيعة ذاتها !

و – يحل بهم الظلام " فإن نجوم السموات وجبابرتها لا تبرز نورها ، تظلم الشمس عند طلوعها ، والقمر لا يلمع بضوءه " إش 13 : 10 . هذا يشير إلى ظلمة الجهل التى تحل بالإنسان المقاوم لله ، لا يرى شمس البر .

ز – يموت الرجال فى الحرب ، وإذا اعتادت النساء فى بابل على الحياة الخلية لذا يطلبن رجالا لتحقيق شهواتهن الرديئة فيصعب عليهن وجوده : " وأجعل الرجل أعز من الذهب الأبريز والإنسان أعز من ذهب أوفير " إش 13 : 12 . أيضا يشير ذلك إلى قلة الأيدي العاملة بسبب الحرب مع عودة المسيبيين وتحرر الأمم من السلطان البابلى .

ح – فقدان القيادة والرعاية : " ويكونون كظبى طريد وكغنم بلا من يجمعها ، يلتفتون كل واحد إلى شعبه ، ويهربون كل واحد إلى أرضه " إش 13 : 14 . لقد هنا أنه يوم انكسار بابل يفقد الجيش القيادة فيهرب الجنود المأجورون أو المسخرون من الأمم كل إلى بلده .

هذه هى حال النفس البعيدة عن الله فإنها تفقد قيادتها الداخلية ، ليعيش الإنسان كطريد أو كغنم بلا راع يجمعها .. يحمل فى داخله صراعات مرة وتشنيت فكر مع تحطيم للطاقات الداخلية .

ط – بطش بالكل دون تمييز بين عسكري أو مدنى ، رجل أو امرأة أو طفل (إش 13 : 15) . إن الماديين لا يحطمونها لأقتناء غنى (إش 13 : 17) ، وتحطيم طاقات بابل (إش 13 : 18) ، إنهم يخرّبون كل مواردها فتصير كسدوم وعمورة اللتين احترقتا بنار من السماء .

ى – تصوير بابل قفرا أديا ، لا يسكنها إعرابى يرعى غنمه ولا يربض فيها رعاة خوفا من الحيوانات المفترسة (إش 13 : 20 ، 21) .

إنها صورة للنفس التى تستسلم لعدو الخير فيستخدمها لحساب ملكوت الظلمة ، يملأها شرا ويحولها إلى معمل للفساد :

" تربض هناك وحوش القفر " إش 13 : 21 ..

" يملأ اليوم بيوتهم " إش 13 : 21 ..

" تسكن هناك بنات النعام .. ترقص هناك معز الوحش " إش 13 : 21 ، أى تسكن النجاسة ، بدلا من الفرح السماوى .. وهناك ترقص وتلهو الشياطين فى النفس الشريرة إذ تجد فيها موزعا لها .

" وتصيح بنات آوى فى قصورهم والذئاب فى هياكل التمتع " إش 13 : 22 .. أى تتحول القصور والهياكل من أماكن للتمتع إلى مأوى للحيوانات الشرسة .

هذا كله حل ببابل " بهاء الممالك وزينة فخر الكلدانيين " إش 13 : 19 ، المدينة الذهبية (إش 14 : 4) ، الغنية فى كنوزها (إر 51 : 13) ، فخر كل الأرض (إر 51 : 41) ..

تحققت هذه النبوات بطريقة حرفية :

يذكر التاريخ أن كورش هدم جزءا كبيرا من أسوار بابل وأبنيتها ، وبعد 20 عاما قام داريوس بهدم بقية الأسوار ونزع أبوابها النحاسية مع صلب ثلاثة آلاف من عظمائها .

بالفعل تحولت بابل إلى خراب ، وقد حاول اسكندر الأكبر أن يعيد مجدها لكنه مات قبل تنفيذ مشروعاته . استخدمت حجارته فى بناء بغداد وإصلاح الترعة وإقامة الكثير من المرافق العامة .

أخيرا فقد أكد النبى أن ما يقوله يتحقق سريعا : " ووقتها قريب المجىء وأيامها لا تطول " إش 33 : 22 . فقد بدأ نجم بابل يتألق عام 606 ق . م . وسقطت فى يد فارس ومادى عام 536 ق . م . ، بينما جاءت النبوة فى القرن الثامن ق . م .

لقد بقيت بابل رمزا لكل نفس متكبرة عاصية كما جاء فى سفر الرؤيا ، وقد قيل : " إنه فى ساعة واحدة جاءت دينونتك " رؤ 18 : 10 .

+ + +

إشعياء – الإصحاح الرابع عشر

سقوط بابل

يكمل النبى حديثه عن تأديب بابل وغيرها من الممالك المقاومة لله ولشعبه ، موضحا أن غاية الله من هذا التأديب ليس سقوط بابل أو غيرها إنما تقديم راحة لشعبه بعدما تأدب بالسبى . يريد تأكيد تحقيق وعود الله وعهوده مع شعبه الذى أذلتته بابل .

يظهر الله كقائد للمعركة ضد بابل يقوم بتخريبها ، لأنها بعجرفتها وكبريائها تشير إلى عدو الخير إبليس . أما ملكها فهو أداة للشيطان وممثل أو رمز له .

(1) ترفق الله بشعبه

الله الذى سمح لشعبه بالمذلة خلال السبى البابلى هو نفسه الله الرحوم الذى اختاره شعبا خاصا له (إش 14 : 1) .

لقد سبق أن أخرجه من مصر وحرره من فرعون وجاء به إلى أرض الموعد بذراع رفيعة ، والآن يحقق خروجاً آخر إذ يحرره من السبى ويرده إلى أرضه ليس فارغاً ولا فى ضعف ، إنما فى قوة يجتذب الغرباء إليهم ليصيروا دخلاء يشاركونهم ذات الإيمان والعبادة ، كما يهب شعبه قوة فيسبون من سبقوا أن سبواهم ، ويتسلطون على من سبقوا أن ظلموهم ، بهذا يستريح الشعب من التعب والعبودية (إش 14 : 4) .

(2) هجو على ملك بابل :

يتحدث النبى باسم الشعب المتحرر من سلطان بابل فيهجو ملكها واصفا إياه هكذا :

أ – " الظالم " إش 14 : 4 . إن كانت بابل قد دعيت مدينة الذهب بسبب غناها الفاحش ، فإن هذا الغنى قد تحقق خلال ظلم ملكها وغطرسته ، هذا الظلم لن يدوم ، وهذه الغطرسة لا بد أن تنكسر : " كيف باد الظالم بادت المغطرسة . قد كسر الرب عصا الأشرار قضيب المتسلطين " إش 14 : 4 ، 5 .

ب – " الضارب الشعوب بسخط ضربة بلا فتور ، المتسلط بغضب على الأمم باضطهاد بلا إمساك " إش 14 : 6 . لم يتوقف عن الضرب لذا كسر الرب عصاه ، ولم يمسك عن اضطهاد الشعوب ، يكتم أنفاس الناس ويحجر على حريتهم ، لهذا استحق أن يسقط فى مذلة ، وكما قيل " كما فعلت يفعل بك ، عملك يرتد على رأسك " عو 15 .

بسبب هذه السمات عندما سقطت بابل " استراحت الأرض وهتفت ترنما " (إش 14 : 7) ، وقيل ليعقوب : " ويكون فى يوم يريحك الرب من تعبك ومن انزعاجك ومن العبودية القاسية التى استعبدت بها " إش 14 : 3 .

تحققت هذه الراحة جزئياً بعودة الشعب من السبى ، لكن " بقيت راحة لشعب الله " عب 4 : 9 ، هى الدخول إلى الحياة الجديدة التى فى المسيح يسوع بكونه :

" سبتنا الحقيقى " و " راحتنا الأبدية " .

بسقوط بابل شمت السرو (الملك) وأيضاً أرز لبنان (الرؤساء) ، فائلين : " منذ اضطجعت لم يصعد علينا قاطع " إش 14 : 8 ، بمعنى منذ نمت فى القبر لم تعد توجد يد تؤذيها ، فقد اعتاد الأعداء أن يقطعوا الأشجار فى الحروب لمقاومة لمقاومة البلاد التى يستولون عليها ولأستخدامها كوقود ، أو للبناء كما فعل نبوخذ نصر .. على أى الأحوال ، فإن الحروب مبددة للموارد الطبيعية .

لم يقف الأمر عند إزدياء الملوك بملك بابل ، إنما يصوره النبى وهو منحدر فى الهاوية يستقبله ملوك الأرض والعظماء – ربما الذين سبق أن اضطهدهم – يقومون عن كراسيهم فى الهاوية لا لتكريمه وإنما للاستهزاء به وللسخرة منه ، لكى يجلس على كراسيهم كما فعل وهو على الأرض . يقولون له باستخفاف :

" أنت أيضاً قد ضعفت نظيرنا وصرت مثلاًنا ؟! " إش 14 : 10 .

كنا نحسبك إلهاً خالداً كما أدعيت ، ولم نتخيل أنك تموت فى مذلة مثلاًنا !

" أهبط إلى الهاوية فخر كربة أعوادك ؟! تحتك تقرش الرمة ، وغطاؤك الدود " إش 14 : 11 . كنت تفتش الحرير وتتطيب بأثمن الأطياب ، فكيف نزلت إلى الهاوية كمخدع لك تفتش الرمة وتتغطى بالدود ؟ .

" كيف سقطت من السماء يا زهرة بنت الصبح ؟! كيف قطعت إلى الأرض يا قاهر الأمم ؟! وأنت قلت فى قلبك : أصعد إلى السموات ، أرفع كرسيى فوق كواكب الله ، وأجلس على جبل الاجتماع فى أقصى الشمال ، أصعد فوق مرتفعات السحاب ، أصير مثل العلى " إش 14 : 12 – 14 .

لقد تشبهت إبليس سيدك الذى كان كوكبا عظيما ومرموقا بين السمايين " زهرة بنت الصبح " ، فتشامخ على الله خالقه ، وظن أنه يقدر أن يرتفع على مستوى الله نفسه بل ويصير أعظم منه ، فسقط ليصير ظلاما عوض النور إذ عزل نفسه بنفسه عن الله مصدر النور . أردت أن تجلس على جبل صهيون (مز 48 : 2) ، جبل الله المقدس ، حسبت نفسك كأنه فى العظمة فتعاليت فوق السحاب !

هكذا إذ يعرف الله الخالق طبيب الكل أن الكبرياء هى علة كل الشرور ورأسها لهذا يحرص أن يشفى الضد بال ضد ، فما هلك بواسطة الكبرياء يصلح بواسطة الاتضاع ...

[يقول واحد : " أصير مثل العلى " إش 14 : 12 ...

أما الآخر : " إذ كان فى صورة الله لم يحسب خلسة أن يكون معادلا لله ، لكنه أخلى نفسه آخذا صورة عبد ... وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب " فى 2 : 6 - 8

يقول واحد : " أرفع كرسيى فوق كواكب الله "

بينما يقول الآخر : " تعلموا منى ، لأنى وديع ومتواضع القلب " مت 11 : 28 .

واحد يقول : " أنهارى هى لى وأنا أصنعها " حز 29 : 3 ...

والآخر : " لست أفعل شيئا من نفسى لكن الآب الحال فى هو يعمل الأعمال " يو 5 : 30 ، 14 : 10] .

هكذا تحدد الكبرياء الإنسان إلى الهاوية ، لذا يحدث النبى ملك بابل قائلا : " انحدرت إلى الهاوية إلى أسافل الجب " إش 14 : 15 . لقد سقطت من قمة جبل أحلامك ، وهبطت من سحاب خيالك ، لتعيش فى الهاوية مع إبليس سيدك .

أين جيروتك يا من زلزلت الأرض وزعزعت الممالك ببطشك .. حولت العالم إلى قفر وهدمت المدن لكى تسبى سكانها (إش 14 : 16 ، 17) ؟!

أين عزك ومجدك ؟ فإن كل ملوك الأرض اضجعوا بالكرامة ، حتى أولئك الذين أذللتهم وعذبتهم ، فقد ماتوا فى بيوتهم ورفعت صلوات عنهم وحنطت بعض أجسادهم ، " وأما أنت فقد طرحت من قبرك كغصن أشنع ، كلباس القتلى المضروبين بالسيف الهابطين إلى حجارة الجب كجثة مدوسة " إش 14 : 19

هذه النبوة تشير إلى ذبح بليشاصر ليلة دخول الماديين بابل حيث لم ينشغل أحد بجثمان الملك وسط الخراب الذى حل بالمدينة .

هكذا فقد ملك بابل كل شيء ، بل وقتل شعبه وبنوه (إش 14 : 20 ، 21) بكبرياء قلبه ، خسر المدينة الملوكية والنسل الملوكى .

(3) خراب بابل :

بسبب الكبرياء ينتزع الله من بابل اسمها ، ولا يترك فيها بقية ولا ذرية (إر 51 : 62) ، لتكون مثلا أمام العالم كله لتصير خرابا ، يسكنها القنفذ وأجام مياة (إش 14 : 23)

المدينة الملوكية العظيمة تتحول إلى مسكن سواء للحيوانات أو الطيور التى تسكن القفر ، وتحسب دنسة مملوءة رجاسات ، تحتاج إلى الكس بمكنسة الهلاك ، أى الإبادة التامة للخلاص من رجاساتها ، حتى لا تفسد من حولها .

(4) خراب آشور :

يذكر النبي ما سيحل بأشور وفلسطين لكي يتأكد السامعون صدق النبوة الخاصة ببابل والتي ستتم بعد حوالي 200 عاما من إعلانها .

يكشف الله عن خطته في تأديبه للأشرار ، ألا وهي أنه يتركهم يتممون إرادتهم الشريرة بكامل حريتهم ، فيجنون ثمر شرهم فسادا وهلاكاً ، كأن الخطية تحمل عقوبتها فيها كما أن الحياة المقدسة في الرب تحمل مجدها داخلها . لهذا قيل : " قد حلف رب الجنود قائلاً : إنه كما قصدت يصير وكما نويت يثبت " إش 14 : 24

(5) خراب فلسطين :

" في سنة وفاة الملك أحاز كان هذا الوحي : لا تفرحى يا جميع فلسطين لأن القضيبي الضار بك انكسر ، فإنه من أصل الحية يخرج أفعوان ، وثمرته تكون ثعبانا ساما طيارا " (إش 14 : 28 – 30)

كانت فلسطين في ذلك الحين مكونة من عدة إمارات ، لهذا يخاطبها قائلاً : " يا جميع فلسطين " . يطلب منها ألا تفرح لأن القضيبي الضار بها قد انكسر ، يرى البعض أن هذا القضيبي هو تغلث فلاسر الذى استولى على مدن فلسطينية ، وقد مات قبل أحاز بسنة أو سنتين ، فسيخلفه شلمناصر وسرجون وسنحاريب وهم أشر منه .

يرى غالبية الدارسين أن القضيبي المكسور هو عزيا الذى ضرب الفلسطينيين بقسوة ففرحوا بموته (2 أى 26 : 6) . وأن أصل الحية هو بيت داود حيث يأتى حزقيا الملك الذى ضربهم ضربة أقسى من عزيا جده (2 مل 18 : 8) ، واستعبدتهم .

أما الحية الطائرة فهي مثل الحية النحاسية التى رفعها موسى فى البرية ، ترمز لشخص السيد المسيح المصلوب ، الحامل سم خطايانا فى جسده ليبيده بموته المحيى .

يعلن النبي أن فلسطين تواجه مجاعة قاسية (إش 14 : 30) ، وحرباً مدمرة فتنحول مدنها إلى دخان بينما فى النهاية يحمى الرب شعبه ويترفق ببائسيه (إش 14 : 32) .

الله – فى صلاحه – لا يمنع الشر ولا يلزم الأشرار على التوبة ، لكنه فى النهاية يتم خطة خلاصه لمؤمنيه المتكلمين عليه ، محولاً كل الأمور لبنياتهم .

إشعياء – الإصحاح الخامس عشر

وحى من جهة موآب

يقدم إشعياء النبي نبوات تخص الأمم المحيطة بيهودا وإسرائيل تتحقق سريعا حتى يتأكد الشعب من أمرين : صدق نبوات إشعياء النبي فيما يخص المستقبل البعيد مثل السبى والرجوع منه ومجىء المسيح وأعماله الخلاصية ، وأن الله هو إله الأرض كلها ، ضابط الكرة الأرضية ومحرك الشعوب .

(1) سرعة تحقيق النبوة

" وحى من جهة موآب . إنه فى ليلة خربت عار موآب وهلكت . إنه فى ليلة خربت قير موآب وهلكت " إش 15 : 1 .

جاء الموآبيون من نسل لوط ، لذا فهم يمتون بصلّة قرابة لإسرائيل ، سكنوا شرق البحر الميت ، سمح بنو رؤوبين للموآبيين بالسكنى فى مدنها وأخذوا عنهم عبادة الإله كموش ، كما وجدت علاقات طيبة أحيانا بين موآب وإسرائيل ، عندما قاوم شاول داود أودع الأخير والديه لدى ملك موآب ، ومع هذا فقد حمل الموآبيون روح عداوة تجاه إسرائيل ويهودا ، فكثيرا ما تحالفوا مع الشعوب المجاورة ضدهم .

يتنبأ إشعياء النبي عن خراب المدن الكبرى في موآب ، وقد تحققت هذه النبوة حرفيا وبدقة خلال ثلاث سنوات من إعلانها (إش 16 : 14) ، وقد حل الخراب على يدى ملك آشور فجأة وبطريقة غير متوقعة .

هلكت المدينتان " عار وقير " فى ليلة واحدة ، وليس فى يوم واحد أو نهار واحد . فإنه إذ يغيب شمس البر عن النفس البشرية التى تشبه مدينة عظيمة مسورة ، يحل بها ظلام الشر والجهل وتفقد كل ما تعبته لسنوات طويلة ليحل بها الخراب .

(2) تحطيم المدن العظمى

يصور إشعياء النبي ما حل بالمدن الكبرى فى موآب بجانب عار وقير فيقول :

" إلى البيت وديبون ؛ يصعدون إلى المرتفعات للبكاء " إش 15 : 2 . إذ حل الخراب بموآب لجأ الكثيرون إلى الآلهة الوثنية يصرخون بدموع وعويل لعلها تستطيع أن تنقذهم ، لكن بلا جدوى ، وذلك كما فعل أنبياء وكهنة البعل فى أيام إيليا النبي .

البيت : يرى البعض أنه هيكل الإله كموش

ديبون : اسم موآبى يعنى " مرتفعات " وهى مدينة وجد فيها بيت أو هيكل الإله كموش ..

كان الموآبيون قد هربوا إلى هيكل الإله كموش أو ديبون ، ليكون وينوحون على ما حل بهم من خراب .

" تولول موآب على نبو وعلى ميدبا " إش 15 : 2 .

لقد خربت " نبو " بالقرب من الجبل العظيم نبو ، شرقى الأردن فى نهاية جنوب البحر الميت ، وهو الجبل الذى صعد عليه موسى النبي لينظر من بعيد أرض الموعد فنتهلل نفسه مشتاقا أن يعبر إلى أرض الأحياء وينعم بكنعان السماوية ، وقد مات هناك (تث 34) .

كانت نبو محصنة بالجبل العظيم ، مركز دفاع للموآبيين ، لكنها ضاعت وخربت ..

ولولوا على " ميدبا " ، معناها " مياة الراحة " ، تسمى حاليا " مادبا " ، تبعد حوالى 5 أميال جنوب شرقى نبو ، 14 ميلا شرقى بحر لوط ، دعيت هكذا لأن بها بركة فى الجنوب طولها وعرضها 360 قدما كما توجد بها برك أصغر فى الشرق والشمال .

يقول النبي : " فى كل رأس منها قرعة ، كل لحية مجزوزة ، فى أزقتها يأتزرون بمسح ، على سطوحها وفى ساحاتها يولول كل واحد منها سيالا بالبكاء " إش 15 : 2 ، 3 .

هذه جميعها علامات الحزن الشديد ، قرع الرأس يشير إلى المذلة ، إذ اعتاد المنتصرون أن يحلقوا شعر الذكور والإناث المسيبين علامة العبودية والقبح ، وجز اللحية إشارة إلى مهانة الكهنوت وفقدان سلطانه الروحي وكرامته ، والإتزار بالمسح علامة اليأس الشديد ، أما البكاء حتى تصير الدموع كالسيل فمعناه فقدان الفرح الداخلى .

" وتصرخ حشبون والعالة ، يسمع صوتهما إلى ياهص ، لذلك يصرخ متسلحوا موآب ، نفسها ترتعد فيها " إش 15 : 4 . كان الموآبيين قد هربوا من مدينة إلى مدينة ، وكأن صراخهم يسمع من بعيد ، من مدن بعيدة ، صراخ سكان حشبون والعالة يدوى فى ياهص .

حشبون والعالة مدينتان فى أقصى الشمال ، أما ياهص فتبعد إلى الجنوب منهما بمقدار حوالى 10 أو 12 ميلا .

لم يحتمل إشعياء النبي أن يرى ما حل بهذه المدن العظيمة ، " نفسها ترتعد فيها " إش 15 : 4 .. لذلك يقول " يصرخ قلبى من أجل موآب " إش 15 : 5 . لا يقف شامتا فى الأعداء ، إنما يشاركهم مرارتهم ، مشتاقا إلى رجوعهم عن عدواتهم وتمتعهم بالخلاص .

هذه هي سمة رجال الله :الحب الداخلى الصادق والرغبة العميقة لخلاص حتى المقامومين لهم !

يقول النبی :

" يصرخ قلبى من أجل موآب ، الهاربين منها إلى صوغر كعجلة ثلاثية لأنهم يصعدون فى عقبة اللوحيت بالبكاء ، لأنهم فى طريق حوروناييم يرفعون صراخ الإنكسار " إش 15 : 5 .

كأن إشعياء النبی يصور الهاربين من أقصى الشمال إلى صوغر فى الجنوب ، المدينة الصغيرة التى لجأ إليها لوط عند حرق سدوم وعمورة ، أشبه بعجلة واحدة عمرها ثلاث سنوات قد هربت كما من النير الثقيل الذى لم تعتد عليه .

أما اللوحيت وحوروناييم فلا يعرف موضعهما ، إنما غالبا ما كانا بجوار صوغر .

(3) حلول المجاعة

لا يقف الأمر عند خراب المدن والهزيمة المنكرة إنما يحل لموآب مجاعة كثمرة طبيعية للهزيمة فى الحرب ، " لأن مياة نمریم تصير خربة ، لأن العشب يبس ، الكلأ فنى ، الخضرة لا توجد ، لذلك الثروة التى اكتسبها وذخائره هم يحملونها إلى عبر وادى الصفصاف " إش 15 : 6 ، 7 .

نمریم : اسم سامى معناه " مياة صافية " وهى ينباع فى وادى نميرة فى الساحل الجنوبى الشرقى للبحر الميت . المعنى أن المياة لا تكفيهم هم وحيواناتهم ، فيتكونها ويحملون ما يستطيعون حمله من ثروة وذخائر ليكملوا الطريق .

فى اختصار تفقد موآب مدنها العظمى، وحقولها ، ومياهاها ، وسلامها لتصير فى خراب تام

+ + +

إشعياء – الإصحاح السادس عشر

خضوع موآب ليهودا

فى أيام حزقيا يقدم إشعياء النبی مشورة لموآب أن تفى بالجزية التى تعهدت بها أمام يهوذا فترسل إليه حملان ، وهى جزية مناسبة لأن موآب مشهورة بقطعانها (عد 32 : 4) . قدمت موآب فيما بعد جزية أيضا لإسرائيل (مل 3 : 4) . بهذه المشورة تتمتع موآب بالحماية عوض أن تصير كطائر تائه لا يجد عشا . وإذ خشى النبی ألا تقبل موآب مشورته كشف لها جراحاتها المهلكة ألا وهى الكبرياء .

هذه دعوة مقدمة لكل نفس لكى تخضع للسيد المسيح الملك الخارج من سبط يهوذا ، لكى تقدم حياتها كحمل ذبيح من أجل الرب ، فتنعم بالسلام الداخلى عوض أن يحطمها جحود الإيمان والكبرياء .

(1) مشورة للخضوع ليهودا

سبق أن رأينا قلب إشعياء النبی يتحرك بحنان شديد نحو موآب فصار يصرخ من أجلهم . الآن يقدم للموآبيين مشورة صالحة لإصلاحهم حالهم وتمتعهم بعلاقات طيبة مع بنى يهوذا وتذوقهم للسلام والحماية ، بتقديم الجزية (حملان) لحزقيا الملك ، كرمز لدعوة الأمم إلى الخضوع للسيد المسيح ، الأسد الخارج من سبط يهوذا ، فإنه لا سلام ولا حياة أبدية دون قبوله ملكا فى حياتنا الداخلية .

يتقدم النبي نفسه ليعلن استعدادة أن يكون وسيطا أو شفيعا لدى يهوذا عن موآب ، مطالبيا الموابيين بدفع الجزية : " أرسلوا خرفان حاكم الأرض من سالع نحو البرية إلى جبل ابنة صهيون ، ويحدث أنه كطائر كفراخ منفرة تكون بنات موآب فى معابر أرنون " إش 16 : 1 ، 2 .

" سالع " اسم عبرى معناه " صخرة " ، موقع حصين فى أرض أدوم ، كأن النبي يدعو الموابيين الذين التجأوا إلى أدوم وتحصنوا فى سالع أن يتقدموا مع بقية الموابيين الذين فى البرية ليهوذا ، وأن يقدموا الحملان فى أورشليم " جبل ابنة صهيون " .

إنها دعوة لكل إنسان ألا يظن فى الذراع البشرى أو الإمكانيات الطبيعية ملجأ له . إنما يكمن سلامه فى بلوغ أورشليم ، وتقديم حياته ذبيحة حب لأبن داود ، الأسد الخارج من سبط يهوذا .

يقدم النبي أيضا مشورة لشيوخ يهوذا ، مطالبيا إياهم أن يستقبلوا الموابيين اللاجئين إليهم ليقدّموا لهم ظلا وسط الظهيرة ، فيصير لهم الوقت كأنه ليل للراحة من شمس التجارب والضيقات ، وأن يستردوا المطرودين والهاربين إليهم بدون خداع ، فلا يسلموهم عبيدا للأعداء (إش 16 : 3 ، 4) .

يليق برجال يهوذا أن يحملوا مزا للسيد المسيح الملجأ الحقيقى ، فيفتحوا قلوبهم ومدنهم للهاربين ، ويستقبلوهم بإخلاص ، بهذا تعلن مملكة المسيح القائمة على كرسى الرحمة أبديا : " فيثبت الكرسى بالرحمة ، ويجلس عليه بالأمانة فى خيمة داود قاض ويطلب الحق ويبادر بالعدل " إش 16 : 5 .

هكذا يقدم لنا النبي نصا مسيانيا ، معلنا أن الكنيسة – خيمة داود – هى موضع النجاة ، يملك فيها المسيا ليجتذب الأمم إليه فيجدوا فيه الحق ويتمتعوا بالمراحم الإلهية ، مترنمين : " العدل والحق قاعدة كرسيك ، الرحمة والأمانة تتقدمان وجهك .. لأن الرب مجننا وقدوس إسرائيل ملكنا " مز 89 : 14 ، 18 .

(2) الكبرياء محطم للإنسان

قدم إشعياء النبي المشورة الصالحة لموآب ، كما كشف لهم عن ضعفهم الروحي – الكبرياء – العائق عن قبول المشورة " قد سمعنا بكبرياء موآب المتكبرة جدا عظمتها وكبريائها وصلفها بطل افتخارها " إش 16 : 6 . لقد سمع النبي عن كبرياء الموابيين وتشامخهم الزائد وكلماتهم الباطلة !

الكبرياء محطم للإنسان كما للأمم ، يحرم صاحبه من قبول المشورة الصالحة ، ويفقده التمتع بنعمة الله ورحمته .

(3) ولولة على موآب

لم يسمع قادة موآب لصوت إشعياء النبي بسبب كبريائهم لهذا سقطوا تحت العقوبة واستحقوا الويلات التى يلاحظ فيها الآتى :

(أ) حدوث ولولة شاملة : " لذلك تولول موآب على موآب كلها يولول " إش 16 : 7 ، إذ صارت الولولة سمة عامة فى كل موآب .

(ب) شملت الولولة أكبر المدن مثل قير حارسة (إش 16 : 7) التى ضربت ، وأيضا الحقول التى ذبلت كحقول حشيون وكريمة سيمة ويعزير (إش 16 : 8 ، 9) ، شملت المدن والقرى ، المتعلمين والجهال ، الأغنياء والفقراء الخ

(ج) تحولت أفراح الحصاد إلى بكاء ونوح (إش 16 : 10) .

(د) انطلق الموابيون إلى المرتفعة للصلاة فى هيكل الإله كموش بلا جدوى (إش 16 : 12)

(هـ) تحدد ميعاد العقوبة بثلاث سنوات خلالها تنهار موآب أمام سنحاريب ملك أشور ، ويذل الموآبيين ويتحطم مجدهم (إش 16 : 14) .

وسط هذه الصورة القائمة يكشف إشعياء النبي عن جانبين مبهجين : الأول مشاركة النبي بنى موآب متاعبهم ، إذ يقول : " لذلك ترن أحشائي كعود من أجل موآب وبطنى من أجل قير حارس " إش 16 : 11 . لا تحتل أحشاؤه الداخلية أن تنظر نفوسا متألمة حتى وإن كانت آلامها ثمرة خطاياها .

الجانب الثانى وجود بقية قليلة جدا وضعيفة للغاية (إش 16 : 14) ، ففي القديم تمتعت راعوث الموآبية بالخلص ، إذ جاءت تحتوى تحت ظل الله ، وفى العهد الجديد جاء الأمم إلى الإيمان ليتمتعوا بالحياة الجديدة فى المسيح يسوع .

+ + +

إشعياء – الإصحاح السابع عشر

وحى من جهة دمشق وافرأيم .

ليس عند الله محاباة ، فإن كان يؤدب الأمم الوثنية مثل موآب لجحدها الإيمان وعجرتها وتجديفها عليه فإنه يؤدب إسرائيل (أو افرأيم – العشرة أسباط) لأنها تحالفت مع آرام أو سوريا (عاصمتها دمشق) ضد يهوذا متكئين على فرعون مصر ضد أشور . لهذا سمح الله لملك أشور أن يهجم على آرام وافرأيم ويغلبهما سريعا .

(1) تدمير دمشق

تعتبر من أعرق المدن ، ورد ذكرها فى أيام إبراهيم (تك 14 : 15) ؛ غزاها داود الملك وأقام فيها حامية (2 صم 8 : 5 ، 6 ، 1 أى 18 : 5 ، 6) .

قام رزون وتمكن من تأسيس المملكة السورية ودامت الحرب بينهما وبين إسرائيل زمنا طويلا لكنهما تحالفا معا فيما بعد ضد يهوذا وأشور . وقد تعرضت للهزيمة عدة مرات ، ففي سنة 843 ق.م. هاجم شلمناصر دمشق وهزم ملكها حزائيل ...

انتهى الأمر بسوريا إلى أن تكون مقاطعة رومانية عام 63 ق . م .

" هوذا دمشق تزال من بين المدن وتكون رجمة ردم ؛ مدن عروعر متروكة ، تكون للقطعان فتربض وليس من يخيف " إش 17 : 1 - 2 .

كانت دمشق مزدهرة جدا حتى حاصرها تغلث فلاشر وقتل ملكها وسبى شعبها فصارت أشبه برجمة خربة .

عروعر – المذكورة هنا – مدينة فى جلعاد بالقرب من ربة التى هى ربة عمون (يش 30 : 25 ، قض 11 : 33) عمان عاصمة الأردن .

دمشق وعروعر يمثلان النفس المتشامخة على الله والمتحالفة مع الغير ضد كنيسته ، فإنه وإن كان الله يتركها زمنا لتظهر قوية وناجحة ومزدهرة ، لكنها تعود فتنهار من جانبين :

(أ) تتحول من مدينة عظيمة إلى رجمة خربة ...

(ب) تتحول عروعر من مسكن للناس (مع الله) إلى مرعى للقطعان والحيوانات . وكأن مقاومتنا للحق تفقدنا كرامتنا وتحول حياتنا إلى ملهى لكل حيوان ، فنحمل الطبيعة الحيوانية الجسدانية .

(2) هزيمة افرايم

تزعمت دمشق فكرة التحالف ضد يهوذا لهذا استحققت أن تعاقب أولا ، وإذ ضعفت إسرائيل وخضعت للمشورة استحققت هي أيضا التأديب القاسى مع فتح باب الرجاء أمامها وإعلان وجود بقية أمينة ومخلصة تتمتع بخلاص الله .

تقدم النبوة الثمرة الطبيعية للتحالف الشرير الذى فيه اتكأ على الذراع البشرى والفكر الإنسانى البحت مع تجاهل العمل الإلهى ، هذه الثمرة هي عقوبة طبيعية يسقط تحتها الإنسان فى شره .

(أ) فقدان الحصانة : " يزول الحصن من أفرام " إش 17 : 3 ؛

" فى ذلك اليوم تصير مدنه الحصينة كالردم فى الغاب والشوامخ التى تركوها من وجه بنى إسرائيل فصارت خرابا " إش 17 : 9 .

إن كان الله إله خلاصنا هو صخرة حصننا (إش 17 : 10) فإن اعتزالنا إياه ورفضنا لعمله هو زوال للحصن الحقيقى ... عندئذ لا تقدر الحصون أن تحمى مدينتنا الداخلية بل تصير كردم فى وسط الغاب بلا قيمة وكشوامخ متروكة لها المظهر الخارجى دون قوة العمل !

الله هو حصننا الذى فيه نلتجىء فتستريح أعماقنا ، عندئذ لا تقدر كل قوى الظلمة أن تتسلل إلينا .

(ب) فقدان المجد الداخلى : " ويكون فى ذلك اليوم أن مجد يعقوب يذل " إش 17 : 4 . إن كان مجد ابنة الملك من الداخل (مز 45) ، فإن سر مجدها هو مسيحها الساكن فيها ، الذى يقيم ملكوته داخلها . بالمسيح يسوع نتمجد ليس فقط أمام الناس وإنما أيضا أمام الآب ، إذ يقول القديس جيروم :

تطلع إلينا ، فإنك ترى ابنك الساكن فينا

(ج) فقدان القوة : " وسمان لحمه تهزل " إش 17 : 4 ، لهذا يقول السيد المسيح :

" بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئا " يو 15 : 5 .

+ لا نقدر أن نجرى فى طريق الله ما لم نكن محمولين

على أجنحة الروح .

+ ليس أقوى من الذى يتمتع بالعون السماوى كما

أنه ليس أضعف من الذى يحرم منه .

+ لا نخشى شيئا ، فإننا لكى نقهر الشيطان يلزمنا أن نعرف أن مهارتنا لن تفيد شيئا ،

وأن كل شيء هو من نعمة الله . [القديس يوحنا الذهبى الفم] .

(د) فقدان الثمر ، فقد عرف وادى رفايم بخصوبة أرضه ووفرة ثماره ومحصولاته ، لكن بسبب الأعداء لا يتبقى لأفرايم إلا أن يلتقط السنابل الساقطة وراء الحصادين ويجمع ما تبقى فى رأس الفروع من شجر الزيتون حبتين أو ثلاث فقط (إش 17 : 5 ، 6) أى يصيروا كالفقراء الذين ليس لهم ما يحصدونه (تث 24 : 20) .

إنهم يسيجون الحقول ويزرعون ولكن فى وقت الحصاد يأتى العدو ليغتصب تاركاً لهم ما يسقط منه على الأرض ، فتتحول أعياد الحصاد إلى أزمة للكآبة وعدم الرجاء (إش 17 : 11) . بمعنى آخر يفقدون تعب جهادهم ويخسرون فرحهم وسلامهم .

الآن نتساءل : لماذا يسمح الله لأفرايم بهذا الذل ؟

لكى يرجع إلى الله خالقه عوض مشاركة الأراميين مشوراتهم الشريرة وعباداتهم الوثنية ورجاساتهم الدنسة ، إذ يقول : " فى ذلك اليوم يلتفت الإنسان إلى صانعه وتتنظر عيناه إلى قدوس إسرائيل ، ولا يلتفت إلى المذابح صنعة يديه ، ولا ينظر إلى ما صنعته أصابعه السوارى والشماسات " إش 17 : 7 ، 8 .

السوارى هنا تعنى تماثيل الوثنيين ، والصور الخاصة بإلهة الحب والجمال (عشتار) ، كانت هذه السوارى تحمل معانى جنسية إباحية ، سمح الله بتأديب شعبه لكى لا يدنس نظرتة للجنس بل يرتفع بقلبه وفكره نحو الله ..

أما بالنسبة للشماسات فهى خاصة " مذبح البخور " عند الوثنيين ، لذا جاء هذا التعبير خاصا بالعبادة الوثنية متمائزا عن البخور المقدس الذى يقدم فى الهيكل .

(3) هجوم الأعداء

يشبه الأعداء بالبحر الذى لا يمكن مقاومته .. فى تصوير رائع يقول :

" أه ضجيج شعوب كثيرة .. قبائل تهدر كهدير مياة كثيرة ، ولكنه ينتهرها فتهرب بعيدا وتطرد كعصافة الجبال أمام الريح ، وكالجل أمام الزوبعة ، فى وقت المساء إذا رعب ، قبل الصبح ليسوا هم . هذا نصيب ناهيينا وحظ ساليينا " إش 17 : 12 - 14 .

يسمح الله للأعداء أن يهجموا كمياة بحار غزيرة لا يقف أحد أمامها ، لكنه إذ ينتهرها تصير كعافة فى مهب الريح على الجبال ليس لها موضع استقرار ولا قدرة على المقاومة .

لذلك يقول " فى وقت المساء رعب " إش 17 : 14 .

بمعنى أنه متى غاب شمس البر عن حياتنا تحل الظلمة فينا ونصير كما فى المساء ليجد العدو له فينا موضعا فيرعبنا ...

إشعياء – الإصحاح الثامن عشر

كوش تقدم هدية الله

يعتبر هذا الإصحاح من أكثر الإصحاحات غموضا فى الكتاب المقدس . يرى قلة من الدارسين أن الحديث هنا يخص آشور أما الغالبية فترى أن الحديث إما يخص مصر أو أثيوبيا . وقد رفض البعض نسبته إلى مصر بحجة أن الوحي الخاص بمصر جاء فى الإصحاح التالى متدنا بالقول " وحي من جهة مصر " إش 19 : 1 .

يقصد بكوش جنوب مصر ، حاليا النوبة والسودان وأثيوبيا ، وكان ملكها القدير ترهاقة (2 مل 19 : 9) قد ملك على كوش ومصر ، هذا بعث برسل على سفن صغيرة مصنوعة من حلف البردى إلى يهوذا طالبا التحالف معه ضد سنحاريب ملك آشور .

لقد أراد النبى أن يؤكد إن كان كوش يطلب تحالفا ضد قوى آشور المتزايدة ، فإن كوش ومصر ستأتى إلى أورشليم مع بقية الأمم لتتعب خاضعة لرب الجنود . بمعنى آخر الله لا يحتاج إلى تحالفات بشرية ضد قوى الشر إنما هو حصن منيع لكل الأمم التى تترجاه وتتعب له .

(1) إرسالية من كوش

يوجه النبي حديثه إلى كوش قائلا : " يا أرض حفيف الأجنحة التي في عبر أنهار كوش " إش 18 : 1 .

ماذا يقصد بارض حفيف الأجنحة ؟

(أ) يرى البعض أنها إشارة إلى السلطان الأمبراطوري الذي كان يبسط جناحيه على كل أرض كوش وما حولها . وقد استخدم الكتاب المقدس هذا التشبيه مرارا كثيرة ، فقيل عن ملك أشور " يكون بسط جناحيه ملء عرض بلادك يا عمانوئيل " إش 8 : 8 . كما شبه ملك أشور بنسر عظيم ذى منكبين (حز 17) .

(ب) يرى بعض الدارسين أن حفيف الأجنحة يشير إلى سلطان مصر وعظمتها ، وآخرون يروا أنها بريطانيا العظمى التي حملت أمجادا عظيمة عبر البحار وآخرون حسبوها الولايات المتحدة الأميركية التي تتخذ النسر شعارا لها .

(ج) يشير حفيف الأجنحة إلى الحشرات ، لذا فهي ترمز إلى كوش كبلاد تشتهر بحشرات الطائفة ، خاصة وأن الكلمة العبرية هنا استخدمت في تث 28 : 42 عن الحشرات (الصرصر)

(د) كلمة sel تعني " ظلا " ، لذا فهي تشير إلى بلاد قريبة من خط الاستواء حيث يكون الظل مضاعفا (أو ذات أهمية لشدة الحر)

على أى الأحوال بعث ملك أثيوبيا رسلا خلال سفنه المصنوعة من البردى ، وكان على عجلة ، لأن العدو على الأبواب ويمثل خطرا على العالم كله في ذلك الحين . لقد عرف الأثيوبيون بقدرتهم على التجسس على مواقع الأعداء وتحركاتهم بواسطة سفنهم الصغيرة السريعة ، لهذا لم يتوان الملك في التحرك ليدعو يهوذا إلى التحالف ضد خطر أشور المتزايد .

كانت إرسالية الملك هي للتحالف ، لكنها ليست إرسالية سلام ، وإنما إرسالية دعوة للحرب ضد أشور وثورة ضد سنحاريب ، الأمر الذي تترقبه كل الشعوب ، إذ قيل : " يا جميع سكان المسكونة وقاطني الأرض عندما ترتفع الراية (راية الحرب) على الجبال تنظرون ، وعندما يضرب بالبوق تسمعون " إش 18 : 3 .

يقول النبي : " اذهبوا أيها الرسل السريعون إلى أمة طويلة وجرداء ، إلى شعب مخوف منذ كان فصاعدا ، أمة قوة وشدة ودوس قد خرقت الأنهار أرضها " .

يرى البعض أن الوصف هناك ينطبق على الأثيوبيين أو الأشوريين أو الماديين .. لكن الإرسالية كانت موجهة إلى شعب الله الذي دعى " شعب مخوف " ، لأن إلهه مخوف (خر 23 : 27 ؛ 34 : 10 ، تث 28 : 58 ، يش 2 : 9 ، مز 139 : 14) . إنه شعب مخوف منذ كان ، أى منذ بداية نشأته ، إذ خرج من مصر بيد قوة وذراع رفيعة . أما قوله " قد خرقت الأنهار أرضها " إش 18 : 2 فيشير إلى خطورة موقعها ، لأن العدو مزعم أن يهاجمها فيكون كنهر جارف ، ووصفها " أمة طويلة (ممدودة) وجرداء (حادة) " إش 18 : 2 ، جاء في الترجمة السبعينية " أمة مسحوقة وممزقة " ... إذ يسحب العدو الشعب كالغنم ويجرونهم إلى السبي فيصيروا مسحولين .

إن كان النبي يطلب من الشعب ألا يقبل إرسالية ملك كوش للتحالف معا ، فما هو موقف الله من هجمات أشور على شعبه ؟

" لأنه هكذا قال لى الرب : إنى أهدأ وأنظر فى مسكنى كالحر الصافى على البقل ، كغيم الندى فى حر الحصاد " إش 18 : 4 .

يبدو كأن الله هادئا ساكنا لا يعبا بأمورنا ، وقد يترك الله ملك أشور المتجبر يدمر وبهالك ويحطم مدنا حتى يبلغ إلى أبواب أورشليم عندئذ يعلن الله عن دوره الخفى ويرد ملك أشور خائبا محطما كبريائه وجيشه .

ما ندعوه تركا هو رعاية ، فإن الله ينظر إلينا وسط ضيقنا فيحول المر إلى حلو يعطى نصوجا للبقول ، أو كغيم فى حر الحصاد يعطى رطوبة وظلا ... من الظاهر آلام ومن الداخل بنين وراحة !

يرى أيضا في الضيقات نوعا من " تقليم الأشجار " أى نزع الفروع الزائدة حتى تأتى الشجرة بثمر متكاثر (إش 18 : 5)

أخيرا بعد أن سمح لسنحاريب بالنصرة على كثير من مدن يهوذا حطمه وحطم جيشه قبل دخوله أورشليم ، فصارت جثثهم مأكلا للوحوش والطيور الجارحة (إش 18 : 6) ، إذ مات فى يوم واحد 185 ألفا من جيش سنحاريب .

(2) كوش تقدم هدية لله

إن كانت كوش أو مصر أو غيرهما من الأمم يحسبون أنهم قادرون على حماية شعب الله من آشور فستكشف الأمم جميعا أنها فى حاجة إلى الخارج من سبط يهوذا لكى يحميهم من إبليس وكل أعماله الشريرة ، فتأتى الأمم التى كانت مضروبة بالتشامخ فى خضوع لتقدم هدية لرب الجنود (إش 18 : 7) فى جبل صهيون ، أى فى كنيسته .

رأى إشعياء النبى أعدادا بلا حصر من الملوك والرؤساء والعظماء يأتون إلى أورشليم يسجدون للملك الحقيقى الذى لم يحمل على رأسه إكليلا زمنيا بل إكليل شوك . رأى المؤمنون كملوك روحيين يخضعون لملك الملوك رب المجد يسوع الخارج من سبط يهوذا .

+ + +

إشعياء - الإصحاح التاسع عشر
مبارك شعبى مصر

مبارك شعبى مصر
فى الإصحاح السابق حث النبى ملك كوش ومصر على تقديم هدية لرب الجنود فى جبل صهيون عوض أن يبعث برسله طالبا التحالف مع شعب الله ضد آشور ، أما فى هذا الإصحاح فيقدم إشعياء النبى وحيا من جهة مصر .. بكونها تمثل بفرعونها عنف العالم وقسوته ، وبخصوبة أرضها إغراءات العالم وترفه ، وبأوثانها وهياكلها الإتكال على الحكمة البشرية والقدرات الإنسانية .. لقد رأى النبى الرب نفسه قادما إلى مصر محمولا على يدى القديسة مريم ، السحابة البيضاء الخفيفة السريعة ، يأتى فى طفولته ليحطم ببساطته أوثانها وحكماءها وسحرتتها .. وليقيم مذبحا له فى وسطها .. وعمودا عند تخومها .. نبوة صريحة عما حدث بخصوص العائلة المقدسة وأيضا عن إقامة الكنيسة المسيحية الحية فى مصر كشعب مبارك للرب .

(1) هروب العائلة المقدسة :

لا نجد بلدا يتحدث عنه الكتاب المقدس مثل مصر وذلك بعد كنعان ، والسبب فى ذلك أن إسرائيل كأمة وكشعب أقامت فى مصر ، وعاش اليهود هناك حوالى 400 سنة وأخيرا خرجوا بذراع رفيعة . بخروجهم خلال دم الحملان صاروا رمزا للعالم كله المتحرر من عبودية إبليس خلال دم المسيح الذبيح الفريد ، صارت مصر تمثل قوة العالم بصفة عامة وبيت العبودية الذى يخلص شعبه منه .

افتتح إشعياء نبوته عن مصر بصورة تخص مصر ، قائلا : " هوذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم إلى مصر فترتجف أوثان مصر من وجهه ويذوب قلب مصر داخلها " (إش 19 : 1)

يرى القديس كيرلس الكبير : أن السحابة الخفيفة السريعة هى القديسة العذراء مريم التى قدسها روح الرب فصارت خفيفة ومرتفعة تحمل رب المجد يسوع لتهرب به إلى مصر من وجه هيروودس (مت 2 : 13 - 15) .. بدخوله ارتجفت الأوثان

واهتزت العبادة الوثنية ، وذاب قلب المصريين حبا ليقبلوه ساكنا فيهم ؛ لهذا تسبح الكنيسة في عيد دخول السيد المسيح مصر ، قائلة : [افرحى وتهللى يامصر مع بنيتها وكل تخومها ، لأنه قد أتى إليك محب البشر ، الكائن قبل كل الدهور] .

إن كانت مصر قد مثلت العالم الوثني القديم في عنفه ورجاساته ولكنها أيضا كانت ملجأ للكثيرين : جاء إليها أبونا إبراهيم (تك 12 : 10) ، واستقبلت يوسف المضطهد من إخوته ليصير الرجل الثاني بعد فرعون ، وإليها جاء أبونا غبراهيم وبنوه حيث بدأت نواة الشعب العبراني .. شعب الله المختار .. والأسباط الأثني عشر في داخلها .. وظهر أول قائد لهم هو موسى العظيم في الأنبياء يسنده أول رئيس كهنة . وجاء أرميا النبي (إر 43) . أما مجيء المسيح له المجد إلى أرضنا فقد أقام كنيسته فيها تصطبغ بروح البركة الربانية .

تحولت مصر من كونها أكبر معقل للوثنية إلى أعظم مركز للفكر المسيحي والعبادة الروحية والحياة الإنجيلية في فترة وجيزة .. تالاً لنجم كنيسة مصر بمدرسة السكندرية معلمة اللاهوت وتفسير الكتاب المقدس للعالم المسيحي الأول . وقائدة حركة الدفاع عن الإيمان المستقيم على مستوى مسكوني .. ومن مصر انطلقت حركة الرهبة المسيحية بكل صورها لتسحب قلب الكنيسة إلى البرية ، فتمارس الحياة الداخلية الملانكية ..

وقدمت مصر أعدادا بلا حصر من الشهداء والمعترفين ، تسابق الكثيرون على نوال أكاليل الأستشهاد بفرح وبهجة قلب .

جاء السيد المسيح إلى مصر ليضع حجر أساس الكرازة المرقسية قبل مجيء مارمرقس بسنين .

وليعلم للعالم أن مصر هي البلد الوحيد المؤهلة لحفظ الإيمان المستقيم في العالم : " ... وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها " .

وتاريخ مصر القديم والحديث شاهد على ذلك ، كل من يحاول أن يمد يده بالإساءة إلى الكنيسة في مصر يتحطم ويذهب ، وتبقى كنيستنا قوية وشامخة بفاديها .. " من له أذنان للسمع فليسمع " .

(2) تأديب مصر

هروب العائلة المقدسة إلى مصر وإقامة مذبح للرب هناك لا يعنى التغطية على شرورها ، وإنما على العكس كشف الرب عن ضعفاتها وجراحاتها الروحية حتى ينزع عنها كل ضعف (مملكة الشر) ويقيم ما هو جديد (ملكوت الله) .

مجىء الرب إليها يعنى هدم أوثانها وإزالة رجاساتها لأجل تقديس شعبها .

لقد أبرز ثمار الرجاسات القديمة ، ألا وهى :

أولا : قيام حروب أهلية ، " وأهيج مصريين على مصريين فيحاربون كل واحد أخاه وكل واحد صاحبه مدينة مدينة ومملكة مملكة ، وتهراق روح مصر " إش 19 : 2 ، 3 .

هذه ثمرة طبيعية لأعترها الله واهب السلام الداخلى والحب والوحدة . تحدث حروب على مستوى الأشخاص حتى بين الأصدقاء وعلى مستوى المدن والممالك

[وجدت مملكة في مصر العليا وأخرى في مصر السفلى] ، الشر يحطم النفس الداخلية ويدخل بها إلى حالة يأس وإحباط .

ثانيا : فقدان الحكمة الحقيقية ، فقد عرف المصريون كشعب ذكى جدا ، وموسى النبي تهذب بكل حكمة المصريين (أع 7 : 20) ، لكن اعترأهم الله أفقدهم كل شىء فلجأوا إلى الأوثان يطلبون المشورة : " وأفنى مشورتها ، فيسألون الأوثان والعرفين وأصحاب التوابع والعرافين " إش 19 : 3 .

ثالثا : المعاناة من حكام عتاة (إش 19 : 4) .. يميلون إلى التسلط والسيطرة لا إلى خدمة الشعب وبنيان البلد .

عندما يتقسى قلبنا الداخلى نحو الغير لا نتوقع إلا أن يكال لنا من ذات الكيل الذى به نكيل للغير .. لذا يسمح لنا أن نسقط تحت قيادات عنيفة .

رابعا : المعاناة من حالة جفاف : " وتنشف المياه من البحر ويجف النهر وييبس ، وتنتن الأنهار وتضعف وتجف سواقي مصر ويتلف القصب والأسل ... والصيادون ينتون وكل الذين يلقون شصا فى النيل ينوحون .. ويخزى الذين يعملون الكتان المشط والذين يحيكون الأنسجة البيضاء ، وتكون عمدما مسحوقة وكل العاملين بالأجرة مكتئبى النفس " إش 19 : 10 - 5

كأن الشر يحمل ثمره المر حتى فى حياة الإنسان اليومية واحتياجاته الضرورية ، إذ يجف نهر النيل ، فتنهار جميع الفوائد المستفادة منه كالزراع والشرب والصيد إلخ

خامسا : فقدان الحكماء والمشيرين ، فلا يعانى الإنسان فقط من حالة حرمان مادی ، وإنما من معينين حكماء يسندونه وسط ضيقه . لذا قيل : " إن رؤساء صوعن أغبياء ، حكماء مشيرى فرعون مشورتهم بهيمية . كيف تقولون لفرعون أنا ابن حكماء ابن ملوك قداما ، فأين هم حكماؤك فليخبروك ليعرفوا ماذا قضى به رب الجنود على مصر " إش 19 : 11 ، 12 .

عوض الحكمة التى عرفت بها مصر حلت الغباوة حتى فى صوعن ، عاصمة شمال مصر القديمة ، لقد قيل : " وفاقت حكمة سليمان حكمة جميع بنى المشرق وكل حكمة مصر " 1 مل 4 : 30 ... لكن هذه الحكمة تزول باعتزال الإنسان إلهه مصدر الحكمة ، لذا يقدم الحكماء مشيرو فرعون مشورة بهيمية ، أى أفكارا جسدانية (1 كو 2) .

" رؤساء نوف انخدعوا وأضل مصر وجوه أسباطها " إش 19 : 13 . هذه كارثة مصر أنها قبلت الضلالة على أنها حكمة ، فقد انخدع رؤساء عاصمة مصر العليا (جنوبى الصعيد) منوف (ممفيس) بواسطة الحكماء الشرفاء ، الذين يقابلون الأنبياء الكذبة المنافقين الذين كثيرا ما تحدث عنهم إرميا النبى .

سادسا : فقدان الوعي والدخول فى حالة سكر ؛ " مزج الرب فى وسطها روح غى فأضلوا مصر فى كل عملها كترنح السكران فى قيئه " إش 19 : 14 .

لما كانت الخطية مسكرة تفقد الإنسان وعيه وهدفه فى الحياة لهذا متى شرب كأسها يسمح الله أن يحل به روح الضلال ليترنح كالسكران بلا هدف .

سابعا : الارتباك بحالة من الخوف : " فى ذلك اليوم تكون مصر كالنساء فترتعد وترتجف من هزة يد الجنود الذى يقضى به عليها " إش 19 : 16 . فرعون الذى يحسب نفسه منقذا لإسرائيل ويهوذا من يد أشور فى عجرفة وكبرياء يرتعب هو ورجاله ويصيرون كالنساء أمام رب الجنود وأمام يهوذا (إش 19 : 17) .

كأن الرب يشجع يهوذا ألا يرعب من كلمات فرعون ولا يدخل معه فى تحالف كما فعل إسرائيل وآرام ، فإن فرعون نفسه يرتعب لا أمام أشور بل أمام يهوذا نفسه .

(3) إقامة مذبح للرب
بعد أن كشف الله عن جراحات مصر وما فعلته الخطية بها من فقدان للوحدة الداخلية والحكمة الحقة مع معاناة من قسوة الحاكم وقسوة الطبيعة (الجفاف) وارتباك فى إقتصادياتها (الزراعة والصناعة) وعجز فى الطاقات البشرية القيادية بل ودخول فى حالة من اللاوعى والسكر مع الخوف والأرتباك حتى أمام يهوذا المملكة الصغيرة ، فإن الله يتدخل ليشفى جراحاتها ويخلصها ، مقدما لها البركات التالية :

(أ) لغة جديدة : " فى ذلك اليوم يكون فى أرض مصر خمس مدن تتكلم بلغة كنعان وتحلف لرب الجنود يقال لأحداها مدينة الشمس " إش 19 : 18 ..

ما هذه المدن الخمسة إلا حواس المؤمن ؛ إذ يقبل الأمم على الإيمان بالسيد المسيح يسلمون الحواس الخمس فى يديه لتقديسها لتتكلم بلغة الروح عوض لغة الجسد ، فيقال لها كما قيل لبطرس الرسول : " لغتك تظهرك " مت 26 : 73 ، مر 70 : 14 .

يرتفع قلب المؤمن إلى كنعان السماوية ، نشارك السمايين ليتورجياتهم وفرحهم الدائم ، ولا نكون شعبا " غامض اللغة " حز 3 : 5 .

(ب) القسم باسم رب الجنود ؛ ماذا يعنى : " تحلف لرب الجنود " إش 19 : 18 ؟

كان القسم دليل الثقة والإيمان بمن يقسم الإنسان بإسمه ، فعوض القسم بالآلهة الوثنية يقبل الأمم – وعلى رأسهم مصر – الإيمان برب الجنود ويتمسك المصريون بإسمه ، حاسبين ذلك سر قوتهم .

(ج) دعوة إحدى المدن " مدينة الشمس " إش 19 : 18 ، يقصد بها : " هليوبوليس " التى كانت مركزا لعبادة الشمس ، فقد تحولت عن العبادة للشمس المادية إلى العبادة لشمس البر الذى يشرق على الجالسين فى الظلمة .

جاءت فى الترجمة السبعينية " المدينة البارة " إذ تحمل بر المسيح فيها .

(د) إقامة مذبح للرب : " فى ذلك الوقت يكون مذبح للرب فى وسط أرض مصر وعمود للرب عند تخمها " إش 19 : 19 .. يقصد بها مذبح كنيسة العهد الجديد ، إذ كان مذبح العهد القديم فى أورشليم ولا يجوز تقديم ذبائح للرب خارجها . لقد عبرت العائلة المقدسة إلى صعيد مصر واختفت حوالى ستة شهور فى الموضع الذى أقيم عليه الآن دير العذراء الشهير بالمرق ، وهو يعتبر فى وسط مصر ، فيه أقيم كنيسة للرب وتقدم عليه ذبيحة الأفخارستيا ، التى هى تمتع بذبيحة الصليب عينها .

أما العمود الذى فى تخمها فهو القديس مارمرقس الرسول الذى جاء إلى الأسكندرية (على تخم مصر) يكرز بلإنجيل ، ويقيم مذبح كنيسة العهد الجديد ، لكى يتمتع المصريون بالخلاص من عدو الخير مضايقهم ، ويكون الرب نفسه محاميا وشفيعا ومنقذا لهم (إش 19 : 20) .

(هـ) المعرفة الروحية : " فيعرف الرب فى مصر ، ويعرف المصريون الرب فى ذلك اليوم " إش 19 : 21 . اهتم المصريون بالمعرفة الروحية ، وأقيمت مدرسة الأسكندرية لهذه الغاية ، نشر معرفة الرب لا خلال أفكار عقلانية مجردة ، وإنما خلال حياة تعبدية نسكية وخبرة شركة مع الله الأب فى ابنه يسوع المسيح بروحه القدس .

امتزجت المعرفة بالعبادة ، إذ يكمل النبى : " ويقدون ذبيحة وتقدمة وينذرون للرب نذرا ويوفون به " إش 19 : 21 .

(و) شفاء داخلى : " ويضرب الرب مصر ضاربا فشايا فيرجعون إلى الرب فيستجيب لهم ويشفيهم " إش 19 : 22

يسمح الله بضربها أى بتأديبها عن الضعف الذى فيها لكى تكتشف ذاتها وتترك حاجتها إلى المخلص ، فترجع إليه لتجده الطبيب القادر وحده أن يشفى جراحات النفس ويرد لها سلامها ... جاء مسيحنا طبيبا ودواء فى نفس الوقت :

+ مبارك هو " الطبيب الذى نزل وبتر بغير ألم ، شفى جراحاتنا بداء غير مرير ، فقد أظهر ابنه " دواء " يشفى الخطاة ! (القديس مار أفرام السريانى) .

(ز) إذ كان الصراع العالمى فى ذلك الحين قائم بين آشور ومصر ، وكانت الدول الأخرى من بينها إسرائيل ضحية هذا الصراع ، فإن مجيء رب المجد يسوع يعطى لكل سلاما ، ويشعر الكل – فى المسيح يسوع – أن الأرض للرب وللمسيح ، وليست مركزا للنزاع ، ويشترك الكل معا فى العبادة .

فى تصوير رائع لهذا السلام يقول النبى : " فى ذلك اليوم تكون سكة من مصر إلى آشور فيجىء الأشوريون إلى مصر والمصريون إلى آشور ، ويعبد المصريون مع الأشوريون . فى ذلك اليوم يكون إسرائيل ثلثا لمصر ولأشور بركة فى الأرض ، بها يبارك رب الجنود قائلا :

مبارك شعبى مصر وعمل يدي آشور وميراثى إسرائيل " (إش 19 : 24)

ماذا يعنى " فى ذلك اليوم " التى تكررت حوالى خمس مرات فى الأعداد 18 – 25 ، إلا ملء الزمان الذى فيه جاء السيد المسيح ليحقق لنا هذه البركات ، جاء بكونه " الطريق " الذى فيه تجتمع الأمم لتتمتع برح الوحدة الروحية وفيض البركة .

ماذا يعنى اجتماع مصر وأشور وإسرائيل معا فى التمتع بالبركة الإلهية والميراث الأبدى ؟ إنها صورة رمزية للكنيسة الجامعة التى ضمت الأعداء معا بروح الحب والوحدة . لقد كانت إسرائيل فى ذلك الحين فى صراع بين التحالف مع مصر أو أشور القوتين العالميتين المتضادتين فى ذلك الحين . لكن مجيء السيد المسيح عالج المشكلة إذ صار الكل أعضاء فى كنيسة واحدة تتمتع بالعمل الإلهي ، فدعى المصريون شعب الله ، وأشور عمل يديّة ، وإسرائيل ميراثه .

+ + +

إشعيا - الإصحاح العشرون

خضوع مصر لأشور

فى الوقت الذى فيه يعلن الله عن خطته من جهة مصر بل ومن جهة كل الأمم ممثلة فى مصر أنه يقيم مملكته الروحية فى وسطها ويهبها بركته يعود فيؤكد لبني يهوذا أنه يجب ألا يتكلوا على مصر لحمايتهم من أشور فإن مصر نفسها (وكوش) يسببها أشور ، حتى لا يثقوا فى الأذرع البشرية .

(1) سبى مصر وكوش

كان بعض النقاد يظنون أن سرجون ملك أشور الذى أرسل تارتان إلى أشدود هو شلمنصر أو سنحاريب . بينما أنكر البعض وجود ملك بهذا الاسم فى أشور ، لكن كما يقول أحد الآباء أن الله جعل الحجارة تنطق ليخجل غير المؤمنين ، فقد عرف اليوم أن سرجون من أقوى ملوك أشور . وأنه هو أب سنحاريب ، اغتصب العرش من شلمنصر الخامس وخلفه .

كلمة " سرجون " ليس إسم شخص وإنما فى الغالب كان لقبا خاصا بقيادة الجيش .

أرسل سرجون رئيس جيشه إلى أشدود قاصدا سوا ملك مصر (2 مل 17 : 4) ، إذ تعتبر أشدود التى على حدود الفلسطينيين مفتاحا للدخول إلى مصر .

كشفت الدراسات الحديثة أن سوا ليس اسما لفرعون ، وإنما هو اختصار لإسم قائد كتيبة فى الدلتا يدعى Sibe ، أو هو اختصار لأسم مدينة فى غرب الدلتا تسمى Sais استخدمها تافنخت لأقامته .

إذ هزم أشور آرام وافرأيم حان الوقت لضرب فرعون ، لذا أرسل الملك قائده إلى أشدود فافتتحها ، وهو نفس القائد الذى استخدمه سنحاريب فى حصار أورشليم .

أراد الله أن يحرك مشاعر شعبه ويغير قلوبهم ويؤنبهم على اتكالهم على مصر وكوش لذا طلب من نبيه أن يمشى أمام الشعب عريانا حافى القدمين لمدة ثلاث سنوات ليكون هو نفسه نبوة عما سيحل بمصر وكوش حين يسببهما أشور ويقود عظمائهما للسبى عبيدا عراة حفاة الأقدام ومكشوفى الأستاه . صار إشعيا نفسه آية وأعجوبة (إش 20 : 3) يستهزئ به كل ناظر به من أجل ما حل به ، وذلك لأجل خلاص شعبه ومنعهم من الإتكال على فرعون مصر .

كان إشعيا فى آلامه وعريه يحمل ظلا لآلام السيد المسيح الذى احتمل العرى لكى يسترنا ببره ، حمل جراحات شعبه فى جسده لكى يشفيها . سار إشعيا كعبد لا يرتدى الثوب الخارجى ولا ينتعل حذاء صورة لسيدة الذى صار كعبد (فى 2 : 7) لكى يحررنا من نير العبودية .

(2) انهيار يهوذا

إذ يخضع فرعون لأشور يرتعب بنو يهوذا ، ويتحطم رجاؤهم وتذل مصر فخرهم ، قائلين : " هوذا هكذا ملجأنا الذى هربنا إليه للمعونة لننجو من ملك أشور فكيف نسلم نحن ؟! " (إش 20 : 6) .

هذه هي نهاية كل من يتكل على ذراع بشرى !

+ + +

إشعيا - الإصحاح الحادى والعشرون

إنهيار بابل أمام فارس ومادى

إن كان الله من أجل محبته لشعبه سمح بسبى المصريين بواسطة آشور حتى يرتجف بنو يهوذا المتكلمين على فرعون وجيشه ، فإنه من أجل محبته أيضا يسمح بتأديب بابل التى تسمى شعبه ، بواسطة فارس (ركاب حمير) ومادى (ركاب جمال) حتى تنهار بابل دون أن تتحرك أو ثائها لأنقاذها . وهكذا يعمل الله وسط الأمم كما فى البيدر لفرز الحنطة (المؤمنين) عن التبن ، حارسا أولاده من الأشرار .

(1) انهيار بابل

يشير إشعيا النبى إلى بابل باسم رمزى غريب :

" وحى من جهة برية البحر " إش 21 : 1 . لقد دعيت بابل المدينة الذهبية فخر الأمم برية من أجل شرها الذى حولها إلى حالة من القفر ، كما دعيت " برية البحر " من أجل موقعها على نهر الفرات ، أو لكونها عاصمة أعظم من أمة بين الأمم ، فالمية تشير إلى الشعوب الكثيرة ، فصارت هى برية جافة وسط الشعوب .

لم يحتمل النبى فى رفته العجيبة حتى بالنسبة للأعداء أن يرى ما يحل ببابل من خراب ونهب (إش 21 : 2) ، فيقول :

" لذلك امتلأت حقواى وجعا وأخذنى مخاض كمخاض الولادة ، تلويت حتى لا أسمع ، اندهشت حتى لا أنظر ، تاه قلبى ، بغتنى رعب ، ليلة لذتى جعلها لى رعدة " إش 21 : 3 ، 4 .

يبدو أنه رأى هذه الرؤيا فى الليل (إش 21 : 4) ، إذ تحولت ليلة لذته بالصلاة إلى رعدة ... وربما يتحدث هنا باسم البابليين الذين تحولت ليلة الوليمة والفرح إلى رعدة بسبب اقتحام كورش العاصمة ، فقد رأى المائدة الملوكية معدة والحراس يلهون فى الأكل والشرب مع أنه كان يليق بالرؤساء أن يمسحوا المجن بالدهن لكى يقاتلوا كورش .

جاءت الدعوة الإلهية للنبى : " اذهب أقم الحارس ، ليخبر بما رأى " إش 21 : 6 ، فقد دعى النبى فى القديم " حارسا " أو " رقيقا " كما دعى " رائيا " . عمل النبى أن يراقب من البرج المرتفع وبحرس النفوس بكلمة الله كما أن يرى بالبصيرة الروحية ليعلن إرادة الله وخطته الخلاصية .

رأى إشعيا فارس (ركاب حمير) ومادى (ركاب جمال) قادمين ليغتصبوا بابل ، رأى وسمع بإصغاء شديد (إش 21 : 7) فإن الأمر جاد وخطير يمس حياة شعبه . لم يقف عند الرؤية والاستماع وإنما صار يزأر كالأسد (إش 21 : 8) ليعلن خطة الله نحو سقوط بابل وخلص شعب الله .

" سقطت سقطت بابل ، وجميع تماثيل آلهتها المنحوتة كسرها إلى الأرض ، يا دياستى وبنى بيدرى . ما سمعته من رب الجنود إله إسرائيل أخبرتكم به " إش 21 : 9 ، 10 .

تكرار التعبير مرتين مثل " سقطت سقطت بابل " هو إحدى سمات هذا السفر (إش 21 : 9 ؛ 24 : 4 ، 16 ، 28 : 13 ، 29 : 1 ، 40 : 1 ، 9 ، 43 : 11 إلخ) . ربما لأن الحديث فى هذا السفر الخلاصى موجه إلى الأمم كما إلى اليهود ،

دعوة الخلاص جماعية لقبول إله الكل والتغلب على الشر . فإنه يليق هنا بكل إنسان – سواء من أصل أممي أو يهودي . أن يطمئن أن بابل التي أسرت قلبه بالشهوات وأكسبته عنفا ، تنهار أمام خلاص الله لتقوم أورشليم السماوية في قلبه .

يقول القديس أغسطينوس : " بالحب تسقط بابل الداخلية وتنهار مملكة إبليس الذي لا يحتمل الحب ، وبه نتمتع بالحياة الأنجيلية كوصية الرب : " بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي إن كان لكم حب بعض لبعض " يو 13 : 35 .

(2) نبوة عن أدوم

" وحى من جهة دومة ، صرخ إلى صارخ من سعير : يا حارس ما من ليل ، يا حارس ما من ليل . قال الحارس : أتى صباح وأيضا ليل . إن كنتم تطلبون فأطلبوا ، ارجعوا تعالوا " إش 21 : 11 – 12 .

أسم " دومة " معناه " صمت " أو " سكوت الموت " ... وقف النبي على المحرس كل الليالي (إش 21 : 8) ، إذ ساد العالم نوعا من الظلمة الداخلية ، يترقب مجيء شمس البر لينتزع ظلمة الليل ويحل الصباح . الآن يسمع صوتا ربما من السماء أو من بقية الأنبياء ورجال الله : " يا حارس ما من ليل " ... لقد جاء ملء الزمان وأشرق نور الصباح ، لتصمت الأمم ولتمت عن إنسانها القديم لتتمتع بنور الحياة ، لتطلب الآن فتجد نورها خلال إيمانها بالسيد المسيح ، لترجع إلى الله مخلصها وتأتي إليه فتجده باسطا يديه بالحب العملى ليحتضنها .

يكرر " يا حارس ما من ليل " مرتين لأن الحديث مع النبي خاص باليهود كما بالأمم ، وأيضا خاص بمؤمنى العهدين القديم والجديد كى يتمتع الكل بالخلاص وهم فى سكون يتأملون عمل الله معهم .

(3) نبوة عن بلاد العرب

جاء الأصل Ereb وليس Arabia ، وهو يعنى " مساء " ، إذ يتحدث عن كل قاطنى الظلمة .

هنا يحدث قبائل ديدان وقيدار ، القاطنة جنوب شرقى أدوم ، هؤلاء استقبلوا الهاربين من السيف ، والذين سلموا أنفسهم مقابل التمتع بماء للشرب أو خبز للأكل

إذ عاشت هذه القبائل فى ظلمة الوثنية صارت عاجزة عن أن تقدم عوناً حقيقياً للهاربين إليها ، لأن أعمى يقود أعمى يسقطان كلاهما فى حفرة (مت 15 : 14 ؛ لو 6 : 39) .

+ + +

إشعياء – الإصحاح الثانى والعشرون

حصار أورشليم

يتنبأ إشعياء النبي عن حصار أورشليم وسبى أشرافها ، وذلك لأنهم اهتموا بالتحصينات العسكرية وتدبير المؤنة خاصة المياة ولم يضعوا عنصر الله والرجوع إليه فى حسابهم . عوض التوبة الصادقة عاشوا فى ترف زائد ، ولسان حالهم " لنأكل ونشرب لأننا غدا نموت " حتى فى لحظات الحصار ذاتها .

يبرز النبي تأديبات الله للأشرار المتكلمين على الذراع البشرى والمنشغلين بالزمنيات وفى نفس الوقت يفتح باب الرجاء على مصراعيه ليعلن ظهور المخلص الذى يسكن فى أورشليم الجديدة الحرة والتي لا تقدر قوات الظلمة أن تحاصرها .

(1) حصار أورشليم

" وحى من جهة وادى الرؤيا . فما لك أنك صعدت جميعا على السطوح " إش 22 : 1 .

يرى الدارسون أن هذا اللقب (وادى الرؤيا) يليق بأورشليم لأنها المدينة التى فيها وهب الله خدامه رؤى وإعلانات .

لم يتوقع الشعب أن الله الذى يحب مدينته ويعلن عن وجوده خاصة داخل قدس الأقداس حيث يترأى مجده فى الشاكيناه (تابوت العهد) يسمح بحصار مدينته بواسطة الوثنيين لذا صعدوا على السطوح لينظروا بأنفسهم ما حل بالمدينة من الخارج .

يوبخهم النبى قائلا :

" يا ملآنة من الجلبة ، المدينة العجاجة ، القرية المفتخرة (الفرحة) " إش 22 : 2 . هذه سمات خارجية ، إذ صارت أورشليم متمثلة بعواصم البلاد المحيطة بها تتفخر وتفرح بالمظاهر الصاخبة عوض الرجوع الخفى الصامت نحو الله سر فخرها وقوتها وبهجتها .

+ " قتلاك ليس هم قتلى السيف ولا موتى الحرب . جميع رؤسائك هربوا معا ، أسروا بالقسى ، كل الموجودين بك أسروا معا ، من بعيد فروا . لذلك قلت اقتصروا عنى فأبكى بمرارة . لا تلحوا بتعزيتى عن خراب بنت شعبي " إش 22 : 2 - 4 .

رأى إشعيا ما وصلت إليه مدينة إلهه المحبوبة جدا إليه فطلب ألا يعزيه أحد بسبب شدة مرارة نفسه . رأى جيش أورشليم خارجا فى الحقول تحت قيادة رؤساء لم يموتوا بالسيف وإنما بسبب الخوف هربوا فلاحق بهم العدو وأسروهم وأذلهم .

" قتلاك ليس هم قتلى السيف " ... فقد طعن الشعب نفسه بنفسه بسهام الشهوات النارية ، وعزلوا أنفسهم بأنفسهم عن الله مصدر حياتهم ، وهكذا سقطت نفوسهم قتلى قبل أن يحل الخراب الخارجى .

لم يكن أمام النبى إلا أن ينسكب بدموع أمام الله ، فيقول مع أرميا النبى : " ياليت رأسى ماء وعينى ينبوع دموع فأبكى نهارا وليلا على قتلى بنت شعبي " إر 9 : 1 .

رب الأنبياء نفسه يسوع : " نظر إلى المدينة وبكى عليها " لو 19 : 41 .

من تأملات الآباء :

+ لست أنكر أن أورشليم الأولى قد خربت بسبب شر سكانها ،

لكننى أتساءل : ألا يليق بنا البكاء على أورشليمنا الروحية !؟

+ لا يكف مخلصنا عن البكاء حتى الآن خلال مختاريه متى رأى إنسانا

يترك الحياة الصالحة ويسلك فى الطريق الشرير .

تحولت أورشليم من وادى الرؤيا الإلهية واهب السلام إلى وادى مريبك ومحطم للنفس .. وقد دعى إشعيا هذا اليوم " يوم رب الجنود " إش 22 : 5 ، إذ هو يوم تأديبه لشعبه .

(2) حسابات بشرية للخلاص

ما هو موقف يهوذا مما حدث لأورشليم ؟

" ويكشف ستر يهوذا فتتظر فى ذلك اليوم إلى أسلحة بيت الوعر " إش 22 : 8 .

يرى البعض أن " الستر " هنا يشير إلى الحجاب الذي اعتادت النساء الشريفات أن يلبسنه ليخفين وجوههن . فقد تطلع النبی إلى یهوذا کعروس روحیة لله ، رفضت عریسها وفقدت طهارتها وعفتها ونزعت حجابها فی غیر حیاء ، یشتہیها الغرباء ، وتسلم جسدها لهم . هذه الصورة تنطبق على یهوذا عندما بدأت الأسوار تنهدم وصارت اورشليم كوجه مكشوف يطمع الغرباء فيها .

حاول یهوذا إيجاد حل للمشكلة لكنه عوض الرجوع إلى الله استخدم حسابات بشرية محضه لتحقيق الخلاص ، منها :

(أ) اندفاع الشعب إلى " بیت الوعر " الذي بناه سليمان الحكيم (1 مل 7 : 2 إلخ) الذي وضع فيه أسلحة ذهبية ، سرقها شیشق ملك مصر فاستعاض عنها رجبام بأسلحة نحاسية . لقد كان البيت مملوء أسلحة ، لكنها لا تقدر أن تسند الشعب وتحميه ضد الأعداء .

(ب) بدأت الأسوار تتشقق ففكروا فی هدم بیوتهم وتحويل الردم إلى ناحية السور لحمايته من الإنهيار . لم يفكروا فی الله السور الحقيقي الذي لا يقدر العدو أن يقترب منه ، الله الذي یقیم نعمته لحراسة أسوارنا الداخلية فلا تنهدم ، إذ قيل : " بالهی تسورت أسوارا " مز 18 : 29 ..

(3) تجاهل التوبة

الله فی حبه لنا یدعونا إلى التوبة لنبکی وننوح على خطايانا ، فننعم بسلام فائق وفرح أبدي لا ينقطع :

" ودعا السيد رب الجنود فی ذلك اليوم إلى البكاء والنوح والقرعة والتتطق بالمسح . فهوذا بهجة وفرح ذبح بقر ونحر غنم أكل لحوم وشرب خمر ، لناكل ونشرب لأننا غدا نموت " إش 22 : 12 ، 13 .

+ يتجه هؤلاء الأشرار نحو قتل أنفسهم بكل أنواع الشهوات ... نعم فإنهم حتى عندما يعيشون يكونون فی عار ، إذ يحسبون بطونهم آلهتهم ، وعندما يموتون يتعذبون .

القديس أثناسيوس الرسولي

(4) عزل شبننا

اختلفت الآراء من جهة مركز شبننا فی قصر حزقيا الملك ، هنا يبدو أنه المسئول عن خزينة الملك وفي 2 مل 18 : 37 دعى بالكاتب ، ويرى البعض أنه مشيرا للملك أو كبير حجاب القصر أو وزيرا ويبدو أنه غريب الجنس . أراد أن يخلد ذكره فحنت لنفسه قبرا عظيما فی ذات الصخرة التي دفن فيها ملوك یهوذا . كان رجلا شريرا فوبخه إشعياء ودعاه :

" خزی بیت الملك " كما تنبأ عن عزله وإقامة الياقيم عوضا عنه وقد تحقق ذلك حوالي سنة 701 ق . م .

يرى الكثيرون أن شبننا یرمز لحد المسيح الذي يظهر فی آخر الأيام أو إنسان الخطية الذي بكبريائه يود ، لا أن یدفن فی مقبرة ملوك یهوذا نسل داود ، وإنما أن یتربع فی هيكل الرب ویقیم نفسه إلیها (2 تس 2 : 4) . أما الياقيم فيشير إلى السيد المسيح الذي يحطم ضد المسيح وينتزع عنه جبروته لكي يخلص المختارين .

يلاحظ هنا أن النبی لم یقل عن شبننا أن حزقيا الملك یعزله ، وإنما یقول : " هوذا الرب یطرحك طرعا یا رجل ویغطیک تغطية ، یلفک لف لفیفة (أى یقذفك بدفع قوى) كالكرة إلى أرض واسعة الطرفين ... واطردك من منصبك ومن مقامك یحطك " إش 22 : 17 - 19

(5) إقامة الياقيم عوض شبننا

جاء الحديث هنا (إش 22 : 20 - 25) يفتح باب الرجاء أمام كل نفس يحاول عدو الخير أن يحطمها ، إذ لا بد لشبنا أن يزول وينتهى ويحتل الياقيم موضعه . سيحمل ضد المسيح أو النبي الكذاب أو إنسان الخطية سلطانا وقوة لكنه حتماً ينهار لتعلن مملكة المسيح إلى الأبد .

جاءت النبوة هنا واضحة بأن الياقيم رمز للسيد المسيح :

(أ) " والبسه ثوبك وأشدّه بمنطقتك وأجعل سلطانك في يده ، فيكون أبا لسكان اورشليم ولبيت يهوذا " إش 22 : 21 .

كان شبنا معتزاً بالثوب والمنطقة مع السلطان ، يأمر وينهى بكونه الرجل الثاني ، موضع ثقة الملك ، يتصرف بروح السلطة والعجرفة . لكنه إذ يحتل الياقيم موضعه يأخذ ثوبه ومنطقته لكنه يحمل روح الأبوة الحانية تجاه شعب الله .

" ضد المسيح " صاحب سلطة مع عنف وقسوة ، أما " المسيح " فحب وحنان وأبوة روحية فائقة .

ما يميز أولاد الله عن أولاد إبليس ، هو الحب المملوء حنوا مقابل السلطة المملوءة عنفا

قيل عن السيد المسيح :

" الرب قد ملك ؛ لبس الجلال ، لبس الرب القدرة ، انتزر بها " مز 93 : 1 .

وقد رآه إشعياء النبي لابسا ثيابا حمرة كدائس المعصرة (إش 63 : 1 - 3) . إذ لبس كنيسة التي صبغها بدمه الثمين فتقدس وحملت بهاءه .

لقد تمنطق ليغسل الأقدام ويخدم بروح الحب والأتضاع .

(ب) " وأجعل مفتاح بيت داود على كتفه ، فيفتح وليس من يغلق ، ويغلق وليس من يفتح " إش 22 : 22 .

من الذى له المفتاح إلا " القدوس الذى له مفتاح داود الذى يفتح ولا أحد يغلق ، ويغلق ولا أحد يفتح " رؤ 3 : 7 .

إنه السيد المسيح . الذى يشجع كنيسة قائلا لها بأنه وحده يفتح لها أبواب السماء ويغلق عليها فلا يقدر إبليس وكل قواته أن يقتربوا إليها . أما المفتاح الذى يفتح به ويغلق فهو : " سلطان الحل والربط " الذى وهبه الرب لعروسه خلال تلاميذه (مت 16 : 19) .

لا نعجب من القول " وأجعل مفتاح بيت داود على كتفه " ، لأن هذا المفتاح هو الصليب الذى حمله ابن داود على كتفه ليحقق خلاصنا .

(ج) " وأثبتته وتدا فى موضع أمين ويكون كرسي مجد لبيت أبيه ، ويعلقون عليه كل مجد بيت أبيه الفروع والقضبان ، كل أنية صغيرة من أنية الطسوس إلى أنية القناني جميعا " إش 22 : 23 ، 24 .

الآن يرى النبي أن المسيا المخلص هو هذا المسمار أو الوند المثبت فى موضع أمين ليقوم المؤمن بتعليق كل ممتلكاته واحتياجاته عليه ، وذلك فى الكنيسة " بيت أبيه " هذه صورة رمزية تعنى اتكال المؤمن على السيد المسيح الحال فى كنيسة والحامل لكل أتعبنا . عليه يضع الملوك الأمناء أكاليل مملكتهم ، ويضع عليه الفقير احتياجاته البسيطة . إنه سند العظماء والفقراء بلا تمييز .

يرى البعض أن زوال الوند يعنى به رفض اليهود للمسيح المصلوب فيزول من وسطهم هؤلاء الذين لديهم النيات عنه ومعهم الرموز ، فيتحطمون .

+ + +

إشعياء - الإصحاح الثالث والعشرون

إنقلاب صور وتجديدها

صور تمثل الغنى الفاحش خلال تجارتها العالمية مع الإنحلال والفساد ، لأنها بلد تجارى مفتوح للغرباء . يصور النبي ما يحل بها من دمار تام لنتكابد مع شعب الله المخطيء ذات التأديبات كقول الرسول بولس : " شدة وضيق على كل نفس إنسان يفعل الشر اليهودى أولا ثم اليونانى " رو 2 : 9 . لكن هذا التأديب لا يبقى إلى الأبد إنما يقدم الله الخلاص للكل وتتمتع صور بالتجديد فى المسيح يسوع مخلص العالم

(1) انقلاب صور

كلمة " تصور " تعنى صخرة ، ربما لأنها قامت على جزيرة صخرية ، إلا أن القديس جيروم يرى أن كلمة " صور " فى العبرية تعنى " محنة " ، لذا يرى أن سكانها يشيرون إلى الساقطين تحت محنة الشيطان وبلاياه .

يرى البعض أن ما ورد فى هذا الفصل قد تحقق حرفيا .

ما ورد هنا لا يخص حصارا معيناً لصور ، وإنما يمثل ما يحل بكل نفس تتشبه بصور من جهة ارتباكها بالغنى مع الرجاسات .

يصف النبي حصار صور قائلاً : " وحى من جهة صور ، ولولى يا سفن ترشيش لأنها خربت حتى ليس بيت حتى ليس مدخل من أرض كتيك أعلن لهم " إش 23 : 1 . هنا يبرز أثر الخراب الذى حل بصور على بحارة السفن التجارية العائدة من ترشيش ويبدو أنه لم يكونوا قد سمعوا عن انهيار المدينة فذهلوا إذ لم يجدوا مدخلا للمدينة فقد تهدمت أسوارها . ولا وجدوا بيتاً واحداً .

لقد انتشر الخبر لفداحته حتى بلغ كتيك أى جزيرة قبرص كرمز لسماع دول أوروبا جميعها عن هذا الحدث . ويرى البعض أن هذا الحصار تم بواسطة الجيش المقدونى ، جيش اسكندر الأكبر ، القادم من جزيرة قبرص .

جاء التجار الذين اعتادوا أن يجولوا فى شوارعها وقد أصابتهم الدهشة لما حل بها فلم يستطيعوا أن ينطقوا بكلمة بل حل بهم الحزن الشديد . أما المصريون سكان وادى النيل فحزنوا لأن صور كانت مركزاً هاماً لاستيراد غلاتهم ومحاصيلهم مقابل استيراد بضائع صور . يشير النبي إلى نهر النيل بكلمة " شحور " وتعنى " اضطراباً " (إش 22 : 3) .

هكذا تحزن صيدون على إبنيتها الذليلة بل المنهارة صور ، هذه التى كانت كعروس البحر الأبيض المتوسط أو كملكة متوجة انعشت بلاد كثيرة فى أفريقيا وأوروبا ، الآن صارت أشبه بفتاة عانس تنن من العزلة ، بلا زوج ولا بنين ، فقدت بلاداً كثيرة التى كانت أشبه بنين لها (إش 23 : 4) .

يطلب النبي من البقية فى صور أن يرحلوا إلى ترشيش وهى مدينة قديمة فى أسبانيا وأحد مستعمرات صور المزدهرة ، رحلوا وهم مولودين لأنهم هاربون كلاجئين . يرى البعض أن النبي نطق بذلك كنوع من السخرية يسكان صور المتعجرفين منذ القدم ، ها هم يرحلون فى رعب وخوف ليعيشوا غرباء ولاجئين .

يقدم النبي سؤالاً لاهوتياً يثير السامعين على البحث عن الأجابة ، وهو :

" من قضى بهذا على صور المتوجة ، التى تجارها رؤساء ، متسببوا موقروا الأرض ؟ "

رب الجنود هو الذى قضى بذلك (إش 23 : 9) لينزل بكبريائها إلى الحضيض ويهين كل تجارها أصحاب الوقار والكرامة الزمنية . هذا ما عناه عاموس النبي حين قال : " هل تحدثت بلبية فى مدينة والرب لم يصنعها ؟! " عا 3 : 6 .

الله قضى بذلك ، لكن علة الخراب هو الكبرياء والمجد الباطل ، الخطية هي التي تفسد الإنسان كما الأمم ، أما حكم الله إنما هو إعلان عما يجلبه الإنسان لنفسه بنفسه .

يشبه النبي صور الهاربة بعد الخراب بأمرأة فقدت كل شيء تجتاز نهر النيل وليس لديها منطقة تربط بها ثيابها ، هكذا هرب أهل صور من مدينتهم المحطمة بلا قوة ولا قدرة وكأن المياة تجرفهم نحو البحر (إش 23 : 10) .

لذا يدعوها " المتهتكة العذراء بنت صيدون " إش 23 : 12 .

(2) تجديد صور

الله في حبه للبشر لا يترك الإنسان في فسادة لكنه يقدم له كل إمكانية للخلاص .

لهذا بعدما صور النبي مدى الخراب الذى حل بصور عاد لكى يتحدث عن تجديدها بالرب المخلص .

تترك مستعبدة لبابل 70 عاما وهي تقابل السبعين عاما التي تنبأ عنها إرميا النبي بخصوص سبي إسرائيل البابلي (إر 29 : 10) وكان الأمم تشترك مع إسرائيل في هذه المذلة لأنه قد أغلق على الكل معا في العصيان (رو 11 : 32) لكى ينعم الكل بالمخلص ويرحم الجميع . لقد اتهمت أورشليم بأنها زانية (إش 1 : 21) وها هي صور تحمل ذات الإتهام (إش 23 : 16) .

الفترة من السنة الأولى لملك نبوخذ نصر حتى كورش هي 70 سنة تماما ، خلالها خدمت الأمم بابل .

يصف النبي صور بإمرأة زانية تغنى في الأماكن العامة لتجذب الرجال إليها ، هكذا فعلت صور بتجارتها التي ارتبطت بالفساد ، لكنها بعدما طاقت العالم كما لو كان مدينة واحدة تطوف فيها الزانية سقطت تحت سيطرة بابل 70 عاما في مذلة لا تمارس فيها تجارتها ولا تبعث بالفساد في الدول الأخرى حتى صارت منسية . نساها العالم لكن الله لن ينساها بل يحول ذلها إلى مجد ، فبعدها كانت تجارتها مرتبطة بالفساد تعود فترتبط بالحياة المقدسة في الرب ، يصير تجارها شهودا لإنجيل الخلاص ، إذ تدخل مع الأمم في الإيمان لتمارس الحياة الإنجيلية وتكرز بها .

صارت في حضرة الرب تأكل من خبز الحياة فلا تجوع ، وتنعم بلباس المهدودية فلا تتعري .

كقول الرسول : " لأنكم كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح " غلاطية 3 : 27 .

هذا ما عناه النبي بالقول : " وتكون تجارتها وأجرتها قدسا للرب ، لا تخزن ولا تكنز بل تكون تجارتها للمقيمين أمام الرب لأكل إلى الشعب ولللباس فاخر " إش 23 : 18 .

+ + +

إشعياء – الإصحاح الرابع والعشرون

تدنيس الأرض

في الإصحاحات السابقة أبرز النبي فاعلية الخطية في حياة الأمم والشعوب مقدما نبوات عن سبع أمم لتأكيد فساد كل الشعوب حتى شعبه الخاص يهوذا وافرأيم . الآن يتحدث في الإصحاحات (24 – 27) عن نبوات عامة تخص الأرض كلها ، ليظهر شمولية الفساد . وفي حديثه بشرق بعبارات تبعث الرجاء وتفتح طريق الخلاص .

(1) ضربات عامة

يشبه النبی الأرض كلها بإناء كل ما بداخله قد فسد لذا يقوم صاحبه بتفريغه تماما بأن يقلبه رأسا على عقب ، فيقول :

" هوذا الرب يخلی الأرض ويفرغها ويقلب وجهها ويبدد سكانها . وكما يكون الشعب هكذا الكاهن ، كما العبد هكذا سيده ، كما الأمة هكذا سيدتها ، كما الشارى هكذا البائع ، كما المقرض هكذا المقترض ، وكما الدائن هكذا المدينون " إش 24 : 1 ، 2 .

هكذا أغلق على الجميع فى العصيان ، واستحق الكل الموت ، واحتاج الجميع إلى مخلص قادر على تجديد طبيعتهم ، يشترك فى هذا الكاهن مع الشعب ، العظيم مع المحتقر ، الغنى مع الفقير . هذا الأمر يحتاج كما إلى تفريغ الأرض لتعود إلى ما قبل خلقه العالم – خالية وخاوية – فيفيد الرب نفسه خلقتها .

هذا هو الأساس اللاهوتى للخلاص ، أن الخليقة قد فسدت تماما واحتاجت إلى صانعها لتجديد خلقتها ..

ماذا فعلت الخطية أو العصيان بالبشرية ؟ لقد اقتربت البشرية إلى نيران الغضب الإلهى فاحترقت ...

يقدم إشعيا النبی تشبيها يكشف عن حال اليأس التى وصلت إليه البشرية ، فقد اعتاد الناس فى فترة حصاد الكروم أن يقيموا حفلات مبهجة ، يشربون الخمر ويغنون وفرح ويقدمون تقدمات للفقراء . جاء وقت الجنى فإذ بالكروم تعلن حدادها إذ لا تحمل عنبا ، أصحاب الدفوف يتوقفون عن الضرب بها ، ليس من يغنى ولا من يفرح فقد هرب كل سرورو من على وجه الأرض وحل الدمار بنار غضب الله فصار كل ما فى العالم رمادا (إش 24 : 7 – 12) .

هكذا يشبه العالم بمدينة محترقة تحولت رمادا وحقول حزينة جافة لا تحمل ثمرا . يشبهه بشجرة زيتون نفضت أوراقها وصارت عارية بلا ثمر ولا أوراق (إش 24 : 13) ، وككرمة بعد انتزاع كل عناقيدها منها .

يليق بالكاهن أن يدرك حاجته للخلاص مثله مثل الشعب (إش 24 : 2) .

(2) فرح المؤمنين بالرب

وسط هذا الدمار الذى أفقد البشرية سلامها الداخلى وفرحها توجد بقية مقدسة تعلن بهجتها وفرحها بالرب بواسطة التسبيح والترنم .

" هم يرفعون أصواتهم ويترنمون ، لأجل عظمة الرب يصوتون من البحر .

لذلك فى المشارق مجدوا الرب ، فى جزائر البحر مجدوا إسم الرب إله إسرائيل .

من أطراف الأرض سمعنا ترنيمة : مجدا للبار " إش 24 : 14 – 16 .

يتحدث هنا عن البقية القليلة فى العالم التى قبلت الإيمان ورجعت إلى الله ، هؤلاء يعيشون فى المشارق أى يتمتعون بشمس البر المشرق عليهم (ملا 4 : 3) . ولئلا يظن بالمشارق هنا مجرد مكان قال " فى جزائر البحر مجدوا اسم الرب " ليؤكد أن الساكنين فى الغرب (جزائر البحر الأبيض غرب أورشليم) يتمتعون بالخلاص مع الشرقيين .

موضوع التسبيح هو

" مجدا (للمسيح) البار ! "

(3) تسبيح مع رعدة

الخلاص الذى يقدمه الله للبشرية يلهب قلب المؤمنين فرحا وتهللا ، ويبعث رعبا بالنسبة لغير المؤمنين الجاحدين وأيضا للشياطين .

لقد أدرك عدو الخير أن نهبا قد تم بالنسبة له ، فقد اجتذب الصليب الكثير من النفوس التى استعبدتها العدو ، وحطمت القيامة كل قوات الظلمة وفتحت أبواب الفردوس .

يرى النبى عدو الخير أشبه بوحش برى سقط فى الشباك فى حفرة ، وفتح فاه يندب حاله فى يأس مع خوف ورعدة (إش 16 : 18) .

ارتعب عندما رأى نفسه ينحدر نحو الهاوية كما فى حفرة عميقة للغاية ، بينما وقفت السماء والأرض تشهدان للصليب :

" ميازيب من العلا انفتحت ، وأسس الأرض تزلزلت ، انسحقت الأرض انسحاقا ، تشققت الأرض تشققا ، تزعزعت الأرض تزعزعا " (إش 24 : 18 ، 19

" فى ذلك اليوم يخجل القمر وتخزى الشمس لأن رب الجنود قد ملك على جبل صهيون فى أورشليم " (إش 24 : 23 .

هكذا تشهد الطبيعة عن ثقل الخطية التى حملها السيد المسيح عنا ، كأنها كتلة ثقيلة للغاية دفعت نحو الأرض فشققتها وزعزعتها وأثارت فيها زلازل حتى خجل القمر وخزيت الشمس مما فعلته الخطية . هذا ومن جانب آخر وقفت الطبيعة كما فى خزي وخجل أمام ما فعله الإنسان بمخلصه وفاديه .

منظر الصليب حطم العدو ، معلنا المجد الإلهى أمام الشيوخ (إش 24 : 23) ، فقد عاين الرسل قوة الخلاص وأدركوها فى حياتهم كما فى كرازتهم .

+ + +

إشعيا – الإصحاح الخامس والعشرون

تسبحة شكر من أجل الملكوت

الإصحاحات 25 – 27 تقدم تسابيح الخلاص وتعلن مقاصد الله من جهة التأديب ، كما تكشف عن مدى اشتياق الله نحو كرمه المشتناه ودعوته شعبه للتمتع بالوليمة العظيمة وتحطيم قوى إبليس .

(1) تسبحة حمد لله

انفتحت عينا إشعيا النبى على ملكوت المسيح ففاض قلبه تهليلا وانطلق لسانه يسبح الله من أجل عمله الخلاصى ، بعدما تنبأ عن التأديبات المرة صار مرتلا يقدم مزامير حمد لله . أما سر تسبيحه وحمده لله فهو :

(أ) تحقيق كلمات الله ومواعيده الأمانة الصادقة : " يارب أنت الهى أعظمك ، أحمد إسمك لأنك صنعت عجا ، مقاصدك منذ القديم أمانة وصدق " (إش 25 : 1 .

نسبح الله ونحمده من أجل مقاصده الإلهية الأزلية العجيبة ، فمنذ القديم مهتم بخلاصنا ، قبل أن نوجد ، لأننا كنا فى فكره ، موضوع حبه .

(ب) إبادة الشر (بابل) : " لأنك جعلت مدينة رجمة ، قرية حصينة ردما ، قصر أعاجم أن لا تكون مدينة ، لا يبنى إلى الأبد " إش 25 : 2 .

خلاصنا بالذراع الإلهي يتحقق بالقضاء على الشر ، أى على مدينة بابل المتعجرفة والمملوءة ارتباكا ، المتحصنة بضد المسيح . وكأن سر تسبيحنا هو قيام مملكة المسيح الذى يلازمه انهيار مملكة إبليس المقاوم للحق وتحطيم لمدينته وهدم لقصره .

لعل المدينة هنا تشير إلى سيطرة عدو الخير على الجماعة ..

والقرية تشير إلى سيطرته على جماعة أقل مثل الأسرة ..

والقصر يشير إلى تملكه على القلب ...

(ج) الكرازة : مما يفرح القلب ويمأله تسبيحا أن قيام مملكة المسيح الداخلية مع هدم مملكة عدو الخير فينا يصحبه شهادة أو كرازة لعمل الله وانجيل خلاصه ، فتجذب نفوس كثيرة لتقوم كنيسة قوية لا من جهة العدد وإنما من حيث مسيحها القدير الحال فيها . يقول النبی : " لذلك يكرمك شعب قوى ، وتخاف منك قرية أمم عتاة " إش 25 : 3 .

(د) انصاف المظلومين : " لأنك كنت حصنا للمسكين ، حصنا للبائس فى ضيقه ، ملجأ من السيل ، ظلا من الحر ، إذ كانت نفخة العتاة كسيل على حائط كحر فى يبس (جفاف) تخفض ضجيج الأعاجم ... " إش 25 : 4 ، 5 .

تنن البشرية من قانون الظلم الذى سادها منذ دخلت إليها الخطية لهذا يتقدم الله نفسه كسر تعزية عملية ، يسند كل نفس جريحة ، مقدما نفسه قوة وحصنا للمسكين والبائس وقت الضيق .

(2) وليمة العهد الجديد

يتقدم كلمة الله المخلص إلى كل نفس ليكون هو المشيع لإحتياجاتها وواهبها السلام والقوة ضد العدو الشرير ، فتتمتع النفس بالحياة الجديدة فى المسيح كوليمة مفرحة دائمة . هذه الوليمة فى حقيقتها هى الحياة الإنجيلية المشبعة والمقدمة لكل الشعوب ، يصفها هنا هكذا :

(أ) وليمة عامة : " ويصنع رب الجنود لجميع الشعوب وليمة ... " إش 25 : 6 .

لقد انفتح الباب على مصراعيه لجميع الشعوب لتتمتع بكلمة الله وعهوده ومواعيده وشرائعه وأعماله الخلاصية ، خاصة الشركة فى الأفخارستيا (جسد الرب ودمه) ، ولم نعد عطايانا الله حكرا على شعب معين أو جنس خاص .

يعلن السيد المسيح عمومية الدعوة بقوله : " اذهبوا إلى مفارق الطرق وكل من وجدتموه فادعوه إلى العرس " مت 22 : 9 .

(ب) وليمة دسمة ، دعاها " وليمة سمائن " إش 25 : 6 .

(ج) وليمة مفرحة روحيا : " وليمة خمر على دردى ، سمائن ممخة دردى مصفى " إش 25 : 6 . يشير الخمر إلى الفرح الروحي ، أما كونه مصفى أو نقيا فيعنى أنه لا يفقد وعى الإنسان ويسكره إنما يهبه بهجة روحية .

(د) وليمة سماوية : خلالها يكشف الغطاء وينزع حجاب الحرف ليدخل المشتركون إلى السماء عينها ويتعرفون على أسرارها التى كانت محتجبة عن كل بنى البشر :

" ويفنى فى هذا الجيل وجه النقاب ، النقاب الذى على كل الشعوب ، والغطاء المغطى به على كل الأمم " إش 25 : 7 .

(هـ) وليمة واهبة الحياة : " يبلغ الموت إلى الأبد " إش 25 : 8 .

+ بواسطة (هذه الذبيحة) ننتظر نحن المائتون بالطبع عدم الموت ، ونحن الفاسدون عدم الفساد ، وعوض الأرض وشرورها تنال بركات السماء ومباهجها .

(و) وليمة مجيدة : " ويمسح السيد الرب الدموع عن كل الوجوه ، وينزع عار شعبه عن كل الأرض لأن الرب قد تكلم " إش 25 : 8 .

(3) هلاك موآب

إذ يتהל المؤمنون الغالبون للحزن والمرارة والدموع بل وللموت خلال وليمة الخلاص المجانية يقولون : " هوذا هذا إلها انتظرناه فخلصنا " إش 25 : 9 .

يكن فرحنا في خلاصنا من أعدائنا ، أى من إبليس وكل جنوده وكل أعماله الشريرة . فإن مجد أولاد الله يرافقه خذى لقوات الظلمة التى رمز إليها هنا بموآب .

" ويداس موآب فى مكانه كما يداس التين فى ماء المزبلة ، فيبسط يده فيه كما يبسط السابح ليسبح ، فيضع كبرياءه مع مكاييد يديه ، وصرح ارتفاع أسوارك يخفضه ، يضعه ، يلصقه بالأرض إلى التراب " إش 25 : 10 ، 11 .

إن الله بالصليب هدم حصون قوات الظلمة ونزل بها إلى الهاوية ، واهبا إيانا سلطانا أن ندوس على الحيات والعقارب وكل قوات الظلمة .

أما سر هلاك العدو فهو كبرياؤه ، إذ حسب نفسه محصنا بأسوار منيعة ، لكن الله يهدم هذه الأسوار حتى الأرض ليفضح ضعف العدو ويكشف حقيقة عجزه أمام إلها .

+ + +

إشعياء – الإصحاح السادس والعشرون

تسبحة القيامة

هذه التسبحة هى " مزمور القيامة " إش 26 : 19 ، خلاله يعلن الشعب ثقته فى الله .

يتطلع إشعياء النبى إلى خروج الشعب من السبى حاملين روح الغلبة والنصرة بينما تسقط بابل وكل أسوارها الفريدة حتى الأرض (إش 26 : 12) كصورة حية للقيامة من الأموات ، لهذا ينطلق لسانه بالتسبيح مؤكدا الثقة فى الله واهبا الحياة والقيامة .

يرى بعض الدارسين أن ما ورد هنا عن القيامة من الأموات هو أول نص صريح فى العهد القديم عن القيامة .

(1) مزمور للحث على الثقة بالله :

يبدأ المزمور بالمقدمة : " فى ذلك اليوم بغنى بهذه الأغنية فى أرض يهوذا " إش 26 : 1 . إنها أغنية العهد الجديد ، لم يكن ممكنا لرجال العهد القديم أن يتغنوا بها ، لذا يقول " فى ذلك اليوم " .

ما تمتع به الشعب القديم من بركات كالعودة من السبى لا يبعث فرحا دائما إلا من حيث كونه رمزا للخلاص المبهج الذى تحقق بردنا من سبى الخطية خلال الصليب .

هذا المزمور هو تسبحة لأورشليم مدينة الله بسب ما تمتعت به من قوة وحصانة مع أبواب مفتوحة وبر لسكانها وأمانة وسلام ...

" لنا مدينة قوية " إش 26 : 1 ، يقصد بها أورشليم رمز أورشليم السماوية ، وأيضا كنيسة العهد الجديد بكونها مدينة الله التى يسكنها الرب نفسه مع شعبه .

" يجعل الخلاص أسوارا و مترسة " إش 26 : 1 ، أعمال الله الخلاصية هى أسوار المدينة وأدواتها الحربية ، فلا يقدر عدو الخير أن يقتحمها . له أن يحاربها ويحاول إغرائها لكنه لن يستطيع أن يغلبها مادامت أمينة للرب .

بالحب أقام الله كل نفس لتصير مدينته الحصينة وسمواته المقدسة ..

هذه المشاعر النبوية تمتع بها إشعياء ربما حين رأى بالروح الراجعين من السبي يدخلون أبواب أورشليم المفتوحة أمامهم ، وهم داخليين كما فى موكب نصره أو موكب عيد مفرح فى الرب . لقد قال : " افتحوا الأبواب لتدخل الأمة البارة الحافظة الأمانة " إش 26 : 2 .

+ " ارفعوا أيها الرؤساء أبوابكم " مز 24 : 7 ...

هكذا تنفتح السماء أمام المؤمنين المتحدين بربنا يسوع فيرتفعوا معه إلى سمواته ، يعيشون هنا فى سلام حقيقى وثقة بالمخلص . لذا يقول النبى :

" ذوى الرأى الممكن تحفظه سالما سالما لأنه عليه متوكل " إش 26 : 3 .

تعبير رائع عن الطمأنينة الأكيدة التى يهبها الله لمؤمنيه المخلصين له ، فيعطيه سلاما يتبعه سلام حتى يبلغوا إلى النصر النهائية من أجل اتكالهم عليه .

يقصد بذوى الرأى الممكن أصحاب الهدف الثابت ، لا تفقدهم عواصف الأحداث تقتهم فى الله مخلصهم : " توكّلوا على الرب إلى الأبد لأن فى ياه (يهوه) الرب صخر الدهور " إش 26 : 4 .

+ بنس الشعب الذى يتحول عن الله ... أما السلام الخاص بنا فننعم به الآن مع الله بالإيمان ، ونتمتع به أبديا معه بالعيان .

(2) انهيار العدو

" لأنه يخفض سكان العلاء " إش 26 : 5 ، 6

إن كانت بابل قد تشامت وظنت أنها فى العلاء فسينزل الرب بها حتى التراب ليجعلها مدوسة بأقدام المساكين الذين سبق فوطأتهم بقدميها . هذه هى نهاية كل متكبر مقاوم للحق ، إذ يشرب من ذات الكأس التى قدمها للغير .

(3) مساندة الرب لصديقيه

يقدم لنا النبى فى هذا المزمور تحليلا رائعا لحياة الإنسان الصديق الذى يجد لذته وحمايته ومجده فى الرب ، وفى نفس الوقت يدعونا للصلاة السرية فى المخدع مع الإهتمام بأحكام الله ووصاياه والطاعة له للتمتع بخلاصه المجانى .

(أ) أحكام الله أو وصاياه ليست ثقلا على نفس الصديق : " فى طريق أحكامك انتظرناك " إش 26 : 8 .

(ب) سر فرح الصديق ، اتحاده بالله مخلصه وتمسكه بأسمه القدوس وتذكاره :

" إلى اسمك وإلى ذكرك شهوة النفس ، بنفسى اشتهيتك فى الليل . أيضا بروحى فى داخلى إليك أبكر " إش 26 : 8 ، 9 .

(ج) أما نهاية الصديق فهى تمتعه بالمجد الإلهى ، الأمر الذى يحرم منه الأشرار ، إذ يقول النبى : " فى أرض الأستقامة يصنع شرا ولا يرى جلال الرب " إش 26 : 10 . يتمتع الصديق بمجد الرب وجلاله وينعكس بهاء الرب عليه ليصير أيقونة له ، بينما يحرم الشرير من التمتع بهذه العطية الأبدية .

هكذا يصير الله سر مجد صديقيه ، يبدأ مجدهم الآن فى داخلهم بمعابنتهم مجد الله وجلاله كعربون للقاء معه أبديا وجهها لوجه ...

" يارب ارتفعت يدك ولا يرون ،

يرون ويخزون من الغيرة على الشعب وتأكلهم نار أعدائك .

يارب تجعل لنا سلاما لأن كل أعمالنا صنعتها (رددتها) لنا " إش 26 : 11 ، 12 .

يرفع الرب يده لتأديب أولاده فيهبهم سلاما ونموا ، إذ يقبلونها تأديبا عن خطاياهم ، أما بالنسبة للأشرار فتكون العقوبة نارا أكلة لهم ، تهلكهم وتبيد ذكرهم (إش 26 : 14) .

(4) دخول شعبه تحت الضيق

يدرك النبى ما للضيق من بركات بالنسبة لشعب الله ، قائلا : " زدت الأمة يارب زدت الأمة ، تمجدت ، وسعت كل أطراف الأرض . يارب فى الضيق طلبوك ، سكبوا مخافته عند تأديبك إياهم " إش 26 : 15 ، 16 .

وكان التأديب يسبب ضيقا وتعبا فى الخارج لكنه يؤدى إلى النمو المستمر والأتساع فى المجد .

" كما أن الحبلى التى تقارب الولادة تتلوى وتصرخ فى مخاضها هكذا كنا قدامك يارب ، حبلىنا تلويينا كأننا ولدنا ريحا . لم تصنع خلاصا فى الأرض ... تحيا أمواتك تقوم الجثث . استيقظوا ترنموا يا سكان التراب .. " إش 26 : 17 – 19 .

الأشرار يتألمون كما فى حالة الولادة ، لكنهم ينجبون من عندياتهم (الأنا) ريحا أو كبرياء فارغا ، أما أولاد الله فيتألمون وينجبون بعمل الروح تشبيها لله .

(5) الله مخلص شعبه

إن كان الله يغضب لا لينتقم لنفسه إنما ليؤدب معلنا حبه لخلاصنا ، لذا دعى فترة غضبه " لحيلة " تعبر سريعا ، منتظرا أن يكافىء مؤمنيه ، بينما يشرب الأشرار من كأس شرهم ما قد ملأوه بأنفسهم .

ما أجمل أن تختتم تسبحة القيامة التى بين أيدينا بالعبرة الرائعة : " لأنه هوذا الرب يخرج من مكانه ليعاقب " إش 26 : 26 .

إنه أب سماوى يشفق ألا يعاقب ، ان أدب إنما يكون كمن خرج من مكانه أى من الرحمة المملوءة ترفقا وحنانا . إثمنا وعصياننا يجعلانه كمن يخرج من مكانه ليعاقب ... حتى فى خروجه يطلب أن يضمنا إليه ليرجع بنا إلى عرش رحمته .

إشعياء – الإصحاح السابع والعشرون

تحطيم لويثان

إن كان الله يخرج من مكانه ليعاقب ، ففي خروجه لا يطلب هلاك الخطاة وإنما الخطية ، لا يريد الدخول في معركة مع البشرية إنما مع إبليس الحية القديمة المخادعة والتنين البحرى ... إنه يدخل إلى معركة فريدة خلال الصليب – سيف الحق – القاتل للشر والواهب للحياة لشعبه .

(1) قتل لويثان

" في ذلك اليوم يعاقب الرب بسيفه القاسى العظيم لويثان الحية الهاربة ، لويثان الحية المتحوية ، ويقتل التنين الذى فى البحر " إش 27 : 1 .

إن كان البعض يرى فى تعبير " فى ذلك اليوم " إشارة إلى اليوم الأخير الذى فيه يضرب الله الشيطان ضربته القاضية النهائية بتمتع الكنيسة بالحياة الأبدية وهلاك عدو الخير .

إنه يوم الصليب أو يوم الفداء ، وفيه : " محا الصك الذى علينا ... إذ جرد الرياسات والسلطين أشهرهم جهارا ظافرا بهم فيه " كو 2 : 14 ، 15 ..

(2) حماية الكرمة المشتهاة

إذ يتسلم الرب نفسه قيادة المعركة يصير هو شخصيا طرفا فيها لنتمتع كرمة المشتهاة بنصرته وحراسته لها ورعايته واهتمامه بها ، لذلك يقول النبی على لسان الرب :

" فى ذلك اليوم غنوا للكرمة المشتهاة ، أنا الرب حارسها ، اسقيها كل لحظة لنلا يوقع بها .. ، احرسها ليلا ونهارا " إش 27 : 3 – 5 .

الله نفسه هو مالك الكرمة ، يحبها ويشتهيها ، وهو الكرام والحارس لها ، يتعهدا كل لحظة يرويه ببركاته الإلهية ، عينه عليها ليلا ونهارا ، لا يتركها ولا يتخلى عنها ، ينزع عنها الشوك والحسك ليحرقه ، ويصالحها مع الأب خلال صليبه (رو 1 : 5) .

إن كان الصليب قد حطم إبليس وجرده من سلطانه على المؤمنين ، فإنه قدم أيضا البركات التالية :

(أ) " غنوا للكرمة المشتهاة " إش 27 : 3 ترى لمن قيل هذا إلا للسمايين الذين أدرکوا ثمار الصليب فى حياة الكنيسة فتهللت حياتهم وصاروا يسبحون الله مخلص البشر على عمله العجيب فيهم . إذ جعل الأرضيين سمائيين ، ورفع الكنيسة إلى حيث العرش تشارك السماء تسابيحها وليتورجياتها .

(ب) حراسة إلهية : " أنا الرب حارسها ... أحرسها ليلا ونهارا " إش 27 : 3 .

الله حطم العدو بالصليب لا كحدث تاريخي مضى وإنما كعمل الهي قائم وفعال ، ثبت صليبه في وسط كنيسته ليحتضنها من كل ضربات العدو ما دامت تبقى في أحضانه وتطلب حراسته .

(ج) رعاية مستمرة : " أسقيها كل لحظة " إش 27 : 3 ، إذ ينزل عليها أمطار نعمته المجانية فتحول قفرها إلى فردوس الهي .

(د) عدم إدانتها : " ليس لي غيظ " إش 27 : 4 . إذ تقبل عطيته المجانية وتتجاوب عملها مع نعمته لا تسقط تحت الغضب الإلهي بل بثقة تقول : " إذا لا شيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح ، لأن ناموس روح الحياة في المسيح قد أعتقني من ناموس الخطية والموت " رو 8 : 1 ، 2 .

يرى البعض أن كلمة " غيظ " هنا تعني " عبا " فإنه إذ لم يجد عبا جيدا بل شوكا وحسكا ، أو عبا بريا قام بحرق الشوك والحسك لإعطاء الفرصة للإثمار الجيد .

(هـ) حرق الشوك والحسك : " ليت على الشوك والحسك في القتال فأهجم عليها واحرقها معا " إش 27 : 4 ...

لقد أخذ على عاتقه مقاومة الشوك والحسك الخائف للكرمة المشتهاة ، قائلا : " ليت على الشوك ... " .

بالفعل حمل الشوك على رأسه حين صلب ، نازعا العار أو اللعنة عنا ليحملها من أجلنا .

(و) مصالحتنا مع الله : " أو يتمسك بحصني فيصنع صلحا معي ، صلحا يصنع معي " إش 27 : 5 . هذه هي نهاية عمل الصليب : مصالحتنا مع الله ، إذ ونحن بعد أعداء صولحنا مع الله بموت ابنه (رو 5 : 10) .

(ز) نمو الكنيسة الجامعة أو إسرائيل الجديدة : " في المستقبل يتأصل يعقوب ، يزهر ويفرع إسرائيل ويملاؤن وجه المسكونة ثمارا " إش 27 : 6 .

لعل الله أراد منهم ألا ينظروا إلى عمله معهم في المستقبل القريب (خلاصهم من السبي البابلي) وإنما خلال المستقبل البعيد حيث يتأصل يعقوب الجديد ، فتقوم كنيسة العهد الجديد بكونها إسرائيل الجديد ، التي ضمت من اليهود التلاميذ والرسل وكثير من المؤمنين جاءوا بثمار روحية فائقة ملأت وجه المسكونة .

(ح) تأديبه لأولاده (إش 27 : 7 - 9) : يعاملهم كأبناء وليس كأعداء ، فيسمح بتأديبهم لجل خلاصهم وبنيانهم ، إذ يقول : " هل ضربه كضربة ضاربيه ؟! " إش 27 : 7 ، بمعنى هل ضرب الله يعقوب إسرائيل كما ضرب ضاربي يعقوب ؟! حينما يضرب شعب إنما لأجل بنيانهم أما ضربه للأعداء ضاربي شعبه فليهدمهم لأنهم مصررون على الجحود ومقاومة الله . بذات المعنى يقول : " أو قتل كقتل قتلاه ؟! " إش 27 : 7 .

" يزرع (بكيل) إذ طلقها خاصمتها ، أزالها بريجه العاصفة في يوم الشرقية " إش 27 : 8 .

حتى في الخصومة إنما يخاصمها كما بكيل ، أي يسمح لها بالضيق قدر احتمالها ، لأجل تأديبها على خطاياها حتى وإن بدى أنه قد طلقها وسلمها للريح العاصف القادم من الشرق ، أي لأشور أو بابل عام 722 ق . م . و 587 ق . م .

(3) ضرب العدو

مقابل تأديبه لأولاده حتى وإن بدى قاسيا مستخدما أشور وبابل ، أو كمن قد طلقهم إذا به يسمح بهلاك العدو الشرير ، فيحول بابل المدينة الحصينة إلى مسكن مهجور متروك كالقفر

يرى البعض أن الحديث هنا عن السامرة أيضا التي صارت خرابا بسبب جهل شعبها الروحي واعتزالها عبادة الله والسقوط في الوثنية (إش 27 : 9 - 11) .

(4) الله يجمع شعبه

يرى البعض فى ذلك نبوة عن جمع شعب إسرائيل فى أواخر الدهور عندما يقبلون الإيمان بالسيد المسيح ، غير أن البعض يراها صورة لعمل الله عبر العصور عندما أخرج شعبه من مصر ثم خلصه من السبى البابلى .

ربما يشير هنا إلى إسرائيل الجديدة ، الكنيسة التى جمعت من بين الشعوب والأمم لتتمتع بالحياة المقامة .

+ + +

إشعياء – الإصحاح الثامن والعشرون

إنهيار السامرة وتمجيد ليهوذا

يبدأ النبي بمجموعة نبوية جديدة (إش 28 – 33) تكشف عن سوء الحالة الإجتماعية وأيضاً السياسية . لقد ضمت ستة ولايات لأناس أشرار فى أفرام ويهوذا والأمم المجاورة ، إذ احتقروا الله وكلمته واتكلوا على ذراع بشرى غريب ورجعوا إلى العرافين يستشيرونهم

يكشف هذا القسم عن عدل الله فمع محبته لشعبه بل ولكل البشرية لكنه فى غير محاباة لا يطيق الخطية ولا يقبل الرجاسات فى حياة الإنسان . لهذا ينزل بالولايات على إسرائيل أو أفرام لأنها انهارت روحياً بينما يمجّد مملكة يهوذا التى بقيت مقدسة زماناً حتى تشبهت فيما بعد بأختها إسرائيل وسقطت فى رجاسات أبشع .

(1) ويل للسامرة

ينزل الله بالويل على السامرة أو أفرام ، سامحا لأشور سنة 722 ق . م . أن يسطو على البلاد ويخرب المدن ويحمل أعداداً ضخمة إلى السبى . كان ذلك تأديباً لإسرائيل ودرسا عملياً ليهوذا ، فقد استطاع سكان أورشليم عاصمة يهوذا أن يصعدوا على الأسطح ليروا السماء وقد احمرت بغضب الله ضد إسرائيل ، فقد ارتفعت ألسنة النيران فى كثير من بيوت السامرة وما حولها . ومع هذا لم تتعظ مملكة يهوذا إذ سلكت فيما بعد فى ذات خطايا السامرة بل وأكثر منها .

يقدم النبي صورة شعرية رائعة لهلاك السامرة ومجد البقية المخلصة :

(أ) اعتاد اغنياء السامرة أن يقيموا ولائم دائمة يقدمون فيها الخمر والمسكر بلا حساب ، فيسكرون ويلهون ، وكانوا يضعون أكاليل زهور على رؤوسهم علامة المجد وللزينة .

يرى النبي مدينة السامرة كراس مدن إسرائيل وقد احاطت بها الحقائق أشبه برأس أحد هؤلاء الأغنياء الذى يأكل ويشرب ويلهو ويسكر ويمارس الرجاسات وعلى رأسه إكليل زهور . ينزل الله بالويل على هذه الأكاليل فتصير للخزى والعار لا للمجد والبهاء ، يذبل منظرها وتستحق أن تنحدر مع الرأس التى تحملها إلى التراب لتلقى فى المزبلة وتداس بالأقدام (إش 28 : 2 ، 3) .

(ب) ان السيد الرب يرسل جيش أشور كرجل واحد قدير (شديد) وقوى (إش 28 : 2) .. وكان ما تم على أيدي جيش ملك أشور ليس مصادفة ، ولا بتخطيط بشرى أو امكانيات إنسانية ، إنما بسماح الهي يهبهم القدرة والقوة ويعطيهم الوحدة لتحقيق خطة إلهية هي تأيب السامرة !

(ج) يشبه السامرة بشجرة تين تحمل باكورة قليلة تقتطف فى لحظات ولا يبقى فيها ثمر (إش 28 : 4) .

(د) إن كان الله يسمح بهذه المذلة نازعا كل مجد وبهاء للتأديب ، فإنه يتقدم بنفسه ليكون هو نفسه مجدا وبهاء لمؤمنيه :

" فى ذلك اليوم يكون رب الجنود اكليل جمال وتاج بهاء لبقية شعبه ، وروح القضاء للجالس للقضاء ، وبأسا للذين يردون الحرب إلى الباب " إش 28 : 5 ، 6 .

يصير الله هو جمالنا ، وتاج بهاءنا ، وأيضا عدالتنا المدافع عن المساكين والمظلومين ، وقائد معركتنا يهبنا النصر الروحية ضد قوات الظلمة .

يقول " فى ذلك اليوم " ... هو يوم الفداء ، يوم الصليب :

[الصليب هو الذى أزال العداوة بين الله والناس مقدما المصالحة ،

جاعلا الأرض سماء ،

جامعا الملائكة مع البشر ،

محطما قلعة الموت ،

مضعفا سطوة الشيطان ،

مطفئا سلطان الخطية ،

منقذا العالم من الخطأ ومسترجعا الحق ،

طاردا الشياطين ،

مههدا معابد الأوثان ومحولا مذابحهم ومبطلا ذبائحهم ،

زارعا الفضيلة ومؤسسا الكنيسة !

الصايب هو إرادة الآب ، مجد الإبن ، وفرح الروح القدس . إنه موضوع فخر بولس إذ يقول : " حاشا لى أن افتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح " غلا 6 : 14 .

الصليب أكثر لمعانا من الشمس ، وأبهى ضياء من أشعتها ، فعندما اظلمت الشمس أبرق الصليب

الصليب يكسر قيودنا ، ويبتل سجن الموت .

إنه علامة حب الله (يو 3 : 16) .

الصليب هو حصن حصين ، وترس منيع ، حامى للأغنياء ، وينبوع للفقراء ، مدافع عن الساقطين فى الشباك ، ودرع للذين هم فى هجوم ، ووسيلة لقهر الشهوات ونوال الفضائل ، وآية عجيبة مدهشة ! [

ثم من هي " بقية شعبه " .. هذه البقية تضم كل نفس تجرى إلى المخلص رب الجنود لتختفى فيه وتستريح عند قدميه وتستظل بصليبه ، أيا كان الوقت !

(2) كشف وفضح للخطية

بعدها تحدث عن تآديب أفرام يبدو أنه عاد ليتحدث عن خطايا يهوذا ، إذ يقول : " ولكن هؤلاء أيضا " إش 28 : 7 ، كشفها وفضحها ، مصورا مدى انحلال يهوذا الأخلاقي :

(أ) السكر : " ضلوا بالخمير وتاهوا بالسكر ، الكاهن والنبى ترنحا بالمسكر ، ابتلعتهما الخمر ، تاهتا من المسكر " إش 28 : 7 .

إن كانت القيادات فى السامرة عاصمة اسرائيل قد فسدت بالمسكر فإن القيادات الدينية فى اورشليم قد استسلمت لذات الخطأ .

يقصد بالنى هنا " الأنبياء الكذبة " الذين تنبأوا من عندياتهم ليدهانوا الكهنة المنحليين والقيادات المدنية .

(ب) الضلال والظلم : " ضلوا فى الرؤيا ، قللوا فى القضاء " إش 28 : 7 . إذ ترنح الكاهن والنبى الكذاب بالمسكر فقد عيها الروحى فقدا رؤى مضللة ، لأن بصيرتهما الداخلية قد أظلمتا . ولذات السبب فقد قدرتهما على القضاء العادل ، فسببا قللوا وارتباكوا وسط الشعب

(ج) نبوات كاذبة : " فإن جميع الموائد امتلأت قينا وقذرا ، ليس مكان " إش 28 : 8 .

هذه الصورة الخارجية تكشف عن الحالة الروحية ليهوذا فقد تقيا الأنبياء الكذبة نبوات هى من عندياتهم وملأوا الموضع بما هو غير طاهر ولا مقدس .

حين تمتلئ موائدنا الداخلية قذارة يقال للرب " ليس مكان " إش 28 : 8 . عوض القول : " ليأت حبيبى إلى جنته ويأكل ثمره النفيس " نش 4 : 16 .

ومع هذا فإن المخلص مشتاق أن يهيب لنا مكانا فيه ، قائلا لنا : " هوذا عندى مكان فتقف على الصخرة ، ويكون متى اجتاز مجدى أنى أضعك فى نقرة من الصخرة واسترك بيدى حتى اجتاز " خر 33 : 21 ، 22 .

(د) الاستهزاء بالنبى : صار الكهنة والأنبياء الكذبة فى سكرهم يستهزئون بأشعياء النبى قائلين : " لمن يعلم معرفة ؟ ! ولمن يفهم تعليما ؟ ! للمفطومين عن اللبن ؟ ! للمفصولين عن الثدي " إش 28 : 9 .

أى يقولون أنهم أصحاب معرفة وعلم فلماذا يريد أن يعلمهم شيئا ؟ ! ليذهب إلى المفطومين من اللبن ويقدم لهم نبواته ووصاياه التى لا تليق إلا بسذج الذين لا تفكير لهم ، والرضع غير الناضجين .

" إنه أمر على أمر ، أمر على أمر ، فرض على فرض ، فرض على فرض ، هنا قليل هناك قليل " إش 28 : 10 ...

كان النبى يحدث أطفالا صغارا ، يكرر لهم الأوامر والفرائض ويقدم لهم الصغائر ... إنه أشبه بمن يمسك طفلا يعلمه المشى يسحب تارة يمينا وأخرى يسارا ... صورة لإستهتار الكهنة والأنبياء السكرى بأشعياء النبى وتعاليمه !

ما هى عقوبة الساخرين ؟ " إنه بشفة لكنا وبلسان آخر يكلم هذا الشعب " إش 28 : 11

هم سخروا بلغة النبى أو نبواته فحسبوه كمن يعلم أطفالا حديثى الفطامة ، لذلك يرسل لهم الله عدوا غريب اللسان يصرخ فى وجههم ولا يفهمون كلماته فيصيرون كأطفال بلا معرفة . رفضوا التعليم من إشعياء وسخروا به فأرسل لهم الرب سادة آشوريين يعلمونهم خلال لغة العنف والاستعباد مع المذلة .

" الذين قال لهم : هذه هى الراحة (راحتى) أريحوا الرايح ، وهذا هو السكون ، ولكن لم يشاؤا أن يسمعوا " إش 28 : 12 .

يجيب هؤلاء المستهزئين قائلين : " قد عقدنا عهدا مع الموت ، وصنعنا ميثاقا مع الهاوية ، السوط الجارف إذا عبر لا يأتينا لأننا جعلنا الكذب ملجأنا وبالغش استترنا " إش 28 : 15 .

يعلنون أنهم لا يخافون الموت ولا يرهبون الهاوية فقد دخلوا معها فى عهد . يعرفون كيف يلجأون إلى الكذب فلا يسقطون تحت تأديبات أو ضيقات لأن دستورهم هو الغش .

(3) الحاجة إلى المخلص

إن كان عدو الخير يعمل بكل طاقاته لرد المؤمنين عن الحق ، يعمل بصور مختلفة فى كل العصور خاصة فى أيام الإرتداد (ضد المسيح) ، فإن الرب يتقدم بنفسه لمساندة أولاده ومؤمنيه ضد هذا العمل الشيطانى .

" لذلك هكذا يقول السيد الرب : فأندا أوسس فى صهيون حجرا ، حجر امتحان ، حجر زاوية كريما أساسا مؤسسا ، من آمن لا يهرب " إش 28 : 16 .

هكذا فى وسط الصورة القائمة يتنبأ إشعياء النبى عن المسيا بكونه حجر الزاوية وحجر الأساس الذى تقوم عليه الكنيسة :

(أ) حجر الأساس فى صهيون : يقول المزمور : " الحجر الذى رفضه البنائون قد صار رأس الزاوية ، من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا " مز 118 : 22 ، 23 [راجع مت 21 : 42 ، أع 4 : 11 ، رو 9 : 33 ، أف 2 : 20 ، 1 بط 2 : 6 ، 8] .

هو حجر أساس تقوم عليه الكنيسة ، حجر امتحان جرب من الشيطان لكى بنصرته يهينا النصره ، حجرا كريما لا يقدر بثمن . هو حجر الزاوية الذى ربط اليهود مع الأمم كحائطين تلاحما معا فى الإيمان به .

+ من هو هذا الذى نتحدث عنه ؟

" الحجر الذى رذله البنائون قد صار رأس الزاوية " مز 118 : 23 .

إنه المسيح المخلص

(ب) يقام عليه مبنى روحى (إش 28 : 17) ، خيط قياسه هو الحق ومطماره العدل .

لذا يقام المبنى مستقيما ليس فيه اعوجاج ، يسكنه الحق والعدل ، إذ يسكنه الله نفسه مع مؤمنيه .

" لأنه كما فى جبل فراصيم يقوم الرب ، وكما فى الوطاء عند جبعون يسخط ليفعل فعله فعله الغريب ، ويعمل عمله عمله الغريب " إش 28 : 21 .

" فراصيم " إسم كنعانى معناه " الانفجارات " ، وهو جبل فراصيم قرب وادى جبعون وربما كان موضعه اليوم " رأس السنادر " . قول إشعياء هنا : " لأنه كما فى جبل فراصيم يقوم الرب " يعنى أن الله يفتح أعداءه فجأة ويحطمهم تماما ، كما فعل مع داود النبى عند جبل فراصيم (2 صم 5 : 20) .

ما هو الفعل الغريب الذى يعمل الله إلا معاقبة الخطأ ، فإن الله لا يسر بالمعاقبة إنما يصنع ذلك عن ضرورة كأمر غريب عنه ، إذ يقول أرميا : " فإنه ولو أحزن يرحم حسب كثرة مراحمه ، لأنه لا يذل من قلبه ولا يحزن بنى الإنسان " مرا 3 : 32 ، 33 .

هكذا لا يجد الأشرار خاصة الذين يسخرون بكلمة الرب والنبوات والذين يرفضون الإيمان بالمسيا موضوع النبوات ومركز الكتاب كله رحمة أو ملجأ بالرغم من عدم رغبة الله في المعاقبة .

يقول : " فالآن لا تكونوا متحكمين لنلا نتشدد ربطكم " إش 28 : 22 قاصدا لا الربط التي يقيد بها الشعب عند سبيهم إلى آشور أو بابل وإنما قيود الظلمة الأبدية التي تربط جاحدى الإيمان ورافضى النبوات ، عندما تدان الأرض كلها (إش 28 : 22) .

(4) معاملات الله مع شعبه

يشبه الله بزراع لا يقف عند الحرث وتشقيق الأرض وتمهيدها للزراعة إنما يبذر البذار أيضا . فإن كان الله يسمح بالتأديب إنما يكون كالزراع الذى يحرث الأرض ويشققها وينقيها من الحجارة ويمهدا وهذا هو العمل السلبي ، لكنه لا يقف عند ذلك بل يقدم عملا إيجابيا إذ يلقي ببذر كلمته فى حق هذا العالم .

إننا فلاحه الله وحقله وكرمه ، يهتم بنا بكونه إلها الخاص بنا والمناسب إلينا ونحن إليه ، " فيرشده بالحق يعلمه إلهه " إش 28 : 26 ...

كزارع يعرف كيف يتصرف بكل محصول ، بعضها يحتاج إلى دراسة بالنورج وبعضها تحتاج إلى الضرب بالعصا لاستخراج البذار من القش . وبعضها لا يحتاج إلى دراسة ولا إلى ضرب (إش 28 : 27) ، وفى هذا كله لا يطلب إبادة محاصيله وسحقها إنما جمعها (إش 28 : 28) إنه الله الرحوم حتى فى تأديباته ، يطلب ما هو لخلص أولاده وبنينهم ، يعمل بحكمة عجيبة وعظم فهم (إش 28 : 29) .

+ + +

إشعياء – الإصحاح التاسع والعشرون

ويل لإريئيل

يضم هذا الإصحاح الويلين الثانى والثالث من الويلات الستة التى نطق بها الله على لسان إشعياء النبى : ويل لإريئيل (1 – 14) وويل للذين يظنون فى أنفسهم أنهم أحكم من الله (15 – 24) .

(1) الويل الثانى لإريئيل

" الويل لإريئيل لإريئيل قرية نزل عليها داود " إش 29 : 1

كلمة " اريئيل " معناها " موقد الله النارى " أو " أسد الله " أو " الأسد القوى " . وهو اسم رمزى يقدر به أورشليم . يكونها المدينة التى تضم فى الهيكل مذبح المحرقة المتقد نارا (حز 43 : 15 ، 16) ويكونها عاصمة شعب الله كالأسد ملك الوحوش .

بنى داود النبى قصره على جبل صهيون حيث أعلن مجد الله بعد ذلك هناك بطريقة عجيبة . وبنى ابنه سليمان الهيكل على جبل المريا داخل أورشليم ، فصارت المدينة مركز العبادة الجماعية ، فيها تقدم ذبائح للرب . لكنها إذ انحلت عن روح العبادة الحقة وانشغلت بالشكليات بلا روح وانغمست فى الرجاسات مع إصرار على عدم التوبة حل بها الويل .

لقد اعتاد الشعب أن يأتى إلى أورشليم للاحتفال بثلاثة أعياد سنوية (إش 29 : 1) ، لكن الله فى تأديبه يحول هذه الأعياد إلى نوح وحزن (إش 29 : 2) .

ماذا يعنى بقوله " وتكون لى كاريثيل " إش 29 : 2 ؟ ربما أراد أن يعلن أنها فى حزنها تصير كموقد نار سمح الله بإشعاله لتأديب شعبه المنحرف ، وربما قصد أنه وإن سمح بهزيمتها ومضايقتها لكنه يجعلها كمذبح نارى له تحرق العدو مغتصبها كذبيحة للرب .

يعبر عن مقدار الحزن الذى يحل بأورشليم عند حصارها ، قائلا : " فنتضعين وتتكلمين من الأرض وينخفض قولك من التراب ويكون صوتك كخيال من الأرض ، ويشفق قولك من التراب " إش 29 : 4 .

بسبب حزنها الشديد يجلس سكان أورشليم فى التراب كمن هم فى " جنازة " حسب التقاليد الشرقية القديمة .

ومع هذا فإن الله فى محبته يتدخل فيخلص مدينته من هذا العدو ، هذا الخلاص رمز لخلاصنا بالصليب وخلاص الكنيسة فى أواخر الدهور من المسيح الدجال :

(أ) انهيار العدو بالرغم من كثرة عدده وقوته : " يصير جمهور أعدائك كالغبار الدقيق وجمهور العنة كالعصافاة المارة " إش 29 : 5 . هؤلاء يشيرون إلى إبليس وملائكته الذين بلا عدد .

(ب) تحقيق غلبة سريعة : " ويكون ذلك فى لحظة بغتة " إش 29 : 5 ، إشارة إلى إمكانية الصليب الفاتكة للغلبة على الأعداء .

+ مع الصليب ارشم نفسك بالصليب على جبهتك وحينئذ لا تقربك الشياطين لأنك تكون متسلحا ضدهم . [يوحنا الذهبى الفم] .

(ج) خلاص الرب لهذه المدينة المنكوبة يرافقه علامات خاصة بالطبيعة . " من قبل رب الجنود تفتقد برعد وزلزلة وصوت عظيم بزوبعة وعاصف ولهيب نار آكلة " إش 29 : 6 . هذه العلامات تشير إلى ما حدث أثناء صلب السيد المسيح من ثورة للطبيعة كخسوف الشمس وخسوف القمر وحدوث زلزلة ... وأيضا يشير إلى ما سيحدث قبيل مجيء السيد المسيح الأخير للدينونة (إش 28 : 21 ، 30 : 30 ، زك 14 : 1 - 6 ، 2 تس 1 : 6 - 8) .

(د) تبديد تام للأعداء ، إذ يختفون كما فى حلم الليل متى استيقظ الإنسان يختفى كل ما رآه ، بل يصعب عليه حتى أن يتذكره (إش 29 : 7) .

العدو الذى حاول اغتصاب شعب الله يكون كالجائع الذى يحلم أنه يأكل أو يشرب ، يستيقظ فيجد نفسه كما هو جائعا وطمأنا (إش 29 : 8) .

(2) انتشار الجهل بين شعبه

بجانب ما اتسم به الشعب من تغطية الحياة الشريرة بشكليات العبادة جهلهم بكلمة الله وعدم خبرتهم لقوة الوصية فى حياتهم .

إن كان الروح القدس يسكر النفس فيهبها فرحا سماويا ينسيها مرارة الضيق والألم ، فإن الجهل الروحى يسكرها بشربها كأس غضب الله ، أما ثمر هذا الجهل فهو :

(أ) التواني (إش 29 : 9) ، فقد تراخى الشعب وأهملوا خلاص أنفسهم ، وصاروا كما فى حالة سبات (إش 29 : 10) ، كنائمين فاقدين الأحاسيس الروحية والمشاعر المقدسة واليقظة والنشاط والصلاة الدائمة والإنلقاء مع الله فى حيوية .

(ب) الإصابة بنوع من الأنبيهار دون التمتع بعمل الله ، فالحق كالشمس مشرق أمامهم ، لكن عيونهم الضعيفة أفقدتهم التمتع بنورها ، فاروا مبهورين بها دون معاينتها .

(ج) التلذذ بالحياة المترفة (إش 29 : 9) .

(د) رفض المشورة الصالحة ، فقد وجد بينهم أنبياء (إش 29 : 10) كعيون روحية يمكن للشعب كما للقيادات أن يعاينوا الحق ويدركوا خطة الله وإرادته .

(3) شكلية العبادة

لعل أخطر عدو يواجه المتدينين هو الرياء أو الإهتمام بالشكليات دون جوهر الحياة المقدسة . لقد بدأ حزقيا الملك اصلاحاته لكن البعض ترك عبادة الأوثان من الخارج لا من قلبه ، وجاءوا يقترّبون إلى الله بشفاهم دون قلوبهم ، يهتمون بمديح الناس لا الله ، لهم صورة التقوى وينكرون قوتها .

" لأن هذا الشعب اقترب إلى بغمه واکرمنى بشفتيه وأما قلبه فأبعده عنى وصارت مخافتهم منى وصية الناس معلمة " إش 29 : 13 .

(4) الويل الثالث لمن يتكل على حكمته الذاتية

إحدى علامات الرياء أن بعض الأشراف وضعوا فى قلوبهم أن يتمموا رأيهم الذاتى وهو الإلتجاء سرا إلى مصر ضد آشور ليخفوا هذا الأمر ليس فقط عن الشعب بل حتى عن الله نفسه ، قائلين : " من يبصرنا ؟! ومن يعرفنا ؟! " إش 29 : 15 . لقد ظنوا وهم الجبل ، أنهم أكثر حكمة من جابلهم !

(4) وعود ثمينة للمؤمنين

إن كانت الخطط الخفية المخادعة والمملوءة رياء تجلب غما وحزنا ، فعلى العكس عمل الله الخلاصى العلنى يجلب سلسلة أفراح متوالية ، وبركات متعددة بلا حصر ، منها :

(أ) حالة إثمار : " أليس فى مدة يسيرة يتحول لبنان بستانا والبستان يحسب وعرا ؟! " إش 29 : 17 . عمل الله العلنى يحول لبنان إلى بستان أو جنة ، يحول قلب الإنسان الجاف والوعر إلى ملكوت المسيح الحامل لثمار الروح . بينما حرمان الإنسان من النعمة يحطم حتى ثماره الطبيعية (البستان) فيصير وعرا .

(ب) عطية الأستماع لصوت الله ورؤية الأسرار الإلهية : " ويسمع فى ذلك اليوم الصم أقوال السفر وتتنظر من القتام والظلمة عيون العمى " إش 29 : 18 . السمع الروحى والبصيرة الداخلية هما عطيتان من قبل الله .

(ج) التمتع بالفرح السماوى الداخلى المتزايد : " ويزداد البائسون فرحا بالرب ويهتف مساكين الناس بقدوس إسرائيل " إش 29 : 19 .

(د) تحطيم عدو الخير إبليس وكل أعماله ، هذا الطاغية الذى يسخر بالمؤمنين (إش 29 : 20) .

(هـ) إبطال العثرات وكل فخاخ ومشورات شريرة ضد أولاد الله الأبرار (إش 29 : 21) .

(و) نزع الخوف والخزى : " ليس الآن يخجل يعقوب وليس الآن يصفار وجهه " إش 29 : 22 .

(ز) تقديس اسم الله : " بل عند رؤية أولاده (أولاد إبراهيم) عمل يدي فى وسطه يقدسون اسمى ويقدسون قدوس يعقوب ، ويرهبون إله إسرائيل " إش 29 : 23 .

وكأنه يتحقق فيهم القول " ليتقدس اسمك " ، إذ يتقدس اسم الله فى شعبه ومؤمنيه .

(ح) تغيير الطبيعة البشرية فيحملون فهمًا وعلمًا لا بطريقة عقلانية بحتة وإنما كحياة جديدة مطيعة للرب بعدما ساروا زمانًا في ضلالة الجهالة وحياة التمرد والعصيان (إش 29 : 24) .

هذه جميعها وعود الله التي تتمتع بها كنيسة العهد الجديد المتلهلة بفرح الرب من حمل ثمار الروح القدس بكونها جنة المسيح .

+ + +

إشعياء – الإصحاح الثلاثون

الإتكال على فرعون

يرى بعض المفسرين أن الحديث هنا موجه إلى افرايم حيث ورد في 2 مل 17 : 4 عن معاهدة تمت بين هوشع بن إيلة ملك إسرائيل (افرايم) وسوا ملك مصر مع ثورته ضد آشور ورفضه دفع الجزية له ، أكثر منه وجود معاهدة بين يهوذا ومصر .. لكن بقية الحديث موجه إلى يهوذا وأورشليم أنه حديث الهي موجه ضد كل إنسان يتجاهل الله متكلا على ذراع بشري .

(1) تحذير من الإتكال على فرعون

" ويل للبنين المتمردين يقول الرب حتى انهم يجرون رأيا وليس منى ، ويسكبون سكبيا وليس بروحى ، ليزيدوا خطيئة على خطيئة ، الذين يذهبون لينزلوا إلى مصر ولم يسألوا فمى ليلتجنوا إلى حصن فرعون ويحتموا بظل مصر " إش 30 : 1 ، 2 .

يلاحظ فى الويل الرابع الآتى :

(أ) يدعوهم أبناء متمردين ، لأنهم رفضوا مشورة الله أبيهم ولم يثقوا فيه إنما حسبوا فرعون أباهم الذى ينقذهم .

(ب) لقد رأوا رأيا (إش 30 : 1) أى تشاوروا فيما بينهم ولم يطلبوا مشورة الله ولا سألوا رجاله المخلصين .

(ج) " يسكبون سكبيا " أو " يغطون غطاء وليس بروحى " إش 30 : 1 . بمعنى أنهم أرادوا أن يغطوا على مشورتهم ويخفون عنى ما يفعلونه (إش 29 : 15 ، 16) ، فحرموا أنفسهم من قيادة روحى القدوس .

(د) " ليزيدوا خطيئة على خطيئة " إش 30 : 1 ، هكذا كانوا ينحدرون فى سلسلة من الخطايا ، بدأوا بالتمرد على أبيهم السماوى ، إذ حسبوه عاجزا عن حمايتهم ، ثم تجاهلوه متجاهلين مشورته ، ثم حاولوا اخفاء تصرفاتهم الخ

(هـ) " الذين يذهبون لينزلوا إلى مصر ولم يسألوا فمى " إش 30 : 2 ، فقد بعثوا رسلا إلى فرعون للتحالف معه ... نزلوا إلى مصر ، ولم يقبلوا الله الذى يرفعهم إليه ، قبلوا النزول عوض الصعود ، أو الإنحدار عوض الإرتفاع نحو السمويات .

(و) يعتبر الحصن الفرعونى لهم خجلا وحماية مصر ظلا مخزيا (إش 30 : 3) . لقد بلغ رسلهم إلى صوعن وحانيس يطلبون العون والمشورة فنالوا خجلا وخزيا .

صوعن عاصمة مصر العليا ، على الضفة الشرقية من الدلتا وعلى فرع النيل الشرقى، حصنها الملوك وجعلوها عاصمة تراقب الهجمات القادمة من الشرق على مصر . فى هذه المدينة تمت المفاوضات بين موسى وفرعون (مز 78 : 12 ، 43) ، احتلها الآشوريون فيما بعد ، ودعاها اليونان " تانيس " ، حاليا تدعى " صا الحجر " .

أما " حانيس " فهى مدينة فى الغرب من الدلتا وتدعى حاليا " أهناسيا " .

يشبه النبي الرسل القادمين من يهوذا إلى مصر بيهيموث [بهائم الجنوب : إش 30 : 6 ، يقصد نوعا من التماسيح المصرية] .

جاءوا يطلبون النجدة من بلد مملوءة بالأسود والأفاعى والثعابين السامة الطيارة ، جاءوا للأمان فى منطقة متاعب ومخاطر قاتلة .

يدعو مصر بإسم شعري رمزى " رهب الجلوس " إش 30 : 7 ، يقصد برهب " الرحب " أو " المتسع " أو " العظيم " أو " المتكبر " ، فقد تكبرت مصر وتعجرت مقدمة وعودا جميلة لكن غير واقعية .

(2) تأديبات بسبب احتقار وصية الرب

طلب الله من إشعياء النبي أن يكتب تحذيرا لشعب يهوذا على لوح كبير يراه الكل فى مكان عام ، وأيضا أن يسجل ذلك فى كتاب ليبقى أبديا (إش 30 : 8) . ربما كتب على اللوح " رهب الجلوس " ليحذرهم من الإتكال على فرعون (مصر) الجالس متفرجا ، أما فى السفر فكتب عن خطايا يهوذا والنبوات والرؤى التى وهبها الله إياها .

أما خطية يهوذا الرئيسية فهى أنهم شعب متمرد يرفض شريعة الرب ويتقبل كلمات الأنبياء الكاذبة ، ... قالوا للأنبياء الكاذبين ألا ينظروا المستقيمت إنما طلبوا الكلمات المخادعة التى دعاها هنا " الناعمات " ، " المخادعات " إش 30 : 10 . التى تهب طمأنينة مؤقتة للنفس خلال تجاهل الخطية وتهدة الضمائر . بهذا رفضوا اعتراض الأنبياء طريقتهم ، وطلبوا عزل قدوس إسرائيل من أمامهم (إش 30 : 11) .

إنهم صاروا كحائط مرتفع يتصدع ويسقط ويتهشم فى لحظة (إش 30 : 13) .

يصور النبي هلاك مملكة يهوذا بسبب رفضهم مشورة الرب القائل : " بالرجوع والسكون تخلصون ، بالهدوء والطمأنينة قوتكم " إش 30 : 15 ، أى أن سر خلاصكم يكون فى توبتكم ورجوعكم إلى الله مع السكون والهدوء بثقة ، لكنهم رفضوا التوبة مع الإيمان بالله إذ قالوا : " لا بل على الخيل نهرب ... لذلك يسرع طاردوكم " إش 30 : 16 .

(2) مراحم الله نحو شعبه التائب

" ولذلك ينتظر الرب ليتراءف عليكم ، ولذلك يقوم ليرحمكم لأن الرب إله حق ، طوبى لجميع منتظره " إش 30 : 8 .

انتظار الرب يعنى خطته المقبلة نحو خلاص الكثيرين ، والتى تتركز فى النقاط التالية :

(أ) سكنى شعبه فى أورشليم : " لأن الشعب فى صهيون يسكن فى أورشليم " إش 30 : 19 ، أى يدخل بهم إلى كنيسة العهد الجديد حيث سلام الله الذى يفوق كل عقل .

(ب) انتزاع الحزن والبكاء : " لا تبكى بكاء " إش 30 : 19 .

يليق بنا أن نميز بين الحزن حسب مشيئة الله وبين القنوط أو فقدان التعزية والسلام . الحزن حسب مشيئة الله فضيلة روحية ترافقها تعزيات الله وسلامه الفائق للعقل أما القنوط فرديلة تكشف عن حالة يأس وعدم رجاء ..

(ج) استجابة سريعة للصلوات : " يتراءف عليك عند صوت صراخك ، حينما يسمع يستجيب لك " إش 30 : 19 ، فهو يسمح بالضيق والشدة لكنه يسمع الصرخات فيعطى خبزا وماء ولا يترك الإنسان فى عوز (إش 30 : 20) .

(د) إن كان الرب نفسه يصير معلما (يو 2 : 23) وروحه القدوس قائدا ومعزيا للكنيسة فإن إحدى بركات الرب أنه يهب روح التعليم الصادق والإرشاد الروحى المستقيم بلا انحراف : " لا يختبئ معلموك بعد بل تكون عينك تريان معلميك ،

وأذنك تسمعان كلمة خلفك قائلة : هذه هى الطريق اسلكوا فيها حينما تميلون إلى اليمين وحينما تميلون إلى اليسار " إش 30 : 21 .

(هـ) رفض العبادات الوثنية بكل ترفها :

" وتنجسون صفائح تماثيل فضتكم المنحوتة وغشاء تمثال ذهبكم المسبوك تطرحها مثل فرصة حائض ، تقول لها اخرجى " إش 30 : 22 .

(و) نعمة المطر : " ثم يعطى مطر زرعك الذى تزرع الأرض به وخبز غلة الأرض فيكون دسما وسمينا وترعى ماشيتك فى ذلك اليوم فى مرعى واسع " إش 30 : 23 .

كان عصر المسيا فى ذهن الأنبياء هو " عصر المطر " أو " عصر المياة الغزيرة " – يخرج ينبوع مفتوح لبيت داود يقطع أصنام الأرض ويزيل الروح النجس (زك 13 : 1 ، 2) . تفيض ينابيع يهوذا ماء ويخرج من بيت الرب ينبوع يهب حياة (يؤ 3 : 18 ، زك 14 : 8) ، يفرح مدينة الله مقدس مساكن العلى (مز 46 : 4) .

فى اختصار ارتبط العصر المسيانى بالمياة المقدسة ، التى تعطى ارتواء ، وتحول القفر أرضا خصبة ، تروى المؤمنين كأشجار فردوس الله ، تنزع النجاسات وتطهر الأرض من عبادة الأصنام ، وتقدم حياة وتقديسا ... هذه المياة المقدسة هى المعمودية وعطية الروح القدس .

هكذا ترتوى النفوس فى العصر المسيانى كما تشبع الأجساد لا خلال الملذات الزمنية وإنما خلال تقديسها بالرب فيكون لها كل شئ صالحا ومباركا وطاهرا :

" والأبقار والحمير (إشارة إلى الجسد) التى تعمل للأرض تأكل علفا مملحا مذى بالمنسف والمزرة " إش 30 : 24 .

" ويكون على كل جبل عال وعلى كل أكمة مرتفعة سواق ومجارى مياة فى يوم المقتلة العظيمة حينما تسقط الأبراج " إش 30 : 25 . كأنه حتى الجبال العالية والتلال تجد مياها كافية ، ربما يشير ذلك إلى نعمة الله الغنية التى تفيض ليس فقط على البسطاء والعامة ، وإنما تجتذب ملوك ورؤساء وقادة وأشراف للإيمان .

كان يليق بالقيادات اليهودية أن تكون أبراجا للعالم ترى مملكة المسيح وتكرز بها لكنها صارت مقاومة للحق فانهارت ، الأمر الذى أحرز القديسون .

(ز) استنارة عظيمة : " ويكون نور القمر كنور الشمس ، ونور الشمس يكون سبعة أضعاف كنور سبعة أيام فى يوم يجبر الرب كسر شعبه ويشفى رضى ضربه " إش 30 : 26 .

إذ يشفى الرب جراحات النفس والجسد مقدسا الإنسان بكليته ، بجميع طاقاته من غرائز وأحاسيس وعواطف وفكر الخ ... يحمل صورة خالقه " النور الحقيقى " فيصير نورا للعالم ، نورا كاملا فى الرب (سبعة أضعاف علامة الكمال) فيسمع صوت العريس السماوى : " كلك جميل يا حبيبتي وليس فيك عيبة " نش 4 : 7 .

(4) غضب الله على أشور

يرى أغلب الدارسين أن ما ورد هنا هو وصف للخراب الذى حل بجيش سنحاريب ، وغن كانت أشور بجيشها وقائدها تمثل قوى الظلمة الحاملة العدواة ضد الله بقيادة إبليس نفسه الذى يطلب أن يقتحم كنيسة الرب ، أورشليمنا الداخلية ، ليتربع فى هيكل قلوبنا المقدس .

(أ) " هوذا اسم الرب يأتى من بعيد غضبه مشتعل والحريق عظيم ، شفتاه ممتلئتان سخطا ولسانه كنار آكلة ، ونفخته كنهر غامر يبلغ إلى الرقبة " إش 30 : 27 .

" اسم الله " : حال في حياة الكنيسة ، أعلن في قلب المؤمن ، قريب إليه أقرب من نفسه ، أما بالنسبة للأشرار فيبدو له بعيدا جدا ، بل وأحيانا يظنه غير موجود .

شفنا الرب تقطران دسما لأولاده ومملوئتان سخطا لجاحديه !

يشبه الأمم بالحصاد الفارغ الذي كله قش بلا حنطة أو بخيول جامحة لا تضبطها اللجم ، إذ يقول : " لغربلة الأمم بغربال السوء " إش 30 : 28 . فإنهم يغربلون ولا يأتي الغربال بشيء .

" وعلى فكوك الشعوب رسن (لجام) مضل " إش 30 : 28 . توضع اللجم في أفواههم لكنهم لا يسرون في طريق حق .

(ب) " تكون لكم أغنية كلبلة تقديس عيد وفرح قلب كالسائر بالنأي ليأتي إلى جبل الرب إلى صخر إسرائيل . ويسمع الرب جلال صوته ويرى نزول ذراعه يهيجان غضب ولهيب نار آكلة نوء وسيل وحجارة برد " إش 30 : 29 ، 30 .

لعل ما يشغل المؤمنين ليس هلاك العدو – إنما انتزاع العوائق فيأتون إلى جبل الرب ، إلى السماء عينها متهللين . غابتنا لا الشماتة في عدو الخير وإنما تمتعنا بجلال الرب وسماعنا صوته .

(ج) يرى إشعياء في عودة الشعب من السبي إلى أورشليم أشبه بموكب عسكري يدخل بلده بموسيقى عسكرية تعلن عن النصر : " ويكون كل مرور عصا القضاء التي ينزلها الرب عليه بالدفوف والعيان وبحروب ثائرة يحاربه " إش 30 : 32 .

(د) يقدم صورة نهائية عن مدى خراب أشور ، إذ يصور مكان النار : " تفته " الموضع الذي كانت البقايا تحرق فيه خارج أورشليم ، قد أعد ليسع الملك " الإله ملوخ " فيحترق بغضب الرب (إش 30 : 33) .

+ + +

إشعياء – الإصحاح الحادي والثلاثون

الإنكسار على البشر

لما كان الإنكسار على الذراع البشري أمرا خطيرا يحطم الإيمان في حياة البشرية عبر الأجيال فلا نعجب . إن عاجله إشعياء النبي مرارا من زوايا مختلفة . هنا يوضح النبي خطورة النزول إلى مصر لطلب حماية فرعون عوض ارتفاع القلب إلى الله القدوس كحصن حقيقي ومعين لشعبه .

(1) الإلتجاء إلى فرعون

يقدم لنا إشعياء النبي فكرا روحيا رائعا ، فإن موضوع الإلتجاء إلى فرعون ليس مجرد خطة سياسية عسكرية لكنها موضوع لاهوتي يمس حياة الإنسان ومصيره الأبدى .

من يتكئ على البشر مهما كثر عددهم أو إمكانياتهم أو قوتهم (إش 31 : 1) إنما يلتصق بأناس جسدانيين مائتين فيصير مثلهم مائتا ، أما من يلتصق بالمخلص قدوس إسرائيل غير المتغير الأبدى فيحمل معه الخلود .

" وأما المصريون فهم أناس لا آلهة ، وخيلهم جسد لا روح ، والرب يمد يده فيعثر المعين ويسقط المعان ويفنيان كلاهما معا " إش 31 : 3 .

لنتكئ إذن على الخالق الأبدى لا الخليقة الضعيفة العاجزة حتى على إعانة نفسها .

+ " لا تتكلموا على الرؤساء " مز 146 : 4 ..

الآن خلال نوع من ضعف النفس البشرية عندما يقع الإنسان في ضيقة يئأس من جهة الله ، مختاراً أن يتكلم على إنسان .

ليقل لإنسان ساقط في ضيقة : " يوجد إنسان عظيم يحررك " ، للحال يبتسم ويبتهج وترتفع معنوياته ، أما إن قيل له " الله يحررك " فيسقط في حالة احباط ويئأس !

انك تفرح عندما تنال عوناً من مائت ، فكيف تحزن عندما تنال العون من الخالق ؟!

لقد نلت وعداً بأن يحررك من هو محتاج أن يتحرر معك فترتفع معنوياتك كمن نال عوناً عظيماً . ها أنت تنال وعداً من (الله) المحرر الذي لا يحتاج إلى من يحرره ومع ذلك تئأس كأنك تنال أمراً واهناً .

ويل لمثل هذه الأفكار ، لقد ضلوا ، حقا صار فيهم موت خطير ومحزن !

(2) الله حامى أولاده

إن كان عدو الخير إبليس يشبه أسداً مزجراً يريد أن يفترس ليأكل ويشبع ويهلك فريسته (1 بط 5 : 8) ، فإن " قدوس إسرائيل " هو الأسد الخارج من سبط يهوذا (رؤ 5 : 5) لا يهلك الفريسة وإنما قادر أن يحميها . يفتنى النفس كفريسة يحوط بها ليهبها سماته الملوكية فيقيم مؤمنيه " كهنة وملوكا " رؤ 1 : 6 ، يهبهم خلوده وشركة أمجاده .

الله موضع ثقة قادر أن يحمينا وأيضاً أن يرعانا ، لذا يشبه نفسه بالأسد ملك الوحوش لا يقدر أحد أن يقف أمامه ، وفي نفس الوقت كطائر يهتم بصغاره (إش 31 : 5) .

مسيحنا يرعانا على الصليب كأسد ربض ونام (تك 49 : 9) ولم يقدر العدو أن يقترب إليه ، ولا أن يقترب إلينا .

(3) دعوة للرجوع إلى الله

يكشف النبي عن غاية عمل الله معهم ، فإن الرب يحطم أشور بطريقة غير بشرية ولا طبيعية لا لاستعراض قوته الإلهية وإنما لأجتذاب نفوس جاحديه ، إذ يقول الرب :

" ارجعوا إلى الذي ارتد بنو إسرائيل عنه متعمقين ويسقط أشور بسيف غير رجل وسيف غير إنسان يأكله ... " إش 31 : 6 ، 8 .

أليست هذه صورة خلاص الله تم على الصليب حيث أسقط إبليس لا بفكر بشرى ولا بسيف مادي وإنما ببذل حياته ذبيحة إثم عنا ، ومحرقة حب لحسابنا وباسمنا ، فتحطم العدو تحت أقدامنا ورجعنا إلى الله بأعماق جديدة لم يختبرها رجال العهد القديم مثلنا ؟!

+ + +

إشعياء – الإصحاح الثانى والثلاثون

المسيح واهب السلام

يعتبر هذا الإصحاح ختاماً جميلاً للحديث عن الصراع الذى قام بين أورشليم وأشور ، فبعدما كرر التحذير من الألتجاء إلى فرعون والإتكال على الذراع البشرى ، يقدم لنا السيد المسيح كملك روحى يهب السلام والعدل .

(1) بركات مملكة المسيح

الحديث هنا خاص بمملكة مزدهرة ، يرى بعض الدارسين أنها مملكة حزقيا التي بدأت بالأصلاح الروحي والإجتماعي وإن كان كثيرون لم يصلحوا إلا الشكل الخارجى ، ويرون آخرون أن الحديث هنا عن السيد المسيح لأن البركات المذكورة هنا لم تتحقق فى أيام حزقيا ، غير أن فريقا ثالث يرى أنه حديث عن الملك حزقيا أو غيره من الملوك كظل للسيد المسيح .

ماذا يقدم لنا المسيح الملك ؟

(أ) دستور العدل والحق : " هوذا العدل يملك ملك ، ورؤساء بالحق يترأسون " إش 32 : 1 .

إن كان الرب قد ملك على خشبة أى خلال الصليب ، وقد دفع ثمن خطايانا تحقيقا للعدالة ، فإنه يقيم تلاميذه ومؤمنيه كرؤساء يمارس سلطاننا الروحي لا على الآخرين وإنما على نفوسنا وأحاسيسنا ومشاعرنا وطاقتنا لا بكبتها أو تحطيمها وإنما " بالحق " ، أى بتقديسها بالمسيح .

(ب) عوض المتاعب والضيقات يصير هذا الملك " كمخبا من الريح " ، يحمى المؤمنين من رياح التجارب والضغطات المرة ، " وستارة من السيل " أى كمظلة أو غطاء تحميهم من المياة الجارفة ، " وكسواقي (أنهار) ماء فى مكان يابس " ، أى يروى النفوس العطشى فى البرية القاحلة ، " كظل صخرة عظيمة فى أرض معيبة " يخنقون فى المسيح الصخرة فلا يصيبهم ضررا .

هكذا يقدم أربعة تشبيهات لعمل السيد المسيح فى حياة مؤمنيه : مخبا ، غطاء ، أنهار مياة ، صخرة عظيمة .

خلال هذه التشبيهات يرانا النبى أشبه بانسان مسافر يجد فى السيد المسيح كل احتياجاته ، متى هبت عليه العواصف العنيفة وجد فيه الملجأ الأمين ،

وإن لحقته سيول جارفة يجده غطاء واقيا ،

وإن عانى من الظما يصير له الرب أنهار مياة حية ،

وإن هاج العالم كله يستظل فيه كصخرة صلدة قادرة أن تخفيه وتحميه حتى من الموت .

بمعنى الله المخلص يقدم ذاته كل شىء لمؤمنيه حتى لا يعوزهم شئنا . لقد قدم ذاته خلال أسماء كثيرة لكى ندرك أنه سر شعبنا الحقيقى ، وكما يقول يوحنا الذهبى الفم :

[لماذا دعى الطريق ؟ لكى نفهم اننا بواسطته نلتقى بالأب .

لماذا دعى الصخرة ؟ لكى نفهم أنه حافظ الإيمان ومثبته .

لماذا دعى الينبوع ؟ لكى نفهم أنه مصدر كل شىء .

لماذا دعى الأصل ؟ لكى نفهم أن فيه قوة النمو .

لماذا دعى الراعى ؟ لأنه يرعانا .

لماذا دعى الحمل ؟ لأنه قدم فدية عنا وصار تقدمة .

لماذا دعى الحياة ؟ لأنه أقامنا ونحن أموات .

لماذا دعى النور ؟ لأنه أنقذنا من الظلمة .

لماذا دعى الزراع ؟ لأنه مع الآب جوهر واحد .

لماذا دعى الكلمة ؟ لأنه مولود من الآب .

لماذا دعى ثوبنا ؟ لأننى التحفت به عندما اعتمدت .

لماذا دعى المائدة ؟ لأننى أعتذى عليه عندما اشتراك فى الأسرار .

لماذا دعى المنزل ؟ لأننى أقطن فيه .

لماذا دعى العريس ؟ لأنه قبلنى كعروس له .

لماذا دعى بلا دنس ؟ لأنه أخذنى كعذراء .

لماذا دعى السيد ؟ لأننى عبد له .

إن سمعت هذه الأمور أرجو ألا تفهمها بمعنى مادي ، بل حلق بفكرك عاليا ، لأنها لا تؤخذ بمعنى جسدى [.

+ من أقوال الشيخ الروحاني :

[طوبى للذى نسى حديث العالم بجديته معك ، لأن منك تكتمل كل حاجاته . أنت هو أكله وشربه ! أنت هو بيته ومسكن راحته ، إليك يدخل فى كل وقت ليستتر ! أنت هو شمس ونهاره ، بنورك يرى الخفيات . أنت هو الآب والده ! أنت أعطيته روح ابنك فى قلبه !]

(ج) يقدم السيد المسيح لمؤمنيه البصيرة الروحية لترى الأمور غير المنظورة ولا تظلم عيناه الداخلتين : " لا تحسر (تعتم) عيون الناظرين " إش 32 : 3 .

كما يهبنا القدرة على الإستماع لوصيته والإنصات إلى كلماته بفرح : " وأذان السامعين تصغى " إش 32 : 3 .

يقدم حكمة مع علم وفهم : " وقلوب المتسرعين تفهم علما " إش 32 : 4 .

يهب اللسان الكلام اللائق الفعال :

" وألسنة العييين (المتلعثمين) تبادر إلى التكلم فصيحا " .

وأخيرا يعطينا نعمة التمييز فلا نحسب اللئيم كريما ولا الماكر نبیلا (إش 32 : 5) .

(د) يميز الله بين اللئيم والكريم ، إذ هو فاحص القلوب ، ومدرک للخفيات (إش 32 : 6 - 8) .

(2) اضطراب خارج المسيح

الله يحدثنا عن دينونة اللئيم في صورة حديث مع النساء المدللات المترفات اللواتي يخرجن بعد الحصاد ليقضين فترات من اللهو معا في فرح زمنى وبطريقة جسدانية غير لائقة . لا يعود بعد يوجد عيد للحصاد ، لأن العدو يستولى على كل المحصولات .

هؤلاء النسوة يمثلن الرافضين الإيمان بالسيد المسيح ، يصبن بالآتى :

(أ) عوض الطمأنينة والسلام يرتعدن (إش 32 : 11) ...

(ب) عوض ارتداء الثياب الثمينة يتجردن ويتعرين ويتنطق على الأحقاء (إش 32 : 11) ، علامة تخلق النعمة وفقدان الستر الروحي .

ما هي هذه الثياب الثمينة التي ترتديها النفس البشرية إلا شخص السيد المسيح الذى يخفيها فيه ويستر علينا بدمه ويهبنا جماله . وكما يقول القديس بولس : " لأنكم كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح " غلا 3 : 27 .

(ج) عوض الفرح يلطمن على الثدى نائحات كمن لهن ميت (إش 32 : 12) ، فإنهن بانفصالهن عن الله مصدر الحياة فقدت نفوسهن الحياة .

(د) عوض الفرح بالحصاد ، تنبت لهن الأرض شوكا وحسكا (إش 3 : 13) ، علامة حلول اللعنة مع الجفاف الروحي .

(هـ) تهدم قصورهن وتهجر المدن وتتحول بيوت الفرح والمدينة المبتهجة إلى قفر به أشواك وحسك (إش 32 : 13) ، 14 .

(و) تتحول الأكمة والبرج إلى مغاير دائمة ترعى فيها حمير الوحش (رمز للشياطين الشرسة) والقطعان (الأفكار الحيوانية) .

تلك هي سمات النفس خارج المسيح .

(3) الروح القدس والسلام

الله – فى محبته – يطلب أولاده له لكى ينزع عنهم الرعدة والمرارة والجفاف والدمار ، فيسكب روحه القدس علينا : " إلى أن يسكب علينا روح من العلاء فتصير البرية بستانا وبحسب البستان وعرا " إش 32 : 15 .

هنا إشارة إلى حلول الروح القدس فى عيد البنطقستى .

يصور لنا هذا العمل البنطقستى فى حياة الكنيسة ، قائلا :

" فيسكن فى البرية الحق والعدل فى البستان يقيم " إش 32 : 16 .

" ويسكن شعبى فى مسكن السلام " إش 32 : 18

أخيرا يطوب النبى الذين ينعمون بعطية الروح خلال مياة المعمودية : " طوباكم أيها الزارعون على كل المياة المسرحون أرجل الثور والحمار " إش 32 : 20 .

وكان من يزرع على مجارى مياة الروح القدس يحمل حصادا كثيرا فلا تنقطع الثيران والحمير عن حملها دورا بعد دور ، فتمر أرجل هذه الحيوانات بحرية وتكرار .

يليق بنا أن نحرص ألا نفقد النعمة

إشعياء - الإصحاح الثالث والثلاثون

الغزو الآشوري والعصر المسماني

بينما يتطلع النبي إلى العصر المسماني كعصر مثمر ، فيه يغرس الرب كرمه (الكنيسة) كما على مجارى مياه روحه القدس ، محولا البرية إلى بستان ، إذا به يتطلع إلى الأحداث الجارية في عصره كظلال لهذا العصر .

حقا يرى في الغزو الآشوري على يهوذا وأورشليم هلاكا للكثيرين لكنه تبقى قلة أمينة مخلصه تنعم بعمل الله وتتمتع ببركاته . ما حل من خراب يشير إلى النفوس الجاحدة للسيد المسيح ، الراضة مملكته غير المتمتعة بعمل روحه القدس بينما تشير القلة إلى كنيسة أو إلى ملكوته المفرح المملوء سلاما وثمارا روحيا متزايدا .

(1) ويل للمخرب

" ويل لك أيها المخرب وأنت لم تخرب ، وأيها الناهب ولم ينهبوك ، حين تنتهي من التخريب تخرب وحين تنتهي من النهب ينهبوك " إش 33 : 1 .

الويل هنا موجه ضد آشور وأيضا ضد بابل كما ضد كل عدو متشامخ على الله وعلى شعبه . إن كانت خطته للتخريب والنهب تتحقق بلا عائق ، دون أن يمسه أذى ، لكن هذا العمل يسقط تحت الويل .

يستخدم الله هذا المخرب كعصا تأديب لشعبه إلى حين ليعود فيدينه ، بتركه يحقق ما في قلبه من رغبة في التدمير ، لكن كما فعل يفعل به ، فيحل به الخراب وينهب في الوقت المناسب .

هنا يليق بنا أن ندرك أن كل يد تمتد للتخريب إنما يحل عملها على رأسها ، وتشرب من ذات الكأس الذي تملأه للغير .

هذا وقد أدرك المسيحيون أن الشيطان قد انهار تماما بعد الصليب فناله الخراب بعدما كان مخربا للنفوس .

(2) الألتجاء إلى الله

إذ يرى النبي الخراب الذي يحل بشعب الله المستحق التأديب ، ونهب الأعداء لهم يرفع صلاة من أجل البقية المقدسة معلنا باسمهم انتظارهم للرب ، جاء فيها :

(أ) طلب مراحم الله وخلاصه : " يارب تراءف علينا ، إياك انتظرنا . كن عضدهم في الغدوات ، خلاصنا أيضا في وقت الشدة " إش 33 : 2 .

باسم الشعب التقى رفع النبي صلاة من أجل القيادات العسكرية التي صارت في شدة وضيق بسبب سنحاريب وجيشه .

هذا العضد الإلهي هو عمل يومي مستمر في حياة الكنيسة كما في حياة كل عضو ، " لأن مراحمه لا تزول ، هي جديدة في كل صباح " مرا 3 : 22 ، 23 .

(ب) طلب التدخل الإلهي ، فإنه يكفي أن ينكلم الله فلا يحتمل الآشوريون أو غيرهم الصوت الإلهي فيهربوا . " صوت ضجيج (زئير) هربت الشعوب ، من ارتفائك تبددت الأمم " إش 33 : 3 . مجرد النطق بكلمة إلهية يرتعب الأشرار ويهربون ، مجرد ظهور الله في المعركة بدد الأمم المعادية .

ما أحوجننا أن تعلن كلمة الله فى القلب فيهرب الشر وتتبدد قوات الظلمة ، وأن يتجلى المصلوب داخلنا فتهرب الخطايا وكل الأرواح الشريرة ، ليملك الرب وحده فى أعماقنا .

(ج) تقديس المدينة لتصير مدينة الله البارة أو مدينة البر ، يسكنها الله نفسه بكونه " حقا وعدلا " إش 33 : 5 ، تمتلئ سلاما وأمانا وخلصا مع حكمة ومعرفة .

كنزها الحقيقى هو " مخافة الرب " إش 33 : 6 . هذا الخوف النابع عن الحب ، خوف جرح مشاعر الأب وليس خوف العبد من سيده ولا الأجير من صاحب البيت أو العمل .

الآن بعدما طلب النبى بأسم الشعب من الله أن يتدخل لتحطيم العدو وخلص الشعب ، يستعرض – أمام الله – ما حل بالمدينة ، ربما لى يستدر عطفه الإلهى (إش 33 : 7 – 9) :

(أ) لم يكن أمام أبطال الحرب أن يتحركوا ، إنما توقفوا عند الصراخ فى عجز وخوف (إش 33 : 7) .

(ب) بكى رسل السلام بمرارة (إش 33 : 7) إذ نكت سنحاريب العهد . فقد دفع حزقيا مبلغا كبيرا ليترك الأرض ومع ذلك أرسل جيشه لأقتحامها (2 مل 18 : 4 ، 17) .

(ج) خلت السكك (إش 33 : 8) إذ خشى الكل أن يلتقى بهم العدو فى الطريق ، فقد جاءت تقارير الرسل تعلن خطورة الموقف ، وأحاط العدو بكل المدن .

(د) دخلوا فى مذلة فصارت المدن مرذولة (إش 33 : 8) .

(هـ) حدوث جذب حتى فى أكثر المناطق خصوبة وبهجة لتصير مثل الصحراء ... عدم الأثمار والعقم يعتبران عارا ، علامة على غضب الله . من هذه المناطق شارون وباشان والكرمل .

(3) إدانة آشور

إن كان الله يتمهل على الأشرار ، لكنه إذ يمتلئ الكيل يدينهم :

(أ) الله نفسه يقود المعركة : " الآن أقوم يقول الرب ، الآن أصعد ، الآن ارتفع " إش 33 : 10 . ما يعجز الإنسان عن فعله يقوم به الرب نفسه من أجل غيرته على الضعفاء والمظلومين ...

(ب) ما يحل بهم من إدانة هو ثمر طبيعى لأعمالهم ، فإذ يحبلون قشا لا يلدون حنطة بل قشيشا (إش 33 : 11) يقدم للنار الآكلة . وإذ يتنسمون عنفا كالنار يحرقون أنفسهم (إش 33 : 11) .

(4) الملك ومملكته

إن كان الله فى عدله نارا آكلة تلتهم الشر الحامل الفساد فى داخله وتمجد المؤمنين الحاملين بر المسيح فيهم ، فإنه يدين الأشرار المصرين على شرهم ويحمى أبراره من أيديهم .

يقدم لنا النبى سمات الإنسان البار وهى :

(أ) يسلك بالحق والبر ، أى يسلك فى المسيح يسوع الطريق والحق ، وهو برنا .

(ب) يتحدث بالاستقامة (إش 33 : 15) ، كلماته تعلن عن إنجيله المخفى فى قلبه .

(ج) يحتقر مكسب المظالم .

(د) باستخفاف ينفذ يديه عن قبول الرشوة .

(هـ) يسد أذنيه عن الاستماع للخطط الدافعة إلى سفك الدماء .

(و) يغمض عينيه عن التطلع إلى الشر .

(ز) يرتفع قلبه إلى الأعلى ليسكن مع مخلصه في السمويات (إش 33 : 16) .

(ح) يلجأ دوماً إلى مسيحه كحصون صخور تحميه من الشر .

(ط) سخي في العطاء حتى من أعوازه : الخبز والماء .

مثل هذا الإنسان الذي يتقدس بالسيد المسيح ليعيش بكل أحاسيسه طاهراً ، ويرتفع بأعماقه إلى الأعلى ، ويمارس حياة الشركة مع الله والعطاء المستمر ، يستحق التمتع بروية السيد المسيح في أمجاده ، إذ قيل : " الملك ببهائه تنتظر عيناك " إش 33 : 17 . هذه هي أعظم هبة للبار أن يعاين المسيا في بهائه !

يظن البعض أن الحديث هنا عن الملك حزقيا الذي تمتع ببهاء خاص عندما تهلل في قلبه عند رؤيته هلاك جيش سنحاريب ، لكن النص واضح هنا أنه يتحدث بالأكثر عن السيد المسيح الذي تمجد على الصليب جاذباً إليه الأمم ، واهباً إياهم طبيعة جديدة ، عوض العداوة حملوا حبا وصداقة ، عوض الشراسة صاروا ودعاء ، عوض لغة الشر الغريبة صاروا ينطقون بلهجة سماوية ، إذ قيل : " أين الكاتب ؟ أين الجابي ؟ أين الذي عد الأبراج ؟ " إش 33 : 18 .

أين الكاتب الذي يعد الجيش ويسجل أسماء الجند ؟ وأين الجابي الذي يحدد الجزية التي تدفع للعدو ؟ أين الذي يعد الأبراج لكي يقيم حراساً عليها ورقباء يلاحظون العدو وينهبون إلى المعركة ؟ لقد تحولت كل هذه الطاقات من العمل للحرب والمقاومة إلى طاقات هادئة مسالمة للعمل لحساب ملكوت الله ، خلال قبولهم الإيمان بالسيد المسيح .

" الشعب الشرس لا ترى " إش 33 : 19 ، إذ نزع أعمال الإنسان القديم العنيف لنحمل سمات خالقنا بتمتعنا بالإنسان الجديد الذي يتجدد كل يوم .

" الشعب الغامض اللغة عن الإدراك ، الغبي بلسان لا يفهم " إش 33 : 19 ، نالوا لساناً جديداً هو لغة الروح ، لسان الحب والوحدة مع الفهم والحكمة .

والآن ما هو عمل الملك المسيا في حياة الأمم القادمة إليه بالإيمان به ؟

(أ) " انظر صهيون مدينة أعيادنا " إش 33 : 20 . عوض الرعب القديم من الكاتب مسجل الجيش والجابي تصير صهيون مدينة أعياد مفرحة ، يجتمع فيها الشعب ببهجة دائمة للعبادة الجماعية والالتقاء مع الله نفسه عيدنا غير المنقطع .

(ب) " خيمة لا تنتقل لا تقلع أوتادها إلى الأبد وشيء من أطنابها لا ينقطع " إش 33 : 20 ، أي ثابتة وراسخة لا يحطمها حتى الموت إذ تبقى أبدية .

(ج) محاطة بالأنهار والترع من كل اتجاه (إش 33 : 21) مما يجعلها مثمرة بالروح .

(د) لا يمكن الاقتراب إليها أو محاربتها ، إذ لا تسير في المياه المحيطة بها سفن صغيرة للتجسس عليها ولا سفن عظيمة حربية (إش 33 : 21) .

(هـ) المسيح الرب نفسه هو القاضى والمشرع والملك والمخلص (إش 33 : 22) ، قدم دستور الإنجيل وملك على الصليب وخلصنا ولا يزال يشفع فينا كفاريا بدمه الثمين .

(و) يصير عدوها كسفينة منكسرة وسط المياه لا يقدر أن يرفع العدو ساريتها ولا ينشر قلعها (إش 33 : 23) .

(ز) يهزمون العدو بقوة حتى أن العرج يستطيعون نهبه نهبا (إش 33 : 23) .

(ج) ليس فيها مريض (إش 33 : 24) .

(ط) ينال سكانها غفران الخطايا (إش 33 : 24) .

هذه هي صورة النفس التى ترتبط بالسيد المسيح : تصير صهيون مدينة الله المفرحة ، مملوءة بهجة وسلاما ، ثابتة فى الرب ، يحوط بها روح الله القدوس ليحولها إلى فردوس مثمر ، لا يقدر الشيطان أن يهزمها ولا عدو الخير أن يحطمها ، يعلن السيد المسيح مملكته فيها بكونه ملكها والقاضى والمشرع ومخلصها ، تغلب عدو الخير وتحطمه ، لا يمكن لمرض روحى أن يصيبها وأخيرا فإنها تتمتع بغفران الخطايا خلال التوبة الدائمة .

+ + +

إشعياء – الإصحاح الرابع والثلاثون

إدانة الأعداء مقاومى الحق

الأصحاحان 34 ، 35 يمثلان نبوة واحدة ، الأول يمثل الجانب السلبي حيث يدعو الله الأمم مجتمعة معا ليروا دينونة جماعية لمقاومى الحق ولمضطهذى شعب الله الممثلين فى أدوم بصفى خاصة ، لقد شمت الأذوميين لما حل بالشعب بواسطة أشور ، بل وقاموا بالسلب والنهب ، وكانوا يساعدون الأعداء ضدهم ، وإن قلت أحد أمسكوه وباعوه للعدو ، وأخيرا جاءوا بأغنامهم لترعى فى مدن يهوذا وحولها بعدما صارت خرابا ، لذلك استحقوا حلول غضب الله عليهم . أما الإصحاح التالى فيحمل الجانب الإيجابى الخاص بإقامة الشعب وتمتعه بمراحم الله .

الإصحاح الأول (34) يكف عما يحل بعدو الكنية الحق من غضب الهى ، وبالتالي عما يحل بالكنيسة نفسها من بركات .

(1) دعوة جماعية

يقدم النبى دعوة عامة إلى جميع الأمم لكى ينصت العالم ويرى ويصمت لأن الرب تكلم ، إنه يعلن دينونة الله للأمم المتمسكة بالشر لعلها تعود فترعى أحكامه بعدما أطل الله أناته عليها زمانا .

إنها أشبه بدعوة موجهة ضد العالم كله يدخل فيها الرب نفسه طرفا فى المعركة ، معلنا سخطه وحمو غضبه على كل جيوشهم (إش 34 : 2) ، فقد تعرضت بسبب الشر إلى القتل وطرح الجثث حتى تنتن ، تجرى الدماء على الجبال كمياه .

يعود النبى فيؤكد أن الله لا يعنى بنى البشر ، إنما المعركة قائمة بين الله وملائكته وإبليس وملائكته ، لذلك يقول : " ويفنى كل جند السموات " (جنود الشر فى السموات أف 6 : 12 ، رؤ 7 : 12 ، 9 : 20 ، 1 : 8) .

ماذا يعنى بقوله : " ويفنى كل جند السموات وتلتف السموات كدرج وكل جندها ينتثر كانتثار الورق من الكرمة والسقاط من التينة " إش 34 : 3 ؟

يقول العلامة أوريجانوس : [كتبت الكتب المقدسة بواسطة روح الله ، وهى لها معان ليس كما تظهر لأول وهلة بل معان أخرى لا يدركها كثيرون . فإن هذه (الكلمات) المكتوبة هى أشكال لأسرار معينة وصور للاهوتيات . لذلك يوجد رأى واحد فى كل الكنيسة أن القضية بأكملها روحية حقا وأن المعنى الروحى الذى يحويه الناموس لا يعرفه الكل وإنما يعرفه الذين وهبت لهم نعمة الروح القدس فى كلمة الحكمة والمعرفة وحدهم] .

(2) دمار آدوم

كانت العادة أن تدهن السيوف قبل المعركة بالشحوم حتى لا تحتاج إلى تنظيف بعد قتل كل شخص من الأعداء ، إذ يمنع الدهن الدماء من الالتصاق بها أما سيف الرب الرمزي فيدهن كما بالغضب السماوى : " لأنه قد روى فى السموات سيفي " إش 34 : 5 .

حل سيف الرب على آدوم أشبه بسكين كاهن تذبح القطيع العاجز عن المقاومة ، عمل فى العاصمة " بصرة " إش 34 : 6 كما فى بقية آدوم ، ليقدم ذبائح لا للمصالحة إنما ذبائح محرقة للدينونة (إش 34 : 5) ، حالة عليها اللعنة الإلهية .

هذا السيف اجتاز الكل : البقر الوحشى والعجول مع الثيران ... أى رجال الحرب العنفاء (البقر الوحشى) كما العامة ، الكبير مع الصغير ، إذ هى دينونة عامة ، لأن الجميع اشتركوا معا فى الإثم .

" تروى أرضهم من الدم ، وترابهم من الشحم يسمن " إش 34 : 7 ،

إن كان اسم " آدوم " معناه " تراب " (آدم) وأيضا " دم " ، هكذا يختلط دمهم المسفوك بترابهم . لقد عاشوا كتراب محبين للأرضيات والزمنيات فهلكوا بدمهم .

يصنع الله هذا كله من أجل صهيونه ، شعبه المحبوب ، الذى يكرهه آدوم . أخيرا يؤكد أن دمار آدوم تام (إش 34 : 9 – 15) .

" وتتحول أنهارها زفتا ، وترابها كبريتا ، وتصير أرضها زفتا مشتعلا ، ليلا ونهارا لا تنطفىء ، إلى الأبد يصعد دخانها ، من دور إلى دور تخرب ... " إش 34 : 9 ، 10 . بمعنى تتحول إلى أتون نار ، لا تحتاج إلى وقود من الخارج ، إذ تتحول أنهارها إلى قار ، وترابها إلى كبريت ، فتصير أرضها نارا متقدة لا تنطفىء نهارا ولا ليلا ، دخانها يصعد رائحة دنسة كدخان قاتم ، يبقى خرابها مستمرا عبر الأجيال .

تتحول من مسكن للبشر إلى مسكن للحيوانات والطيور الجارحة (إش 34 : 10 ، 11 ، 13 ، 14) .

عوض البناء يمد خيط الخراب ومطمار الخلاء (إش 34 : 11) .

تفقد القيادات ، ليس فيها أشراف ولا رؤساء .

عوض الثمار تنبت شوكة حتى فى قصورها ، وقريصا وعوسجا فى حصونها (إش 34 : 13) علامة هجر القصور وعدم استخدام الحصون زمانا طويلا .

" هناك تحجر النكازة وتبيض وتفرخ وتربى تحت ظلها " إش 34 : 15 .

النكازة حية من أحيث أنواع الحيات ، صغيرة الحجم لكنها سامة ، تعيش فى مناطق بأفريقيا والعربية . غير أن ما ورد هنا يناسب طائرا لا حية ، لهذا يرى بعض الدارسين أن ما ورد هنا هو وصف شعري يشير إلى سكنى الأرواح الشريرة القاتلة فى النفوس المقاومة لله .

" هناك تجتمع الشواهد ببعضها ببعض " إش 34 : 15 . وهى طيور جارحة تنثر رعبا ...

آدوم إذن تشير إلى النفس الجاحدة للإيمان والمقاومة للحق ، تسقط تحت الغضب الإلهي فتصير هي نفسها أتونا لذاتها ،
تصير مأوى للأفكار الدنسة والعواطف المنحرفة ، تلهو بها الخطايا ، وتلعب بها الشياطين .

(3) تأكيد عن تحقيق ذلك

" فتشوا في سفر الرب وأقراوا ، واحدة من هذه لا تفقد " إش 34 : 16 .

لا يقصد هنا سفر الحياة أو سفر الدينونة ، إنما يقصد النبوات التي أعلنها عن آدوم بخصوص خرابها .

يلاحظ البعض أنه نادرا ما يصدر النبي أمرا ، لكنه هنا يأمر " فتشوا ... وأقراوا " ، لأن الأمر كان في أيامه يبدو مستحيلا
وغير معقول . وقد تحققت هذه النبوة جزئيا بعد خراب أورشليم بواسطة نبوخذ نصر ... ولا تزال تتحقق في كل يوم
بالنسبة لمقاومي الحق ، حتى تتم بالكمال في مجيء الرب الأخير حيث يهلك إبليس وكل جنوده .

+ + +

إشعياء – الإصحاح الخامس والثلاثون

بركات مملكة المسيح

يعتبر هذا الإصحاح تنمة للأصحاح السابق ، فإن كان الله يدين الأمم المقاومة له في حياة مؤمنيه ، إنما يفعل ذلك لأجل
بنيان شعبه ونموهم وتمجيدهم ، الأمر الذي يتحقق بمجيء المسيح مخلص العالم ، الذي بالصليب حطم قوات الظلمة وفتح
باب بركاته الإلهية أمام الراجعين إليه مهما بلغ ضعفهم .

(1) تحويل البرية إلى فردوس

يرى بعض الدارسين أن ما ورد هنا إنما يخص حال بني إسرائيل بعد عودتهم من السبي البابلي ، غير أن الكثيرين يرون
في ذلك وصفا لحال كنيسة العهد الجديد المتمتعة بالسيد المسيح رأسا لها ، يسكب مجده وبهاءه فيها . هذا هو رأى أغلب
الدارسين من الأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت وإن كان أتباع الملك الألفي يحسبون هذا الإصحاح نبوة عنه لم تتحقق
بعد .

يستطيع المؤمن الحقيقي الذي يختبر الحياة الجديدة في المسيح يسوع أن يختبر مجد الكنيسة معلنا في حياته الداخلية وهو :

(أ) تحويل البرية والأرض اليابسة إلى جنة مثمرة ، فبدخول الرب إلى القلب وحلول الروح القدس فيه ينتزع العقم
الداخلي وتغرس جنة الرب المثمرة التي تفرح قلب الله (إش 35 : 1 ، 2) .

+ واضح أنه لا يتحدث هنا عن أماكن خارج النفس والحواس ، بل يعلن عن أخبار سارة مفرحة خاصة بالنفس الظمآنة .
غير المزينة خلال رمز البرية .

(ب) لعل أهم سمات كنيسة العهد الجديد هو " فرح الرب " ، إذ تحيا نتلهلة مبهجة داخليا من أجل عمل الله فيها .

" تفرح البرية والأرض اليابسة وبيتهج القفر ويزهر كالنرجس ، يزهر أزهارا وبيتهج ابتهاجا ويرنم " إش 35 : 1 ، 2 .
فرح وبهجة وترنم !

+ من نظر في ذاته إلى ربنا ، وامتزجت نفسه بنوره ، فليملأ قلبه بالفرح .

(ج) يتجلى مجد الرب وبهاؤه في القلب كعربون للمجد الأبدى السماوى ، " يدفع إليه مجد لبنان ... هم يرون مجد الرب
بهاء إلها " إش 35 : 2 .

يتحدث القديس مقاريوس الكبير عن هذا المجد الخفى الذى يملأ حياة المؤمن ليعلن فى يوم الرب العظيم ، قائلا :

" بتجديد العقل (رو 12 : 3)

وسلام الأفكار (فى 4 : 7)

ومحبة الرب السماوية (أف 3 : 19)

تتميز خلقة المسيحيين الجديدة (2 كو 5 : 17) عن باقى البشر "

(د) يصير الإنسان سندا لإخوته الضعفاء ، " شددوا الأيادى المسترخية والركب المرتعشة ثبتوها ، قولوا لخائفى القلوب تشددوا لا تخافوا ، هوذا إلهكم ، الانتقام يأتى ، جزاء الله ، هو يأتى ويخلصكم " إش 35 : 3 ، 4 .

+ من أقوال القديس يوحنا الذهبى الفم :

إن كانت الحياة مع الله تمثل علاقة شخصية خفية بين الله والمؤمن لكنها ليس فى فردية منعزلة ، إنما هى خلال حياة الشركة بين الله وكنيسته الواحدة ، كل عضو يسند أخاه فى الرب لكى يتشدد الكل معا كعروس واحدة .

كل مساندة من جانبك لأخيك إنما هى مساندة لك أنت شخصيا لأنه يمثل يدك وركبك .

(2) إشباع احتياجات المؤمنين

(أ) إذ يقول : " هو يأتى ويخلصكم ، حينئذ " إش 35 : 4 ، 5 ، أى عندما يأتى الرب المسيح المخلص تتحقق أمور فائقة ، معجزات وآيات باهرة :

" حينئذ تتفتح عيون العمى ، وأذان الصم تتفتح ، حينئذ يقفز الأعرج ، كالإيل ، ويترنم لسان الأخرس ، لأنه قد انفجرت فى البرية مياة وأنهار فى القفر " إش 35 : 5 ، 6 .

يحاول المنادون بالملك الألفى أن ينسبوا ذلك للملك الألفى ، مع أن السيد المسيح نفسه استخدم هذا النص عندما أجاب تلميذى يوحنا المعمدان مؤكدا أنه هو المسيا المنتظر (مت 11 : 4 - 6) .

الله الذى خلق كل شيء حسنا جاء بنفسه إلى العالم ليجدد خليقته مصلحا ما قد فسد ، ولكى يرد للإنسان سلامه وصحته وبهجته . يفتح بصيرته الداخلية لمعاينة الأسرار الإلهية ، والأذان لكى تستعذب الصوت الإلهى وتستجيب لوصاياه ، ويهب الأعرج قدرة للسير فى الطريق السماوى ، وينطق الأخرس بتسابيح داخلية ... هذا كله بفعل الروح القدس (المياة والأنهار) الذى أرسله السيد المسيح من عند الأب .

(ب) " ويصير السراب أجما ، والمعطشة ينابيع ماء . فى مسكن الذئاب فى مريضها دار للقصب والبردى " إش 35 : 7 .

يعنى بهذا أنه عوض الجفاف يصير فيض ماء ، إذ تصير الأرض الجافة (السراب) بركة ماء والأرض الظمآنة ينابيع مياة متفجرة ، فى مسكن الذئاب حيث القفر يوجد ماء فتنبت الحشائش ويظهر البردى الذى لا يوجد إلا فى الأماكن التى بها وفرة ماء .

(ج) " وتكون هناك سكة وطريق يقال لها الطريق المقدسة ، لا يعبر فيها نجس ، بل هى لهم ، من سلك فى الطريق حتى الجهال لا يضل ، لا يكون هناك أسد بل يسلك المفديون فيها " إش 35 : 8 ، 9 .

ما هو هذا الطريق إلا السيد المسيح نفسه الذى يقدم نفسه لمؤمنيه طريقا آمنا لا يعبر فيه نجس ، بل يكون الكل فيه قديسين ، حتى الجهال ينالون فهما وحكمة فلا يضلون ، ولا يستطيع عدو الخير (الأسد المفترس) أن يقترب إلى السالكين فيه .

" أنا هو الطريق والحق والحياة "

(3) مملكة فرح وبهجة

تمسح كل شعوب الأمم القادمة إليه بدهن الفرح ، فتصير أمة مقدسة متوجة بإكاليل البهجة النابعة عن النصر . لا يستطيع الحزن والتنهيد أن يجدا لهما موضعا فى قلوبهم بل من الخارج فقط .

هذه هى مسحة كنيسة العهد الجديد بكونها أيقونة السماء المتهللة بالرب .

لذا قيل : " ومغديو الرب يرجعون ويأتون إلى صهيون بترنم وفرح أبدي على رؤوسهم ، ابتهاج وفرح يدركانهم . ويهرب الحزن والتنهيد " إش 35 : 10 .

+ من أقوال القديس يوحنا الذهبي الفم :

توجد بالحقيقة راحة حيث لا يوجد ألم أو حزن أو تنهد ، حيث لا توجد ارتباكات أو متاعب أو صراعات أو خوف من ذهول النفس واضطرابها ، وإنما توجد مخافة الله المملوءة بهجة .

+ + +

الباب الثانى

القدوس

واهب الغلبة

(إش 36 – 39)

القدوس واهب الغلبة

فى الإصحاحات السابقة كشف النبى عما وصل إليه كل بشر ، وما بلغت إليه كل الأمم ، الآن يعلن أن الإنسان الساقط الذى تحطمه الخطية ويهدده اليمكن أن يعيش غالبا ومنتصرا بالله القدوس ، يغلب الأعداء ، كما يهزم الموت ، إن نال نصرة داخلية فى أعماقه .

يقدم لنا النبى معاملات الله مع الملك حزقيا كنموذج حى للتمتع بالله القدوس واهب الغلبة ، كما يقدمه نموذجا واقعا لمن يفقد غلبته ونصرته الأعداء إن تجاهل شركته بالقدوس .

لقد جاءت الأحداث الواردة هنا (إش 36 – 39) فى 2 مل 18 : 13 – 20 ، 19 ، 2 أى 32 ، وقد حاول بعض الدارسين البحث فى أيهما اعتمد على الآخر : إشعياء النبى (أو كاتبه) أم كاتب سفر ملوك الثانى وأخبار الأيام الثانى ؟ لكن كما يقول بعض المفسرين إننا نؤمن بوحى الروح القدس الذى يستطيع أن يهب ذات الأمر لأشخاص متعددين دون أن يعتمد الواحد على كتابات الآخر .

+ + +

أرسل سنحاريب ملك آشور ريشاقي ليثير الشعب ضد حزقيا ملك يهوذا ، مطالبا إياهم ألا يتكلوا على فرعون ولا يندعوا بكلمات ملكهم المتكل على إلهه بل يعتقدوا معه صلحا حتى لا يخرب بلادهم ، وأن يقبلوا الذهاب إلى أرض السبي برضا .

[راجع 2 أى 32 ، 2 مل 18 : 13 - 20 ، 19] .

(1) سنحاريب يستولى على مدن يهوذا :

" وكان في السنة الرابعة عشرة للملك حزقيا أن سنحاريب ملك آشور صعد على كل مدن يهوذا الحصينة وأخذها " إش 36 : 1 :

ورد غزو سنحاريب على يهوذا هنا في [إش 36 وأيضا في 2 مل 18 : 13 - 20] وبمقارنة النصين يلاحظ الآتي :

(أ) جاء في 2 مل 18 أن حزقيا أرسل إلى ملك آشور يعتذر له ويقول : " قد أخطأت ، ارجع عني ومهما جعلت على حملته " ، وبالفعل فرض عليه جزية ثلاث مئة وزنة من الفضة وثلاثين وزنة من الذهب دفعها حزقيا من بيت الرب ومن خزائن بيت الملك .. لكن سنحاريب خان العهد وعاد يرسل جيشا ليقحم أورشليم .

لم يذكر إشعيا النبي أمر الجزية ، لأنه لم يهدف إلى تأريخ حياة حزقيا ، إنما أراد إبراز معاملات الله معه لتأكيد إمكانية الله للخلاص عندما يبدو الأمر مستحيلا .

(ب) يرى بعض الدارسين أن سنحاريب قام بحملتين للغزو على يهوذا ، الأولى سنة 701 ق . م . والأخرى سنة 688 ق . م . أيام ترهاقة ملك مصر وكوش (إش 37 : 9) .

(ج) جاء في 2 مل 18 : 17 أن سنحاريب أرسل مع ريشاقي قائدين هما ترتان وريساريس ، كانت الإرسالية تضم ثلاثة قواد وكان ريشاقي هو المتكلم الوحيد بينهم .

يرى البعض أن ريشاقي ليس اسما لشخص إنما هو لقب يعادل " رئيس السقاة " يتذوق الخمر قبل أن يشرب منه الملك حتى لا يتعرض للتسمم .

+ + لقد سمح الله بهذا الضيق في أيام حزقيا الذي قام بإصلاحات كثيرة وسط الشعب وإن كان كثيرون - خاصة من القادة الدينيين والمدنيين - اهتموا بالإصلاح الخارجى دون الداخلى ، وقد أراد الله أن يزكى حزقيا ويحول الضيق إلى تمجيده .

(2) إرساله ريشاقي إلى أورشليم

أرسل سنحاريب ريشاقي من لاخلش ، وهى مدينة محصنة فى سهول يهوذا (يش 15 : 33 ، 39) .

وقف ريشاقي ومعه جيش عظيم عند قناة البركة العليا فى طريق حقل القصار (إش 36 : 2) ، أى حقل مبيض الثياب ، خارج أورشليم وقريب منها جدا حيث كان الذين على سور المدينة يسمعون من يتكلم فى حقل القصار .

خرج إليه ألياقيم شبنا المتولى على بيت الملك (إش 22 : 15 - 20) أشبه برئيس الوزارة ، وشبنا الكاتب الذى يسجل للملك أهم الأحداث للتذكرة ويقوم بدور المؤرخ لحياة الملك ، وأيضا يواخ المسجل .

سخر ريشاقي بحزقيا الملك أمام عظمائه إذ دعى سنحاريب " الملك العظيم ملك آشور " بينما لم يعط لقباً لحزقيا (إش 36 : 4) . هزأ به لأنه اتكل على فرعون مصر قائلا :

" انك قد اتكلت على عكاز هذه القصبة المروضة ، على مصر ، التي إذا اتكأ أحد عليها دخلت في كفه وثقيته " (إش 36 : 6) .

وقد صدق في هذا أن من يتكل على ذراع بشر إنما يتكئ على قصبة مروضة لا تقدر أن تسنده بل وتثقب يده . كما سخر به لأنه اتكل على الله إلهه ، قائلا :

" أفليس هو الذي أزال حزقيا مرتفعاته ومذابحه ، وقال ليهوذا وأورشليم : أمام هذا المذبح تسجدون ؟! ... " لا يجعلكم حزقيا تتكلون على الرب قائلا : انقادا ينقذنا الرب ، لا تدفع هذه المدينة إلى يد ملك آشور .. هل أنقذ آلهة الأمم كل واحد أرضه من يد ملك آشور ؟! ... من من كل آلهة هذه الأراضي أنقذ أرضهم من يدي حتى ينقذ الرب أورشليم من يدي ؟! " . (إش 36 : 7 ، 15 ، 20) .

في ذات الموقع الذي فيه سخر آحاز بالرب رافضا التعامل مع الله متكلا على الذراع البشري (إش 7) ، صار ريشاقي يسخر بالله ، وكأن بني يهوذا صاروا يشربون من الكأس التي قدمها لهم آحاز ملكهم من قبل ! في ذات الموقع الذي جاء فيه إشعياء إلى آحاز يسأله أن يطلب آية من الرب لتأكيد إمكانية الله للخلاص فيرفض جاءه ريشاقي يسخر بيهوذا وملكهم وإلههم !

لقد اتكل حزقيا أيضا على معاهدات بشرية مع فرعون ، وبخه الله عليها على لسان رجل وثني ، إذ دعاها كلام شفتين ، مشورة كلامية (إش 36 : 5) . لا قوة لها ولا فاعلية . الآن يراه أنه مستعد أن يقدم له ألفين فرس إن جاء بألفين فارس من شعبه قادرين على استخدامها . وكأنه يقول له : لماذا تتكل على خيل مصر وفرسانها ، ها نحن نقدم لك الخيل قدم لنا رجالك ؟!

(3) ريشاقي يثير الشعب
إذ استخدم ريشاقي حرب الأعصاب لإثارة الشعب ضد الملك ورجاله ، ودفعهم إلى اليأس وتحطيم إيمانهم بالله المخلص ، طلب رجال حزقيا من ريشاقي أن يتحدث بالآرامية - السريانية - ويفهمها الآشوريون إذ تنتمي إلى ذات عائلة لغاتهم ، وهي لغة لا يفهمها عامة الشعب اليهودي ، لكن ريشاقي أصر على الحديث بالعبرية ، لإثارة الشعب وإحداث نوع من الإنشقاق ، لعله يستطيع أن يشعل حربا أهلية وسط الشعب والقيادات .

هذا هو عمل عدو الخير ، يستخدم اللغة التي تثير ضعفنا ، والتي تسبب انشقاقا وانقسامات .

أراد ريشاقي أن يثير الشعب فذكرهم بما سيحل بهم من دمار عوض تمتعهم بالخيرات في آشور لإظهار أن حزقيا يخدعهم وأن غلهم لن ينقذهم . أنه يستخدم ذات الأسلوب الذي يستخدمه عدو الخير عبر كل الأجيال ، إذ نرى حاليا اتباع " كنيسة الشيطان " في أمريكا ينادون بأنهم يعبدونه لأنه يستجيب لهم ويهبهم طلباتهم التي لا يقدمها لهم الله .

عمل عدو الخير الرئيسي هو إثارة الرعب في حياة الإنسان وتشكيكه في قوة الإيمان . فمن جانب يحطم نفسيتهم بالإرهاب والرعب ، ومن الجانب الآخر يريد أن يعزلهم عن الله ملكهم ومخلصهم ليستفرد بهم . لذلك يصرخ داود النبي قائلا : " كثيرون يقولون لنفسى ليس له خلاص بإلهه " مز 3 : 2 .

" فسكتوا ولم يجيبوا بكلمة لأن أمر الملك كان قائلا لا تجيبوه " (إش 36 : 21) (مل 18 : 36) . كان من المتوقع أن يعلنوا عن ثورتهم وعصيانهم على الملك ، لكنهم صمتوا علامة الطاعة والثقة منتظرين أمر الملك وتعليماته .

اطاعوا الملك لئلا يسقطوا في الضعف كما سقطت حواء بحوارها مع الحية القديمة ..

يقول القديس يوحنا الذهبي الفم :

[كان يجب على حواء أن تصمت ، كان يلزمها ألا تبادلها الحديث ، ولكن في غياب كشفت قول السيد ، وبذلك قدمت للشيطان فرصة عظيمة ... أنظروا أى شر هذا أن نسلم أنفسنا في أيدي أعدائنا والمتأمرين علينا] .

(4) عودة المسؤولين إلى حزقيا
جاء الرجال إلى حزقيا وثيابهم ممزقة فأخبروه بكلام ريشاقي (إش 36 : 22) جاءوا في حزن ومرارة إلى الملك .
لبيتنا نحن أيضا إذ نشعر بالمرارة لا نشق ثيابنا بل نمزق قلوبنا بالتوبة ملتجئين إلى المسيح الملك القادر وحده أن يهبنا المشورة الصالحة والعامل فينا بروحه القدوس .

+ + +

إشعياء – الإصحاح السابع والثلاثون

إلتجاء حزقيا إلى الرب

إذ سمع حزقيا الملك تعبيرات سنحاريب وجد في الرب وحده ملجأ له ، مزق ثيابه ولبس المسوح ودخل بيت الرب وبعث رسلا إلى أشعياء النبي يطلب الصلاة من أجله ومن أجل تمجيد اسم الرب . تدخل الله في المعركة بذراعه الرفيعة ، فضرب ملاك الرب جيش آشور ومات 185 ألفا ، كما مات سنحاريب وابنه شرأصر ليملك ابنه أسرحدون .

(1) التّجاء حزقيا إلى الله وإلى نبيه :

اختلفت الآراء حول تقدير سلوك حزقيا ، فالبعض رأى فيه الإنسان الورع التقى والمتواضع لذا اغتصب مراحم الله وإن كان فيما بعد سقط في الكبرياء فهلك ، ويرى البعض أن ما فعله حزقيا ليس عن تقوى ولا عن إيمان لأنه بعد قليل قدم خزائن الهيكل لسنحاريب (2 مل 18 : 14 – 16) وقال له : " أخطأت " . هذا وقد لحق الملك رعبا وخوفا ، وعند حديثه كرر العبارة " الرب إلهك " إش 37 : 4 ، وليس " الرب إلهنا " أو " الهي "

نعود إلى الملك لنراه عند سماعه كلمات ريشاقي " مزق ثيابه وتغطى بمسح ودخل بيت الرب " إش 37 : 1 . كان ذلك علامة حزنه مع انتصاعه أمام الله .

أرسل حزقيا الياقيم وشبنا وشيوخ الكهنة متغطيين بمسوح إلى أشعياء النبي (إش 37 : 2) . لقد تغير الحال ، فبعد أن كانت القيادات المدنية والدينية تسخر بأشعياء حين كان يسير حافيا وعريانا منذرا إياهم أن فرعون ورجاله لن يستطيعوا إنقاذهم (إش 21) ، الآن ها هم يأتون إليه لابسين المسوح في مرارة يعلنون حاجتهم إلى صلواته ومشورته . أدركوا أنه " يوم شدة وتأديب وإهانة " إش 37 : 3 ، فليكن يوم توبة وصلاة .

شعروا " أن الأجنة دنت إلى المولد ولا قوة على الولادة " إش 37 : 3 ، من يستطيع أن يعين إلا الله خلال الصلاة ؟! لا يقدر فرعون بكل إمكانياته أن يهب المرأة الحامل قدرة على الولادة حتى متى حان وقت الطلق ... الصلاة هي " المولدة " للرحمة التي تحقق الولادة .

(2) إشعياء يطمئن حزقيا

سخر إشعياء بملك آشور ورجاله ، إذ حسب رجال حربه وقواده غلمانا ، ليس لهم فهم ولا قدرة ، فلا يليق بحزقيا أن يخافهم (إش 37 : 6) . أما قوله : " هانذا أجعل فيه روحا " إش 37 : 7 ، فيعني أن الله يتركه لروح الشر الذي قبله بمحض اختياره ، يسلمه له ، فيمارس شره الذي يرتد عليه .

(3) ملك آشور يعير الرب

رجع ريشاقي إلى سنحاريب ليخبره قد ترك لخيش وذهب إلى لبنة ليحاربها .

سمع الملك أن ترهاقة ملك مصر وكوش (إش 37 : 9) قد خرج ليحاربه فأرسل إلى حزقيا مرة أخرى يهدده طالبا خضوع أورشليم واستسلامها له ، مجدفا على الله الذى يتكل عليه .

ربما أراد الأستيلاء على أورشليم لتكون سندا له لأنه كان محاطا بأمم معادية وقد خشى من ترهاقة ملك مصر وكوش القوى .

معركتنا الروحية فى حقيقتها معركة بين الله وإبليس ، نحن ليس طرفا فيها ، ولا نقدر أن نكون طرفا . إن اختفينا فى الله نلنا النصر به وفيه ..

(4) صلاة حزقيا

أخذ حزقيا رسالة سنحاريب المكتوبة من يد الرسل وقرأها ثم صعد إلى بيت الرب ونشرها أمام الرب ثم صلى (إش 37 : 14 ، 15) .

إن كان سنحاريب حسب أنه لا يحمل عداوة شخصية مع حزقيا إنما هى معركة بين الآلهة ، فقد انطلق حزقيا إلى إلهه يعرض عليه الأمر فى بيته المقدس .

ولعل من أجمل سمات حزقيا أنه رجل صلاة ، ففى خمس مناسبات نسمع عنه أنه يتمتع بقوة خلال الصلاة .

يلاحظ فى صلاته الآتى :

(أ) انفتاح قلبه فى الصلاة مع خشوعه واتضاعه ... لم يبرر نفسه فى شىء بل اختفى تماما عارضا فى صراحة كاملة الأمر بين يدي الله .

(ب) يدعو الله " رب الجنود " ، بكونه قائد المعركة القدير ، جنوده علويون قادرون على النصر والغلبة ضد العدو .

(ج) دعوة الله بالجالس على الكاروبيم ، إذ هو غير محتاج إلى عرش زمنى ، بل عرشه سماوى .. لذا ففى عمله لا يطلب ما لذاته إنما لبنيان شعبه ومؤمنيه .

(د) دعوة الله " إله كل ممالك الأرض " وليس إله إسرائيل ، فى يده كل الأمم ، يحرك العالم كله بإرادته المقدسة .

(هـ) حقا لقد غلب سنحاريب الأمم المجاورة وألقى بالهتها فى النار لتحترق وتبيد ... لكنه ماذا يقدر أن يفعل بالخالق ؟!

(و) قدم ختاماً رائعاً للصلاة : " والآن أيها الرب إلهنا خلصنا من يده فتعلم ممالك الأرض كلها أنك أنت الرب وحدك " إش 37 : 20 .

كأن ما تقدمه لنا من نصره إنما هو شهادة فى العالم على صدق إيماننا بك وأنت أنت الإله وحدك ولا آخر غيرك .

(5) إشعياء يعود فيطمئن حزقيا

صلى حزقيا إلى الله فجاءت الإجابة سريعة عن طريق إشعياء النبى ، مضمونها الآتى :

(أ) ان كان سنحاريب قد جدف على الله وسخر به ، فقد وجه الرب حديثه إلى سنحاريب يسخر به قائلا : " احتقرتك ، استهزأت بك إبنة صهيون ، نحوك انغضت إبنة أورشليم رأسها ... " إش 37 : 22 إلخ

وكانه يقول له : إن كنت قد هجت على كحيوان مفترس فإننى أعرف أن اضبطك وأسخر بك خلال العذراء إبنة صهيون إبنة أورشليم .. أو كأنه يقول له : أنت تأتئينى بجيشك الضخم وأنا احطمك بفتاة عذراء تحتقرك . أنت تفخر بكثرة مركباتك ، إذ صعدت إلى الجبال العالية وقطعت أرز لبنان وسروه وتعمقت إلى وعر الكرم ولم تدرك قدرتى ، فإننى إذ أحفر فى

الجبـال بيدي أبـعث ماء للشرب وإذ أطأ الأنهار بقدمي أجفـفها ، في يدي مفاتيـح الطـبيعة .. أذكر ما فعلته بفرعون أيام موسى النبي (إش 37 : 24 – 26) . أذكر ما فعلته بالأمم حين وهبت أرض الموعد لشعبي ! تعلم من التاريخ خلال وقائع عملية حتى لا تتحطم !

(ب) أعطى الله لحزقيا علامة مجيدة لينزع عنه الرعب من المصاعب التي تحل عليه بسبب غزو سنحاريب (إش 37 : 30 – 32) . إن كان العدو قد استولى على الحصاد حتى لم تبق بذار للزرع الأمر الذي يقود إلى حدوث مجاعة أو على الأقل إلى عجز في الطعام ، فإن الزرع يخرج في تلك السنة دون حاجة إلى بذار (ربما من البواقي التي سقطت عفوا) ، وهكذا في السنة التالية ، وأما في السنة الثالثة حيث يسترد الشعب طاقته فتعود الحياة طبيعية .

كان الله يعمل معهم عجباً ماداموا عاجزين وإمكاناتهم معدمة ، حتى متى صاروا في وضعهم الطبيعي يعمل بهم خلال الحياة الطبيعية وخلال قوانين الطبيعة .

كانت هذه العلامة رمزا للبقية الناجية من يهوذا ، فإن نجاتهم هي عطية من الله بالرغم من مقاومة الأعداء وعنفهم ، إذ يقول : " يتأصلون إلى أسفل ويصنعون ثمرا إلى ما فوق " إش 37 : 31 .

كأن العدو قد أستأصلهم تماما ، فصاروا كمن هم بلا جذور ، لكن الله يقيمهم ويهبهم ثمرا كما فعل بالزرع في السنتين الأولى والثانية من غزو سنحاريب ... " غير رب الجنود تصنع هذا " إش 37 : 32 .

أى أن هذا الخلاص لا يتحقق عن استحقاق بشري إنما عن حب الله لشعبه وغيرته عليه بكونه العريس السماوى الغيور على عروسه لتصير مقدسة له لا يغتصبها آخر .

" هكذا قال رب الجنود : غرت على أورشليم وعلى صهيون غيرة عظيمة " زك 1 : 14

" لأن الرب اسمه غيور ، إله غيور هو " خر 34 : 14 .

خلال هذه العلامة يعلن الله بركات نحو شعبه ، وهي :

أولا : خلاص الشعب من الدينونة فلا يحل بهم القحط بل يتمتعون بثمر وفير (إش 37 : 30) .

ثانيا : تزرع البقية من جديد في أورشليم (إش 37 : 32) إشارة إلى تجديد الطبيعة البشرية ورعاية الله لكنيسته .

ثالثا : يصنعون ثمرا إلى فوق (إش 37 : 31) ، أى يحملون طبيعة سماوية علوية .

رابعا : انتشار الكرازة من أورشليم (إش 37 : 32) .

خامسا : سر هذا العمل الخلاصى هو نار محبة الله وغيرته المتقدمة (إش 37 : 32) .

(ج) تأكيد الله أن سنحاريب لن يدخل أورشليم (إش 37 : 33 – 35) ، لن يصوب نحوها سهما واحدا ولا يتقدم عليها بترس ، ولا يقيم عليها مترسة .. إنما يعود في خزي من حيث جاء . هكذا يستخدم الله – فى محبته لأولاده – كل وسيلة لينزع عنهم القلق ، مؤكدا لهم حمايته ورعايته ومحبته العملية نحوهم .

(د) سر حمايته لشعبه ليس برهم الذاتى وإنما غيرته على مجده وعهوده مع أولاده المحبوبين مثل داود . فإنه ليس من أجل يهوذا ولا من أجل صلوات حزقيا المثيرة يتدخل الله وإنما كما قال : " وأحمى عن هذه المدينة لأخلصها من أجل نفسى ومن أجل داود عبدي " إش 37 : 35 .

لقد مات داود لكن حياته مستمرة خلال صلواته المروعة التى من أجلها يحامى الله عن مدينة أورشليم .

(7) ضرب جيش آشور
" فخرج ملاك الرب وضرب من جيش آشور مئة وخمسة وثمانين ألفا فلما بكروا صباحا إذ هم جميعا جثث ميتة " إش 37 : 36 .

غالبا ما يقصد بملاك الرب كلمة الله قبل التجسد ، وقد تحقق ذلك في ذات الليلة التي تلت حديث النبي إشعياء مع حزقيا (2 مل 19 : 35) .

(8) موت سنحاريب وابنه شرأصر
قتل سنحاريب وابنه وهو ساجد في بيت نسروخ إلهه ، الذي كان يظن أنه قادر على حمايته وأنه سر غلبته على كل الأمم وألهتهم .

+ + +

إشعياء – الإصحاح الثامن والثلاثون

مرض حزقيا وشفأؤه

يقدم لنا إشعياء النبي قصة مرض حزقيا حتى الموت وشفأؤه بعدما عرض قصة خلاص أورشليم من حصار سنحاريب ، ربما لأنه أراد تأكيد أن الله يهتم بكل عضو في الجماعة (حزقيا) كما يهتم بالجماعة ككل (خلاص أورشليم) .

يرعى كنيسته المقدسة بكونها جسده الواحد ولا يتجاهل عضوا واحدا في الجماعة .

(1) أوصى بيتك لأنك تموت :

" في تلك الأيام مرض حزقيا للموت " إش 38 : 1 . واضح من هذه العبارة ومن عدد 6 أن مرض حزقيا كان في أيام غزو سنحاريب . يرى بعض الدارسين أنه بسبب وباء حل في المدينة بسبب الحصار ، ويرى آخرون أنه انهيار نفسي وجسدي بسبب ما حل ببلده .

جاء إليه إشعياء ينتزع عنه كل رجاء في البقاء في هذا العالم ، قائلا له "أوصى بيتك لأنك تموت ولا تعيش " (إش 38 : 1) كان خبر موته صدمة له ، ربما لشعوره بالترامه نحو الآخرين لخدمتهم ، أو كرجال العهد القديم يخافون الموت لأرتباطه في ذهنهم بالخطية وغضب الله ، أو ربما كان يتوقع أن يرى في أيامه مسيح الرب ، آدم الثاني ، ممثلا البشرية كما جاء في مزموره (إش 38 : 11) .

أو لعل السبب الرئيسي أنه لم يكن بعد قد ولد منسى (2 مل 21 : 1) ، فلم يوجد من يخلفه على العرش ، الأمر الذي أربكه ، إذ كيف يتحقق الوعد لبني داود أنه يبقى إلى الأبد .

في هذا يضعف حزقيا جدا على خلاف إبراهيم الذي قدم ابنه ذبيحة دون خوف واثقا أن وعد الله يتحقق حتما ، مؤمنا بالله القادر أن يقيمه من الأموات . لقد انجب حزقيا بعد ذلك " منسى " محب عبادة الأوثان الذي أثار غضب الله على يهوذا (2 مل 23 : 26) .

على أى الأحوال كان حزقيا رجل صلاة ، لم يفقد الخبر رجاءه في الرب ، عرف كيف يصلى ويصارع . لقد وجه وجهه إلى الحائط ، ربما متجها نحو الهيكل كعادة اليهود ، ليصلى إلى الرب قائلا : " أه يارب أذكر كيف سرت أمامك بالأمانة وبقلب سليم (كامل) وفعلت الحسن في عينيك " إش 38 : 3 .

تطلع حزقيا إلى حياته بكونها رحلة خلالها سار مع الله (تك 5 : 24 ، 1 مل 9 : 4) بإخلاص لا في كمال مطلق وإنما هادفا نحو الكمال (مت 5 : 45) بفكر واحد غير متردد ولا منحرف .

لقد بكى حزقيا بكاء عظيما (إش 38 : 3) .

صدر الأمر الإلهي إلى إشعياء أن يذهب إلى الملك ليخبره : " هكذا يقول الرب إله داود أبيك ، قد سمعت صلاتك ، قد رأيت دموعك . هاأنذا أضيف إلى أيامك خمس عشرة سنة " (إش 38 : 5) .

جاءت الإجابة سريعة جدا (2 مل : 2 : 4) ، ربما تحدث الله مع إشعياء فما لفم قبل خروجه من القصر الملكي بينما كان يعطى نصائح روحية لرجال القصر لتهيئة الجو بعد موت الملك .

سمع الله لصلاة حزقيا ، وتطلع إلى دموعه ، وتذكر وعده مع أبيه ، إذ يذكر الله عهده مع الأب لدى ابنائه (خر 20 : 5 ، مز 89 : 28 ، 29) . أعطاه سؤل قلبه ، ما نطق به بلسانه وما تحدث به بقلبه : وهبه طول العمر ، وخلصا من ملك آشور ، وحماية عن مدينته أو عاصمة ملكه أورشليم .

أعطاه الرب علامة كطلبه (إش 38 : 22) ، فقد اختلف حزقيا عن أبيه الشرير الذي رفض أن يطلب علامة من الله (إش 7 : 10) .

جاءت العلامة الإلهية لتأكيد تحقيق الوعد الإلهي هكذا : رجوع الشمس عشر درجات (إش 38 : 8) . يرى البعض أنها مجرد تراجع للظل على الدرجات التي تقود إلى " بلكونة " في القصر أو تقود إلى العلية . ويرى البعض أنها كسوف للشمس حدث في 11 يناير 689 ق . م .

الشمس هي المقياس الصادق للزمن ، وهي في يد الله محرك التاريخ والأحداث والزمن نفسه ، استخدمها علامة في أيام يشوع (يش 10 : 12) ، وأيضا في أيام حزقيا ، وعند صلب رب المجد ، وقبل مجيئه الأخير حيث تظلم الشمس ..

الله أب كل الأنوار يحرك الشمس ويوجهها لأجل بنياننا .

ربما يتساءل البعض : هل غير الله رأيه بإطالة عمر حزقيا ؟

ما يشغل ذهننا ليس البحث في هل الله كان قد سبق فحدد عمر حزقيا ثم تراجع عنه بإضافة 15 عاما إليه ، وإنما إدراك قوة الصلاة في حياتنا ، فقد وهبته حياة بعدما كان يجب أن يموت حسب قوانين الطبيعة . الصلاة بكونها التصاق بالله واهب الحياة قادرة على كل شيء ، وغالبة للموت ، موت الخطية .

من أقوال مار أفرام السرياني :

+ طوبى للإنسان الذي يقبل أن يكون صديقا حميما للإيمان والصلاة ، فإنه يعيش في فكر واحد ..

+ الصلاة التي ترتفع في قلب إنسان تفتح لنا باب السماء .

+ تقيم الصلاة سلاما مع غضب الله ...

(3) مزمور شكر :

[كتابة لحزقيا ملك يهوذا إذ مرض وشفي من مرضه . انا قلت في عزّ أيامي اذهب الى ابواب الهاوية قد اعدمت بقية سني . قلت لا ارى الرب . الرب في ارض الاحياء . لا انظر انسانا بعد مع سكان الفانية . مسكني قد انتقل وانتقل عني كخيمة الراعي . لففت كالحائك حياتي . من النول يقطعني . النهار والليل تفنيني . صرخت الى الصباح كالاسد هكذا يهشم جميع عظامي . النهار والليل تفنيني . كسنونة مزقزة هكذا اصيح . اهدر كحمامة قد ضعفت عينايا ناظرة الى العلاء يا رب قد تضايقت كن لي ضامنا . بماذا اتكلم فانه قال لي وهو قد فعل . اتمشى متمهلا كل سني من اجل مرارة نفسي . ايها السيد بهذه يحيون وبها كل حياة روعي فتشفيني وتحييني . هوذا للسلامة قد تحولت لي المرارة وانت تعلقت بنفسي من وهدة الهلاك فانك طرحت وراء ظهرك كل خطاياي . لان الهاوية لا تحمدك . الموت لا يسبحك . لا يرجو الهابطون الى الجب

امانتك. الحي الحي هو يحمذك كما انا اليوم. الاب يعرف البنين حقك. الرب لخلصي. فنعزف بأوتارنا كل ايام حياتنا في بيت الرب]

- (أ) كثيرا ما نذكر الله في وقت الضيق والشدة لكننا ننساة وقت الفرج والبهجة ، أما حزقيا فقد أظهر أنه رجل صلاة ودموع وسط الآلام ورجل تسبيح عند الفرج يعرف كيف يشكر الله على إحساناته .
- (ب) للأسف قدم تسبحة شكر دون حياة شكر ، إذ قيل : " لكن لم يرد حزقيا حسبا أنعم عليه لأن قلبه ارتفع فكان غضب عليه وعلى يهوذا وأورشليم " (2 أى 32 : 25) .
- (ج) يظهر من مزمور حزقيا كيف عانى في البداية من روح اليأس ، إذ قال : " أنا قلت في عز أيامي أذهب إلى أبواب الهاوية . فقد اعدمت بقية سنى " (إش 38 : 10) .
- (د) ربما كان يتوقع حزقيا أن يرى المسيح الرب في أيامه ، أو كان يترجى مجيئه متجسدا من نسله وها هو يموت بلا نسل ، لذلك يصرخ في يأس : " قلت لا أرى الرب ، الرب في أرض الأحياء ، لا أنظر إنسانا بعد مع سكان الفانية " (إش 38 : 11) .
- هكذا كان يتقرب أن يرى المسيح الرب هنا أو ينعم بمجد الرب في الحياة الأخرى ، لكن اليأس حطمه .
- " قلت لا أرى الرب " ... أى رجاء لنا في هذا العالم أو في العالم الآتى ما لم ننعم بروية الرب ، هنا خلال عيني القلب بالإيمان ، وهناك وجهها لوجه ! .
- (هـ) يقدم عدة تشبيهات يعبر بها عن حياته الزمنية :
- التشبيه الأول : خيمة الراعى السريعة التنقل (إش 38 : 12) ، هذا يخلق الإحساس بالغربة ، ليس لنا موضع في العالم نستقر فيه .
- التشبيه الثانى : النسيج : " لفقت كالحائك حياتى ، من النول يقطعنى ، النهار والليل تفنننى " (إش 38 : 12) .
- هكذا يحبك الله حياتنا كثوب مقطوع من النول يحاك حسب حجم جسد كل واحد منا .
- التشبيه الثالث : الفريسة التى يحطمها الأسد جميع عظامها بين نهار وليلة واحدة (إش 38 : 13) .
- التشبيه الرابع : كسنونة مزققة يصيح فى ضعف ، إذ خفت صوته بسبب المرض أو بالحرى بسبب يأسه من الشفاء ، صار صوته كهدير حمامة (إش 38 : 14) ، وصارت عيناه عاجزتين عن التطلع إلى العلاء (إش 38 : 14) .
- (و) نجد تحولاً سريعاً من الشعور بمرارة النفس اليائسة (إش 38 : 15) إلى خبرة الحياة الجديدة ، إذ يقول بلا مقدمات : " أيها السيد بهذه يحيون وبها كل حياة روحى فتشفينى وتحينى " (إش 38 : 16) ... ينتقل من الموت إلى الحياة ومن المرارة إلى السلامة (إش 38 : 17) ، سر ذلك تدخل السيد المسيح ، واكتشاف عمله الإلهى الخلاصى ، إذ يقول : " فإنك طرحت وراء ظهرك كل خطاياى .. الرب لخلصى ، فنعزف بأوتارنا كل أيام حياتنا في بيت الرب " (إش 38 : 17 ، 20) .
- ماذا وجد فى مخلصه :
- أولا : تحولت حياته من رحلة مرعبة للغاية ومرة النفس إلى حياة هادئة مملوءة سلاما ، خلالها لا يخاف المؤمن حتى من الهاوية (إش 38 : 17) .
- ثانيا : تتهلل نفسه لا من أجل شفائه من المرض وطول عمره وإنما من أجل غفران خطاياها كلها (إش 38 : 17) .
- ثالثا : صار مشتاقا أن يسلم الأجيال القادمة هذه الحياة الجديدة ، أو حق الله (إش 38 : 19) .

رابعا : تحولت كل بقية حياته إلى مزموّر فرح لا ينقطع (إش 38 : 20) ، يترنم به كما في بيت الرب .

(3) علاجه بقرص تين :

طلب إشعياء النبي من حزقيا أن يضع قرص تين على الجزء الملتهب من جسمه فيبرأ ... لماذا ؟ لكي يعلن الله أنه وإن كان هو الطبيب الشافي لكنه يستخدم الأدوية والوسائط المادية التي خلقها لإشباع احتياجاتنا .

قرص التين كعنقود العنب كلاهما يشيران للحياة الكنسية الحية ، من خلال ترابط بذارهما وعملها معا .. لذلك فإن حزقيا قال عن علامة شفائه : " إنى أصعد إلى بيت الرب " إش 38 : 22 ليجتمع مع شعب الله خلال الرب نفسه .

+ + +

إشعياء – الإصحاح التاسع والثلاثون

حزقيا يكشف ذخائره

أختتم الجزء الأول من سفر إشعياء بهذا الأمر الصعب : سقوط حزقيا الملك في الكبرياء وكف كل ذخائره وذخائر آبائه لسفراء ملك بابل من باب الاستعراض لغناه ومجده ، لذا صدر الأمر بسحبها جميعا إلى بابل .

لقد ارتفع نجم أورشليم بعد هزيمة ملك آشور الذي أرعب جميع الأمم وابتدأ الغرور يتسلل إلى قلب حزقيا ليدفع به إلى الهاوية .

(1) استعراض الذخائر

ارتفع نجم حزقيا بسبب هزيمة سنحاريب ملك آشور ، وقدم حزقيا مزموّر شكر لله خاصة بعد ما وهبه الله 15 عاما على عمره ، لكنه لم يمارس الشكر بحياته إذ ارتفع قلبه وتشامخ (2 أى 32 : 26) ، وصار له " غنى وكرامة كثيرة جدا وعمل لنفسه خزائن للفضة والذهب والحجارة الكريمة والأطياب والأتراس وكل أنية ثمينة ... وعمل لنفسه أبراجا ومواشى غنم وبقر بكثرة لأن الله أعطاه أموالا كثيرة جدا " 2 أى 32 : 27 – 29 .

تركه الله في وسط هذا الغنى والمجد إلى حين وأراد أن يكتشف قلبه (2 أى 32 : 31) فسمح أن يرسل مردوخ بلادان ملك بابل رسائل وهدية بعد شفائه . كان يليق بحزقيا أن يمجّد الله ويعرض نعمة الله لا أن يكشف عن خزائنه . لقد سقط في الأعتداد بذاته والإعلان عن مجده كما سبق أن سقط شمشون الذي أعلن عن سر قوته للزانية فانهار .

يقول القديس هيبوليتس : [دهش مردوخ الكلداني ملك بابل في ذلك الحين إذ درس الفلك وقاس هذه الأجرام وعرف السبب فأرسل خطايا وهدايا كما فعل المجوس الذين من المشرق مع المسيح] .

اندفع حزقيا بكبرياء قلبه وحبّه للمجد الزمني الباطل ليكشف كل ما لديه لرسول مردوخ بلادان : " لم يكن شيء لم يرههم إياه حزقيا في بيته وفي كل ملكه " إش 39 : 2 .

لم يختبر حزقيا كلمات داود أبيه " مجد إبنة الملك من الداخل " مز 45 .

(2) الأمر الإلهي بسحب الذخائر

أرسل الله نبيه إشعياء إلى حزقيا لتأديبه ، فسأله :

+ ماذا قال هؤلاء الرجال ؟

+ ومن أين جاءوا إليك ؟

+ ماذا رأوا فى بيتك ؟

لم يجب على أهم سؤال : " ماذا قال هؤلاء الرجال ؟ "

ظن أنهم جاءوا من أرض بعيدة من بابل (إش 39 : 3) فلا خطر عليه منهم ، لذلك صدر الحكم الإلهى بالعقاب خلال بابل جاءت العقوبة قاسية لأن الكبرياء داء خطير للغاية ، يعنى شركة فى طبيعة الشيطان . لم يفقد حزقيا الخزائن التى كشفها فحسب وإنما يفقد حرية أولاده إذ يصيرون خصيانا فى بيت ملك بابل (إش 39 : 7) .

(3) اعتراف حزقيا بالخطأ

" فقال حزقيا لإشعيا : جيد هو قول الرب الذى تكلمت به ، وقال : فإنه يكون سلام وأمان فى أيامى " إش 39 : 8 .

فى الظاهر نطق الملك بكلمات تحمل تسليما ، لكننا لا نعرف ما هى اتجاهاته ودوافعه ، ربما يكون استسلاما دون توبة وثقة فى الله القادر على غفران الخطايا .

لقد اعترف أنه أخطأ لكنه لم يقدم توبة ، دليل ذلك أنه عوض الصراخ إلى الله بدموع من أجل الرجوع إليه شعر بطمأنينة أن التأديب سيحل بعد موته فى أيام أولاده . لقد حمل نوعا من الأنانية ، فقد اهتم أن يقضى أيامه فى طمأنينة دون المبالاة بما سيحل بالشعب وبنسله فيما بعد .

+ + +

القدوس المخلص

فى القسم الأول [1 – 35] أوضح النبى ما وصلت إليه البشرية من فساد الخطية أو حرمانها من الشركة مع الله القدوس

وفى القسم الثانى [36 – 39] أعلن عن الحاجة إلى هذه الشركة لنوال النصر فى الداخل كما على الأعداء الروحانيين بل وعلى الموت نفسه .

والآن يعلن ما هو أعظم : تدخل القدوس كمخلص يهب الإنسان شركة الأمجاد السماوية .

فى هذا القسم [40 – 66] نجد الخطوط العريضة التالية :

1 – المسيح المخلص الحامل الآلام ، أو العبد المتألم الذى يهب العبيد حرية مجد أولاد الله .

2 – العصر المسيانى كعصر سلام داخلى ومجد خفى ينعم به المؤمنون خلال الشركة مع المخلص .

3 – إبراز عطية المسيح العظمى : الروح القدوس ، الذى يحول برية قلوبنا إلى فردوس ، وظلمتنا الداخلية إلى نور الحق .

+ + +

إشعيا – الإصحاح الأربعون

عزوا عزوا شعبى

افتتح السفر بالكشف عن مرارة ما وصل إليه شعب الله من فساد ، بل ما وصلت إليه البشرية كلها ، الآن فى هذا الإصحاح يرفعنا روح الله القدوس لنكشف خطة الله الخلاصية وتدبيره نحو شعبه لينعموا بعمله الإلهى وتعزياته الفائقة . غاية هذا الإصحاح وما بعده نزع اليأس من المسيبيين وبث روح الرجاء فيهم .

(1) عزوا عزوا شعبى

اعتاد الله أن ينسب الشعب إليه عند رضاه عنه فيدعوه " شعبى " ، أما فى حالة عصيانه فتارة ينسبه إلى موسى (خر 32 : 7) أو يدعوه " الشعب " (خر 32 : 9) ، وفى أكثر صراحة يقول " ليس شعبى " هو 1 : 9 ، وذلك لكى يثيرهم فيرجعوا إليه ويعود فينسبهم إليه (هو 2 : 23) . أما هنا إذ يفتح أمامهم بل أمام البشرية المؤمنة باب الخلاص فيدعوه " شعبى " .

اعتاد النبی تكرر بعض الكلمات مرتين كما جاء هنا " عزوا عزوا " [51 : 9 ، 17 ، 5 : 1] ، لأنه يتحدث عن كنيسة العهد الجديد القادمة من فريقين : اليهود والأمم ، لأنها كنيسة الحب الذى يوحّد ويربط ، فإن رقم 2 يشير إلى الحب . المحبة تجعل الاثنين واحداً .

إنها كنيسة الحب الذى يربط الله بها كعريس بعروسه ، والذى يربط الأعضاء القادمين من كل الأمم كجسد واحد للرأس الواحد . خلال هذا الحب يخاطبها قائلاً " طيبوا قلب أورشليم " إش 40 : 2 ، والترجمة الحرفية " تحدثوا إلى قلب أورشليم " .

الآن يتطلع النبی إلى موكب الشعب الراجع إلى أورشليم كرمز لموكب المفديين بدم رب المجد يسوع ، وقد جاء القديس يوحنا المعمدان يهّئ الطريق لهذا الموكب المسمى السماوى .

(2) تهيئة الطريق للرب :

لعل إشعياء النبی قد سمع صوتاً سماوياً يدعو السمايين لتهيئة موكب العودة من السبى إلى أورشليم ، فقد سبق فرأى حزقيال النبی مجد الرب يفارق المدينة (حز 11 : 22 - 25) ، والآن ها هو يعود الموكب مع عودة المسبيين ، وكأنه موكب ملوكى إذ يتقدمه الله نفسه محرر أولاده !

أما الموكب الأعظم فهو تهيئة الطريق لدخول المسيا المخلص إلى حياة البشرية ، الذى تحقق واسطة القديس يوحنا المعمدان - ملاك الرب - بالحديث عن التوبة وإعلان الحاجة إلى المخلص (مر 1 : 3 ، مت 3 : 3 ، لو 3 : 4 - 6 ، يو 1 : 22) .

كان القديس يوحنا هو الصوت الذى يدوى فى البرية ليهّئ الطريق للكلمة الإلهى ، معلناً أن كل نفس متعجرفة ومتعالية تنحدر إلى أسفل (إش 40 : 4) وكل قلب معوج يصير مستقيماً ، وكل العقبات تزول لأن مجد الرب يعلن خلال المسيا المخلص ، ويراه كل بشر معاً : من اليهود والأمم .

لذا يقول النبی : " صوت صارخ فى البرية : أعدوا طريق الرب ، قوموا فى القفر سبيلاً لإلهنا . كل وطأ يرتفع ، وكل جبل وأكمة ينخفض ، ويصير المعوج مستقيماً والعراقيب سهلاً ، فيعلن مجد الرب ويراه كل بشر معاً ، لأن فم الرب تكلم " إش 40 : 3 - 5 .

بماذا ينادى هذا الصوت ؟ بإنجيل العهد الجديد الذى هو طريق الرب ، الذى يرفع النفوس المتضعة إلى الحياة السماوية ، ويحطم كبرياء المتشامخين ، يجدد الخليقة التى أعوجت لتسلك باستقامة ، ويزيل العقبات من أمامها ، فيتمجد الرب فى البشرية المؤمنة (إش 40 : 3 - 5) .

القديس غريغوريوس النزينزى يقول :

+ ليترك تسير فى الطريق الملوكى ، لا تنحرف عنه يميناً ولا يساراً ، إنما يقودك الروح خلال الباب الضيق ، عندئذ تنجح كل أمورك عند استجوابك هناك فى المسيح يسوع ربنا .

سمع النبی إشعياء صوتاً سماوياً آخر يؤكد أن كل جسد (انسان) هو كعشب الأرض (مز 90 : 5 ، 103 : 15) : " كل جسد عشب وكل جماله كزهر الحقل . يبس العشب ذبل الزهر لأن نفخة الرب هبت عليه " (إش 40 : 6 ، 7) .

" أما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد " إش 40 : 8 .

من يلتصق بتراب الأرض أو بمحبة الزمنيات يصير عشباً زائلاً ، ومن يلتصق بالسيد المسيح " كلمة الله " يقوم معه ليحيا في مجده أبدياً .

(3) خطة الله فائقة الإدراك

الآن بعدما أبرز أن من يرتبط بالزمونات الفانيات يصير كعشب الأرض الذى يذبل ومن يلتصق بكلمة الله الأبدى يبقى معه أبدياً ، يعلن عن معنى الارتباط بكلمة الرب .

(أ) قبول البشارة الإنجيلية المفرحة : " على جبل عال اصعدى يا مبشرة صهيون ، ارفعى صوتك بقوة يا مبشرة أورشليم . ارفعى لا تخافى . قولى لمدن يهوذا : هوذا إلهك . هوذا السيد الرب بقوة يأتى وذراعه تحكم له " إش 40 : 9 ، 10 .

من هذه التى ترفع صوتها إلا كنيسة العهد الجديد التى تصعد بالبشرية كما على جبل كلمة الله خلال كرازة التلاميذ والرسول بل وشهادة كل الشعب .

(ب) إدراك حقيقة الله ، فإننا إذ نرتفع إلى الحياة الجديدة نلتقى مع الرب على مستوى شخصى ، فلا نجده قوة خفية مجهولة وإنما كائنات يتعامل معنا .

(ج) اكتشاف رعاية الله لنا بكونه الراعى المهتم بقطيعه : " كراع يرعى قطيعه . بذراعه يجمع الحملان وفى حضنه يحملها ويقود المرضعات " (إش 40 : 11) ، وهو فريد فى شخصه كما فى رعايته :

+ + إنه الخالق القدير فى رعايته : " من كال بكفه المياة ؟! وقاس السموات بالشبر ؟! وكال بالكيل تراب الأرض ؟! ووزن الجبال بالقبان والأكام بالميزان ؟! " إنه خالق المياة والسموات كما التراب والجبال الصلدة . الذى خلق يقدر أن يجدد الخليقة .

+ تشير المياة إلى الشعوب ،

+ والسموات إلى النفس ،

+ والأرض إلى الجسد ،

+ والجبال والتلال إلى قدرات الإنسان ومواهبه ،

وكان الله فى رعايته قدير ، يجدد الكنيسة ككل بضم الشعوب إليها ، كما يجدد كل نفس مع الجسد بطاقاته وأحاسيسه ومشاعره وإمكانياته .

إنه يقيس ويزن كل شئ ، إذ هو كلى القدرة .

+ + كلى الحكمة : " من قاس روح الرب ومن مشيره يعلمه ؟! من استشاره فأفهمه وعلمه فى طريق الحق وعلمه معرفة وعرفه سبيل الفهم ؟! إش 40 : 13 ، 14 .

مع كونه الخالق القدير الذى أوجد الطبيعة من أجلنا يرعاها ويهتم بها ، هو أيضا كلى الحكمة يعرف ما هو لخلاصنا وبنياننا ، خطته غير خطتنا ، وتدبيره تعلو عن تدبيرنا (رو 11 : 34) .

+ + ضابط الكل لا يفلت شئ من يده : " هوذا الأمم كنقطة من دلو وكغبار الميزان تحسب ، هوذا الجزائر يرفعها كدفة ... " إش 40 : 15

إنه ضابط الكل ... فإن كانت الأمم تريد أن تحكم العالم وتسوده خلال العنف والقوة فهى ضعيفة للغاية ، يراها الله نقطة ماء فى دلو وغبار ميزان .. أما الله ففى ضعف الصليب وجهالته يحكم ويملك بقوة وسلطان على الأعماق .

الأرض بكل شعوبها صغيرة للغاية بالنسبة للمخلص ، يحملها كغبار في مقياس صغير ، أما سكان الجزائر المتخرون بسفنهم التجارية والحربية فجميعهم معا أشبه بدفة يمسكها الرب بيده !

++ اهتمامه بالأمم : " ولبنان ليس كافيا للإيقاد وحيوانه ليس كافيا لمحرقه . كل الأمم كلا شيء قدامه ، من العدم والباطل تحسب عنده " إش 40 : 16 ، 17 . تصوير شعري عن قبول الأمم الإيمان بالله حتى أن كل شجر لبنان (الأرز) لا يكفي للإيقاد لمذبح الرب وجميع حيواناته لا تكفي لتقديم محرقات ... لقد صارت الحاجة إلى خشبة الصليب التي تسمو فوق كل أرز لبنان ، وذبحه المسيح التي لا تقارن بالذبائح الحيوانية جميعها . خلال هذا المذبح (الصليب) وهذه الذبيحة يتمتع الأمم بالخلاص .

++ عظمة السيد المسيح المخلص والذبيح :

" فبمن تشبهون الله وأى شيء تعادلون به ؟! " إش 40 : 18 ، تكاليف الأوثان باهظة تحتاج إلى ذهب وفضة أو خشب لا يسوس مع تكلفة للصانع الماهر الذى يقوم بعملها (إش 40 : 20) ، يقابل ذلك شوق اللصوص لسرقتها ، أما مسيحننا فيقدم خلاصا مجانيا .

++ " الجالس على كرة الأرض " إش 40 : 22 .

كان الاعتقاد السائد أن الأرض مسطحة وليست كرة ، لكن إشعياء رأى الرب جالسا على كرة الأرض كملك يجلس على عرشه ، يقيم مملكته فى قلوب البشر .

" سكانها كالجندب (الجراد) ، الذى ينشر السموات كسرادق ويبسطها كخيمة للسكن " إش 40 : 22 .

إنه لا يملك عن احتياج لخدمة الأرضيين أو السمايين ، إنما عن حب ورعاية أبوية .

انشغل المنجمون بحسابات الفلك وانظمتها أما الله فيعلم كل دقائقها كخالق لها ، يدعوها بأسماء (إش 40 : 26) ، فكيف لا يعرف كل إنسان ويهتم بخلاصه ؟!

(4) موقف غير المؤمنين

كثيرا ما يظن الجاحدون للإيمان أن الله فى مجاله عيد عن دائرة البشر ، هو فى سمواته بينما يعيش الإنسان فى عالمه .. هذا هو جوهر الفكر الإلحادى المعاصر ، وهو فكر قديم يضرب به العدو الإنسان ليفقده تلاقيه مع خالقه واتحاده معه وعشرته ، وكما جاء هنا فى هذا السفر : " لماذا تقول يا يعقوب وتتكلم يا إسرائيل : قد اختفت طريقى عن الرب وفات حق الهى " إش 40 : 27 .

هذا هو ما يردده الإنسان وسط تعب الروحى .. بحسب نفسه وحيدا معزولا حتى عن الله الذى لا يبالي بطريق الإنسان وحياته . لعل هذا هو ما قاله المسيحيون إذ ظنوا أن الله قد نسيهم تماما ، فقد عبرت الشهور والسنوات وكأنه قد نكث عهده مع آبائهم ولم يعد يفكر فيهم أو يهتم بعودتهم . إنه لا يبالي بقضيتهم ولا يهتم بطريقهم ، تركهم فى بابل وبقي فى سمواته لا يتحرك لنزع عارهم ورفع الذل والعبودية عنهم (إش 40 : 27 - 30) .

++ يهبنا روحه القدوس الذى يجدد طبيعتنا ويرفعنا بأجنحة الروح كما إلى السماء عينها ، نرتفع بلا قلق .. " وأما منتظرو الرب فيجددون قوة ، يرفعون أجنحة كالنسور ، يركضون ولا يتعبون ، يمشون ولا يعيون " إش 40 : 31 .

++ ++ ++

إشعياء - الإصحاح الحادى والأربعون
خلاص من المشرق

قدم لنا الإصحاح السابق تصويرا رائعا لعمل الله الخلاصى ، كعمل رعى يصدر عن الله الكلى القدرة والكلى العلم والحكمة والكلى الحب ... الآن يدعو الله الأرض كلها حتى الجزائر التى كانت فى ذلك الوقت تمثل الغرب الأقصى لكى تقف فى محاكمة مع الله ، خلالها يظهر الحق من الباطل .

إنه لا يطلب نزول نار من السماء كما فعل إيليا لإظهار الله والحق والكشف عن بطلان البعل ، إنما يسألهم أن يطلبوا من الأوثان أن تخبر عن المستقبل إن كانت تقدر

أما الله فيكشف لإشعيا عن المستقبل
(1) نصره من المشرق :

يقدم إشعيا النبي تصورا شاعريا للنصرة التي ينالها إسرائيل خلال كورش الذى يسمح لهم بالعودة من السبي .
يؤكد النبي أن ما سيحدث بواسطة كورش ليس من عندياته إنما هو بتدبير الهى .

" انصتى إلى أيتها الجزائر ، ولتجدد القبائل قوة ، ليتقربوا (ليصمتوا) ثم يتكلموا ، لننتقدم معا إلى المحاكمة " إش 41 : 1

الإنصات والصمت لا يعنيان السلبية ، إنما يعنيان رفع القلب إلى الله والتأمل فى أعماله العجيبة ، منتظرين خلاصة المستمر لشعبه وكنيسته . الصلاة الصامتة تحرك السماء ذاتها ، يسمعها الله ويستجيب لها ، كما حدث مع موسى الصارخ فى قلبه (خر 14 : 15) ومع حنة فى الهيكل (1 صم 1 : 13) .

يلزم أن يرافق الصمت حوار الحب الداخلى بين الله والنفس ، وفى بداية هذا السفر يطالبنا الله أن ندخل معه فى حوار لكى نغتصب مغفرة خطايانا (إش 1 : 18) .

أما هنا فيريدنا أن نقرب إليه ونتحدث معه عن قرب خلال لغة السكون ، هذا ما عناه بقوله : " ليقربوا ثم يتكلموا " إش 41 : 1 .

[لنتمثل بمريم أخت لعازر التى جلست عند قدمي ربنا تنصت لكلماته (لو 10 : 39 ، يو 11 : 1) ، فبجها ارتفعت نفسها إلى السماء عند كلماته . لهذا السبب قدم ربنا شهادة حسنة عنها : " مريم اختارت النصيب الصالح الذى لن ينزع عنها " لو 10 : 42] .

ماذا رأى إشعيا النبي وماذا سمع خلال الاقتراب بسكون نحو الله ؟

" من أنهض (البار) من المشرق الذى يلاقيه النصر عند رجله ؟ دفع أمامه أمما وعلى ملوك سلطه ، جعلهم كالتراب بسيفه وكالقش المنذرى بقوسه " إش 41 : 2 .

من الجانب الحرفى يقصد كورش الذى انهضه الرب من المشرق ، واهبا إياه نصره عند رجله ، بمعنى أنه يهبه سرعة الحركة ، أينما حل بجيشه تحققت له النصره . هذا ويرى أغلب الدارسين أن كورش محطم بابل عرف بالعدالة ، وإن كان جيشه ورجاله عرفوا بالعنف والشراسة . صار رمزا للسيد المسيح فى خلاصه لا من سبى بابل أو غيرها وإنما من سبى إبليس والخطية .

رأى بعض حاخامات اليهود أن الحديث هنا عن إبراهيم أب الآباء ، الذى قدم من المشرق ليملك خلال نسله أرض كنعان .

أما آباء الكنيسة عبر العصور فيروا أن الحديث هنا خاص بالمسيا .

" طردهم مر سالما فى طريق لم يسلكه برجله " إش 41 : 3 ، كأن كورش قد جاء مسرعا جدا حتى بدى كمن لا يلمس الأرض برجله . أشار هذا أيضا إلى سرعة انتشار الكرازة بإنجيل الخلاص ، أو عمل المسيح الخلاصى .

قدم الرب تسأولا فى محاكمة الشعوب ، وإذ لم يجب أحد أجاب هو : " من فعل وصنع داعيا الأجيال من البدء ؟ أنا الرب الأول ومع الآخرين أنا هو " إش 41 : 4 هو الذى دعا الأجيال منذ البدء للأقتراب إليه والتمتع بخلاصه ، ويبقى حتى مع الآخرين (ظهور آلهة وثنية) هو هو لا يتغير فى حبه عبر الأجيال .

البشرية رفضت الخالق وصنعت لنفسها آلهة من صنع النجار والصائغ إلخ كل يشدد الآخر ليخرج التمثال متقنا تشدده المسامير " حتى لا يتقلقل " إش 41 : 7 .

(2) عبدى الذى اخترته

" وأما أنت يا إسرائيل عبدى ، يا يعقوب الذى اخترته ، نسل إبراهيم خليلي (صديقي) " إش 41 : 8 .

لقد اختار الله إبراهيم خليلا له ، دعاه من أمة وثنية لا تعرف الله ، ليصير بارا ، ينهضه من المشق ويلاقيه النصر عند رجليه (إش 41 : 2) .

الله لم يتغير فلا يزال يطلب أن يبرر ويصادق أبناء له ، يدعوهم ن وسط أناس غير مؤمنين ليقبلوا الإيمان به ويصيروا أحياء .

من هو العبد المختار إلا السيد المسيح الذى احتل مركز العبد ، ليمثل البشرية الضعيفة ، فيقيم عهدا بأسمها لدى الآب ، يختمه بالدم الثمين .

" الذى أمسكته من أطراف الأرض ومن أقطارها دعوته " إش 41 : 9 ، جئت بكم من أقاصى المسكونة ودعوتك من بين الأمم ..

" لا تخف لأنى معك "

: هذا هو موضوع دعوتى ، وسر إختيارى لكم ، وغايتى من الخلاص أن أكون معكم ...

" وقد أيدتك وأعنتك وعضدتك بيمين برى " إش 41 : 10 .. أكون لك عوناً وعضداً لأنى بررتك بدمى .

كثيراً ما يكرر فى هذا السفر عبارة : " لا تخف "

إذ يعرف الله حقيقة مرض الطبيعة البشرية أو ميكروبها الخطير ألا وهو الخوف المحطم لسلامنا وفرحنا ومجدنا الداخلى .

الله هو الرفيق والمعين والمشبع لكل احتياجاتنا الداخلية ، الذى يشاركنا مشاعرنا الخفية .

(3) الدودة الضعيفة تصير نورجا جديدا :

تتكرر الكلمتان " لا تخف " ثلاث مرات فى الأعداد 10 – 14 ، وكان ذلك ضرورياً لنفوس مسكينة يحطمها اليأس أثناء السبى والشعور بالمذلة والعبودية .

لكن الله يطمئن بكل وسيلة مؤمنيه المخلصين الذين يقبلون الدخول معه فى عهد حتى لا يخافوا ولا يرتعبوا . أما سر رجائهم وقوتهم فهو تمتعهم به كملك لهم ، يقدم ذاته لهم لينعموا به ، قائلاً :

" لأنى أنا الرب إلهك الممسك بيمينك القائل لك : لا تخف أنا أعينك " إش 41 : 13 .

هكذا ينسب الله نفسه إليهم : " أنا الرب إلهك " يلتجئوا إليه لا كغريب عنهم وإنما بكونه " إلههم " الخاص بهم المشتاق أن يضمهم إليه ويحفظهم فيه .

يعلن الله حبه لشعبه الذى دعاه " دودة إسرائيل " ليقم منها نورجا محدداً جديداً قادراً أن يدرس الجبال ويسحقها ويذريها لتبددها العواصف ، إذ يقول :

" لا تخف يا دودة يعقوب ، يا شردمة إسرائيل ، أنا أعينك يقول الرب وفاديك قدوس إسرائيل . هأنذا قد جعلتك نورجا محددًا جديدًا ذا أسنان ، تدرس الجبال وتسحقها ، وتجعل الأكام كالعاصفة ، تذريها فالرياح تحملها والعاصف تبدها وأنت تبتهج بالرب ، بقدوس إسرائيل تفتخر " إش 41 : 14 - 16

هذا هو عمل الله المخلص في حياتنا ، إذ يحولنا من دودة محتقرة تعيش في طهى هذا العالم نداس كما بالأقدام ليقم منا نورجا ذا أسنان حادة يقدر أن يدرس الجبال ويسحقها أو كمذرة تفصل الحنطة عن التبن ... هكذا يريد الله مصادقة الدودة المحتقرة ليجعلها أداة للتمييز وعزل الحنطة النافعة عن التبن الذى بلا ثمن .

(4) البرية تصير بستانا

إذ يتطلع إشعياء النبى إلى العصر المسيانى كعصر مياة الروح القدس ، يرى البرية تتحول إلى واحة تفيض ماء فتتحول من قفر إلى بستان الهى مثمر .

تكرر هذا التشبيه عدة مرات (إش 35 : 1 - 10 ، 43 : 18 - 21 ، 49 : 9 - 11 ، 48 : 21 ، 55 : 13) .

السيد المسيح يقدم ماء جديدًا يغير وجه الأرض ، محولا قفر قلوبنا إلى فردوسه الروحي ، وبريتنا الداخلية إلى واحة إلهية فننمو فينا أشجار روحية تأتي بثمار روحية شهية : " اجعل في البرية الأرز والسنط والأس وشجر الزيت ... " إش 41 : 19 .

ما أجمل العبارة : " لكى ينظروا ويعرفوا ويتنبهوا ويتأملوا معا أن يد الرب فعلت هذا وقدوس إسرائيل أبدعه " إش 41 : 20 ... ننظر عمل الرب فينا ، ونتعرف على أسرارهِ ، ونتأمل الأمور الفائقة ونفهم ما لا يدرك ، لأن هذا كله من يد المخلص القدوس ومن ابداعه .

يتحدث القديس يوحنا الذهبي الفم على لسان المخلص قائلا :

[من يستطيع أن يعادلنى فى الجود ؟ إنى أب وأخ وعريس وبيت وطعام ولباس وأصل كل ما تشتهى ، لا أتركك محتاجا إلى شيء .

سأكون أيضا خادما لك ، فقد جئت لا لكى أخدم بل أخدم .

أنا أيضا صديق وعضو ورأس وأخ وأخت وأم ، أنا كل شيء ، فقط كن صديقا لى !

من أجلك افتقرت ، ومن أجلك كنت أشحذ .

من أجلك صليت ، ومن أجلك دفنت .

فى السماء أسأل عنك الأب .

أنت كل شيء بالنسبة لى : الأخ والشريك فى الميراث والصديق والعضو .

ماذا تريد أكثر من هذا ؟

لماذا تنصرف عن من يحبك ، وتتعب من أجل العالم ؟] .

(5) الله رب المستقبل

لكى يعطى الرب طمأنينة لشعبه ويهبهم ثقة فيه ، يؤكد لهم أن المستقبل كله فى يديه دون سائر آلهة الأمم ، طلب منهم أن يسألوا الأوثان إن كانت تقدر أن تخبر بالأمور المستقبلية ، ويقصد التنبؤ بخصوص قيام كورش ، إذ كان ذلك غير متوقع .

يعلن الله عن نفسه أنه أول من يبشر شعبه بقيام كورش (إش 41 : 27) .

لقد عرف كورش الله (عزرا 1) واحترم كل الأديان بما فيها عبادة الله الحي ، لذلك قيل : " من مشرق الشمس يدعو بأسمى " إش 41 : 25 ، ربما أيضا دعى بأسم السيد المسيح بكونه رمزا له ، يحقق خلاصا للعالم كله .

شبه كورش بالخزاف الذى يدوس الطين ، إشارة إلى السيد المسيح كديان تخضع له كل الأمم كالطين بين يدي الخزاف ... (كورش أتى على ولاية بابل كما على الملاط إش 41 : 25) .

+ + +

إشعياء – الإصحاح الثانى والأربعون

العبد المختار

يحوى هذا الإصحاح إحدى التسابيح الممتعة الخاصة بالسيد المسيح ، أو تسابيح " عبد يهوه " [إش 42 : 1 – 4 ، 49 : 1 – 6 ، 50 : 4 – 9 ، 52 : 13 – 53 : 12] .

حاول البعض تطبيق التسبحة التى بين أيدينا على إسرائيل أو على إشعياء وبالأكثر على كورش ، لكن من الواضح أنها تخص السيد المسيح نفسه ، كما أكد الإنجيليون ذلك (مت 12 : 17 – 21) .

(1) عبد الرب المختار

تقدم لنا التسبحة هنا شخص العبد المختار الذى هو السيد المسيح بعينه ، إذ جاء فيها :

أولا : " هوذا عبدى الذى أعضده ، مختارى الذى سرت به نفسى " إش 42 : 1 . ليس عجيبا أن يدعى المسيا " عبد يهوه " أو " عبد الرب " مع أنه كلمته المولود أزليا وواحد معه فى ذات الجوهر الإلهى ، إنما بحبه الإلهى اشتاق أن ينزل إلى عبوديتنا ليحملنا إلى أمجاده ، وكنائب عنا أطاع الآب حتى الموت موت الصليب ، حتى يحقق خلاصنا ويثبتنا فيه فنحسب مطيعين ونصير موضع سرور الآب (أف 1 : 3 – 5) .

إن كان الآب قد اختار ابنه الوحيد ليتمم الخلاص ، معلنا كمال الحب الإلهى ، فإننا إذ ندخل فيه وننعم بالعضوية فى جسده نصير نحن أيضا مختارين من الأبن موضع حبه وسروره !

اقتبس الأنجيلى متى ما ورد هنا فى إش 42 : 1 – 3 كنبة صريحة عن السيد المسيح (مت 12 : 17 – 21) ، مؤكدا النقاط التالية :

أ – المختار لتتميم الخلاص .

ب – فيه سر الآب بنا .

ج – مشتهى الأمم ورجاؤهم .

د – بالوداعة يهب النصر .

هـ - يترفق بكل ضعيف .

ثانيا : " وضعت روحي عليه " إش 42 : 1 . المسيا كلمة الآب ، الواحد معه والمساوى له فى ذات الجوهر ، لذا فالروح القدس الذى هو روح الآب هو روح الإبن أيضا .

ثالثا : " فيخرج الحق للأمم " إش 42 : 1 . إن كان الرب قد أدب الأمم لكنه جاء إليهم بكونه " الحق " كى يقبلوه فى حياتهم سر خلاص أبدي ، إذ يقول : " أنا هو الطريق والحق والحياة ، ليس أحد يأتى إلى الآب إلا بى " يو 14 : 6 .

رابعا : " لا بصيح ولا يرفع ولا يسمع فى الشارع صوته " إش 42 : 2 . فقد جاء يعلن صوت الحب العملى الهادى خلال البذل حتى الصليب ، منبره الصليب ، وكلماته هى جراحات جسده الناطقة بالحب .

جاء إلينا كلمة الله ليعلمنا حياة العمل الحق النابع عن الحب مع سكون النفس وهدوئها فيه عوض الإنشغال بالكلمات الكثيرة البراقة والمظاهر الخارجية المخادعة . علمنا الكلمة الإلهي كيف نتكلم بالحب والحياة العملية فيتجلى هو فينا !

خامسا : " قصبة مرضوضة لا يقصف ، وفتيلة خامدة لا يطفئ ، إلى الأمان يخرج الحق " إش 42 : 3 .

جاء مسيحنا إلى النفوس المحطمة لكي يبعث فيها الرجاء ، لا يجرح مشاعر الخطاة ولا يداهنهم . ينطق بالحق مع الحب حتى يضمّد كل جرح ملتهب ، ويسند كل نفس متعبة .

سادسا : " لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته " إش 42 : 4 .

اتسم مسيحنا بالحب العملي والوداعة ، في محبته يفتح أبواب الرجاء أمام الخطاة مهما بلغت شرورهم . على خلاف الإنسان الذي يقسو على أخيه ويحسب نفسه أبر منه ، ويغلق الباب أمام الكثيرين . هذا الحب الإلهي الوديع يرافقه عمل الهي بلا توقف حتى الموت موت الصليب ، وفي هذا لم ينكسر بل تمجد بالقيامة ، وأعلن الحق بتحقيق الخلاص .

يحاول بعض الدارسين أن يفسروا كلمة " الجزائر " هنا بأنها أوروبا أو الولايات المتحدة الأمريكية أو استراليا .

(2) دعوة عبد الرب :

الله في حبه خلق السموات والأرض من أجل الإنسان (إش 42 : 5) ، وما هو يدعو الإبن الذي صار إنسانا ليقبضه عهده للشعب ونورا للأمم (إش 42 : 6) ، يفتح البصيرة الداخلية لمعاينة ملكوت الله ، ويحرر المأسورين في سجن الظلمة الأبدى ليعيشوا في حرية مجد أولاد الله (إش 42 : 7) .

يلحق الشهيد يوستين على القول الإلهي : " أنا الرب هذا اسمي ومجدي لا أعطيه لآخر ولا تسبيحي للمنحوتات " إش 42 : 8 هكذا [إنني أقول (لليهود) : ألا تتركوا يا أصدقائي أن الله يعطي الذي أقامه نورا للأمم مجدا ولا يعطيه لآخر] . فما يناله الإبن المخلص من أمجاد إنما يناله الثالث القدوس بكونهم الله الواحد في الجوهر واللاهوت .

" وأجعلك عهدا للشعب " إش 42 : 6 .

العهد الجديد : هو الدم .. هو ذبيحة المسيح القادرة على إقامة ميثاق بين الآب والإنسان ، لتهبنا قرابة روحية سماوية فنحسب بالحق أبناء ثابتين في الإبن الوحيد الجنس ، خلالها نتمتع بالوليمة السماوية الواهبة الحياة .

" وأجعلك .. نورا للأمم " إش 42 : 6 ، فالمسيح هو النور الإلهي الذي يفتح بصيرتنا الداخلية لنعاين النور . لهذا يقول المرتل : " بنورك يارب نعاين النور " ، ويقول الأنجيلي : " النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان أت في العالم " يو 1 : 9 .

(3) التسبحة الجديدة :

" غنوا للرب أغنية جديدة ، تسبحة من أقصى الأرض " إش 42 : 10 . ما هي هذه التسبحة التي تتسم بالجدة والتي ينطق بها البشر من أقصى الأرض إلا تسبحة المفديين القادمين من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة ، الواقفين أمام العرش وأمام الحمل

" وهم يصرخون بصوت عظيم قائلين : الخلاص لإلهنا الجالس على العرش وللخروف " رؤ 7 : 10 .

ترنيمة جديدة لأنها تهب تجديدا لا ينقطع خلال " الحياة الجديدة التي في المسيح " .

يلاحظ في هذه التسبحة الآتي :

أ – تسبحة جديدة لا تشيخ ولا تقدم قط ، لأنها تعبر عن تمتع بحياة الفرح السماوي الذي لا يقدم . هكذا تتحول تنهيدات الخليقة إلى شركة في تسبيح السمائيين .

ب – تسبحة جامعة تضم أعضاء من أقصى الأرض ، تكشف عن فرح ساكني الأرض ، والبحار ، وسكان الجزائر (إش 42 : 10) . تتبع عن أعماق القلب الداخلي لا عن الظروف الخارجية ، لذا يمارسها المؤمن أينما وجد ، في البر والبحر ، في البرية أو في مدينة أو في قرية أو في كهف على رأس جبل (إش 42 : 10 ، 11) .

ج - سر البهجة تقدم المسيح الرب الصفوف كقائ المعركة الروحية ، " يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه " إش 42 : 13 . هي تسبحة الغلبة والنصرة في المسيح الهاتف بالغلبة على إبلي وكل قواته الشريرة .

(4) تفرغ للقديم :

سر تسبيحنا هو تفرغ أعمال الإنسان العتيق من أعماقنا خلال تقبلنا لأعمال الإنسان الجديد في المسيح يسوع .. الأمر المذهل للغاية حتى قيل :

" قد صمت منذ الدهر .. سكت ، تجللت " إش 42 : 14 .

يشبه ترك الإنسان القديم والتمتع بالإنسان الجديد بالمرأة التي تلد ، فإنها تصبح من الألم لكنها تتجلب إنسانا جديدا ، هكذا نحن نتمتع خلال السيد المسيح كما بإنجاب عالم جديد في داخلنا : " كالوالدة أصيح ، أنفخ ، وأنخر معا " إش 42 : 14 .

كما يشبه الأمم العظيمة والصغيرة بالجبال والتلال التي يجفف كل عشبها (إش 42 : 15) ، يجفف محبتها للأرضيات التي هي أشبه بالعشب الفاني .

كما يشبهها بالأنهار التي يجعلها تيبس (إش 42 : 15) .. هكذا ينتزع مياهها القديمة ليهبها الماء الحي .

مرة أخرى يشبهها بالعمى السالكين في الظلمة يحتاجون إلى إزالة العمى والظلام ليتمتعوا بالنور ويسيروا في الطريق الروحي الجديد الحق عوض سلوكهم في المعوجات ، إذ يقول : " وأسير العمى في طريق لم يعرفوها ، في مسالك لم يدروها أمشيهم ، أجعل الظلمة أمامهم نورا والمعوجات مستقيمة " إش 42 : 16 .

(5) دعوة للشعب الأصم الأعمى

يرى كثير من الآباء أن الشعب الأصم الأعمى هم اليهود الذين لم يصغوا لصوت الأنبياء بخصوص السيد المسيح ، وقد انطمست عيونهم عن إدراكه فيمجدوه ... لهذا يعاتبهم :

" أيها الصم اسمعوا ، أيها العمى انظروا لتبصروا .

من هو أعمى إلا عبدى وأصم كرسولى الذى أرسله ؟!

من هو أعمى كالكمال وأعمى كعبد الرب ؟! إش 42 : 18 – 19 .

يوبخهم قائلا :

" ناظرا كثيرا ولا تلاحظ " إش 42 : 20 . فقد جاء السيد المسيح في وسطهم وصنع عجائب ورأوا ما لم تره شعوب أخرى ، ومع هذا لم يلاحظوا أنه مخلص العالم بل صليبه عن حسد !

" مفتوح الأذنين ولا يسمع " إش 42 : 20 ، سمعوا النبوات كما سمعوا صوت السيد المسيح ، ومع هذا لم يستجيبوا لا لصوت الأنبياء المشير نحو المسيح ولا لصوت الرب نفسه عند مجيئه .

العيب فيهم لا في الشريعة الموسوية فإن الله يعظم الشريعة ويكرمها (إش 42 : 21) . لكن الشعب نهب منه عدو الخير أعماق الشريعة وسلبه المفهوم النبوى الروحي فسقط في حفرة الجحود وانحبس في إنكار الإيمان ، نهبهم عدو الخير من التمتع بمن أشارت إليه الشريعة وسلبهم ما وهبت كتب العهد القديم ، وليس من يرد لهم ما فقدوه (إش 42 : 21 – 22) ، لأنهم سقطوا تحت الغضب الإلهي .

يرى اليهود أن ما ورد فى هذا الجزء (42 : 18 – 25) لا ينطبق عليهم وإنما على الوثنيين أو على بعض الأفراد .

+ + +

إشعيا – الإصحاح الثالث والأربعون

ليس غيرى مخلص
قدم الإصحاح السابق صورة قاتمة لما بلغ إليه الشعب فى فترة السبى البابلى فصاروا كعمى وصم ، لهم أعين وآذان لكنهم لم يلاحظوا عمل الله ولم يسمعوا صوته . هذه صورة خفيفة لعمل الخطية فى حياة البشرية لذا صارت الحاجة إلى تدخل الهى ، هو وحده يقدر أن يفدى ويخلص ، يحطم كل عقبة تقف فى حياة أولاده دون انتظار لمكافأة أو لمقابل من جانبهم .

(1) لا تخف فإنى معك :

يبدأ حديثه هكذا : " والآن هكذا " إش 43 : 1 ، كأن الله يريد أن يغير الصورة السابقة ، صورة سبى الخطية المر ، الذى أفقدنا البصيرة الداخلية وآذان النفس ، وذلك بتقديمه غنى مواعيده الخلاصية وفيض نعمته الفائقة .

الآن ما هو دور الفادى المحرر من سبى الخطية ؟

(أ) الله الخالق وحده يقدر أن يجدد الخليقة : " والآن هكذا يقول الرب خالقك يا يعقوب وجابلك يا إسرائيل ، لا تخف لأنى فديتك " إش 43 : 1 .

كانت الحاجة ماسة إلى ابن الله الواحد مع الآب والمساوى له فى الجوهر أن يقدم نفسه ذبيحة قادرة على الإيفاء بدين خطايانا وتحقيق العدالة والرحمة الإلهية فى ذات الوقت .

(ب) اهتمام شخصى من جانب المخلص نحو الإنسان ، الله لم يخلق الإنسان وكأنه كبقية المخلوقات ، إنما اعطاه اهتماما خاصا كخليقة محبوبة لديه ، يعرف الإنسان باسمه فيدعوه ويفديه ليكون له ، أى لينعم الإنسان بالاتحاد معه .

ما أجمل صوت الفادى حين ينادى كل إنسان ، قائلا :

" لا تخف لأنى فديتك ،

دعوتك باسمك ،

أنت لى " إش 43 : 1 .

(ج) الله المخلص هو سر نصرتنا ، مادام معنا لا تغمرنا مياة هذا العالم ولا تحرقنا نيران الشهوات .

" إذا اجتزت فى المياة فأنا معك ، فى الأنهار فلا تغمرك . إذا مشيت فى النار فلا تلدغك ، واللهيب لا يحرقك " إش 43 : 2 .

صورة رائعة لعمل المخلص ، يهبنا ذاته فلا يقدر الموت بكل وسائله وطرقه أن يبتلعنا .. نحمل مسيحا " القيامة " يو 11 : 25 . فىنا فنمارس الحياة المقامة الغالبة للموت .

د – المخلص يدفع الثمن ، فقد تطلعت الكنيسة الأولى إلى الصليب كإيفاء للدين الذى علينا نحو الآب ، وكإقتناء لنا من يد إبليس الذى اشترانا عبيدا له فدفع الرب دمه ثمنا لذلك من أجل تحريرنا . هذا هو عمل المخلص القدوس الذى يريد تقديسنا بدمه وتحريرنا من عبودية إبليس ، لذلك يقول :

" لأنى أنا الرب إلهك قدوس إسرائيل مخلصك ، جعلت مصر فديتك ، كوش وسبا عوضك " إش 43 : 3 .

لقد اشترانا الرب لا بذهب أو فضة إنما بدمه الثمين ليقمنا ملوكا وكهنة :

" لأنك ذبحت واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة ، وجعلتنا لإلهنا ملوكا وكهنة " رؤ 5 : 9 ، 10 .

" لأنكم قد اشتريتم بثمن ، فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله " 1 كو 6 : 20

" لقد اشتريتم بثمن فلا تصيروا عبيدا للناس " 1 كو 7 : 23 .

(هـ) المخلص يرد لنا مجدنا ووحدتنا : غالبا ما يؤس الكثيرون أثناء السبى من إمكانية العودة إلى بلادهم بسبب طول مدة بقائهم فيه ، لكن الله المخلص يطمئن أولاده قائلا :

" لا تخف فإنى معك . من المشرق أتى بنسلك ومن المغرب أجمعك . أقول للشمال أعط وللجنوب لا تمنع . إيت ببنى من بعيد وبناتى من أقصى الأرض . بكل من دعى بأسمى وكمجدى خلقتة وجبلته وصنعتة " إش 43 : 5 - 7 .

يلاحظ فى هذا الإصحاح أن الله يتحدث عن نفسه " أنا " لا يقل عن 36 مرة حتى دعى أصحاب " الذات الإلهية " أو " الأنا الإلهية " وقد تكرر نفس الأمر فى الإصحاح الخامس والأربعين 31 مرة .. ماذا يعنى هذا ؟ إن كان عمل الخطية هى تحوصل الإنسان فى " الأنا " ، فيجد فى نفسه مركزا للعالم وللآخرين ، يود أن يتمتع بالملذات الجسدية أو الكرامة لحسابه الخاص فى كبرياء وأنانية ، فإن مسيحنا على العكس يقدم ذاته التى هى " الحب " لكى نقتنيه . عندما ينادينا ألا نخف ، وعندما يدعونا بالأسم ، ويؤكد رعايته لنا أينما وجدنا ومهما حلت بنا من تجارب وعندما يقدم لنا مواعيده بأن يجمعنا من أفاصى المسكونة لكى يضمنا إليه .. إنما فى هذا كله لا يطلب ما لنفسه بل ما هو لنا . يهبنا معيته لكى نقتنيه . لهذا بين الحين والآخر يقول " إنى معك " ، وأنه لنا ، نصيبنا الأبدى .
(2) أنتم شهودى

ماذا يقدم الله لنا ؟

يقدم ذاته نورا لنا فيفتح حواسنا لنبصر أمجاده فينا وملكوته السماوى معلنا داخلنا ، ويفتح آذاننا لنسمع صوته الإلهى وندرك غاية وصيته ، فتصير لنا آذان الأبناء الذين يعرفون صوت أبيهم بل حتى حركة رجليه .. هذا ما عناه بقوله :

" اخرج الشعب الأعمى وله عيون والأصم وله آذان " إش 43 : 8 .

هذا هو دور الله مخلصنا فى حياتنا الداخلية حيث يجدد طبيعتنا فى مياة المعمودية بروحه القدس ليهبنا الإنسان الجديد القادر على التمتع بالشركة الإلهية .

خلال هذه الخبرة نشهد للغير ، فتدعو الكنيسة لإجتماع عام للأمم (إش 43 : 9 - 13) للتعرف على المخلص وتأكيده تحقيق ما سبق فوعده خلال أنبيائه عبر الأجيال قبل مجيئه

" اجتمعوا يا كل الأمم ولتلتئم القبائل . من منهم يخبر بهذا ويعلمنا بالأوليات ، ليقدّموا شهودهم ويتبرروا ، أو ليسمعوا فيقولوا صدق . أنتم شهودى يقول الرب وعبدى الذى اخترته لكى تعرفوا وتؤمنوا بى وتفهموا أنى أنا هو . قبلى لم يصور إله وبعدى لا يكون . أنا أنا الرب وليس غيرى مخلص .. " إش 43 : 9 - 11 .

يطالب الله من تمتع بالبصيرة الجديدة والآذان الروحية الجديدة أن يدعوا الأمم والقبائل للدخول معهم فى حوار عملى خلال ما يعيشونه . فى هذا الحوار يسألوا الأمم إن كان عندهم نبوات سابقة واضحة وأكيدة فيما يخص المستقبل (إش 41 : 22) . أما نحن فقد قبلنا نبوات لا عن انتصار كوش على بابل لإنقاذ شعب الله القديم ، وإنما عن المسيا ، العبد المختار .

يؤكد الكتاب المقدس أن الله وحده هو المخلص : " أنا أنا الرب وليس غيرى مخلص " إش 43 : 11 . الله الخالق فى غيرته على محبوبه الإنسان ، لا ياتمن خلاصه على أحد بل يرعى شعبه بنفسه ويبدل حياته عنه " الراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف " يو 10 : 11 . هو خلق وهو الذى يجدد الخلقة ويخلصها !

(3) سقوط بابل

الله الذى سمح بتأديب شعبه بالسبى البابلى الآن من أجل محبته لشعبه يسمح بسقوط بابل . يتحدث بصيغة الماضى ليؤكد لسامعيه أن ما سيحدث هو حقيقة واقعة لا بد أن تتم . جاء النص مختلفا من ترجمة إلى أخرى مع بقاء المعنى ثابتا :

" هكذا يقول الرب فادبكم قدوس إسرائيل : لأجلكم أرسلت إلى بابل وألقيت المغاليق عليها (أهدرت نبلاءها) والكلدانيون في سفن ترنمهم (صراخهم في سفنهم) " إش 43 : 14 .

هنا يظهر الله كقائد للجيش المعادية يرسل مادي وفارس إلى بابل ، وهناك يلقي بالرعب في قلوب سكانها فيهربون سريعا (4) خروج جديد

الله الذي يخلص شعبه أن وهبهم خلاصا على يدى موسى ليحررهم من عبودية فرعون ، وها هو يخرجهم من السبي البابلي كما في خروج جديد ، ويبقى على الدوام يخرج بهم من أسر الخطية إلى حرية مجد أولاد الله ، ينطلق بهم كما من أعمال الإنسان العتيق إلى التمتع المستمر بأعمال الإنسان الداخلي الجديد .

" هكذا يقول الرب الجاعل في البحر طريقا وفي المياه القوية مسلكا ، المخرج المركبة والفرس الجيش والعز . يضطجعون معا لا يقومون . قد خمدوا كفتيلة انطفأوا " إش 43 : 16 ، 17 .

هذا الخلاص الذي تحقق ضد فرعون وأيضا ضد بابل يجب أن يتم ضد أعمال الإنسان العتيق (كو 3 : 9) ، لذا يكمل النبي حديثه ، قائلا :

" لا تذكروا الأوليات ، والقديمات لا تتأملوا فيها ، هأنذا صانع أمرا جديدا ، الآن ينبت ، ألا تعرفونه ؟! اجعل في البرية طريقا ، في القفر أنهارا " . إش 43 : 18 ، 19 .

يريدنا ليس فقط أن نخلع الإنسان القديم بأعماله وإنما أن ننساه تماما ولا نعود نذكره أو نتأمل فيه حتى لا نياس ونتحطم ، إنما بالحرى ننشغل بالحياة الجديدة التي تنبت فينا . إنه يجعل في البرية طريقا وفي القفر أنهارا . ما هذا الطريق إلا السيد المسيح نفسه القائل :

" أنا هو الطريق " يو 14 : 6 .

يؤكد الله انفتاح باب الإيمان أمام الأمم لأقتناء شعب جديد ، يعرف الفرح الداخلي والتسبيح ، قائلا :
" يمجدي حيوان الصحراء الذئب وبنات النعام لأنى جعلت في البرية ماء أنهارا في القفر لأسقى شعبي مختارى ، هذا الشعب جبلته لنفسي ، يحدث بتسبيحي " إش 43 : 20 ، 21 . يشبه الأمم بالحيوانات المفترسة التي تعيش في البرية ، ذلك بسبب ما اتسموا به من عنف شديد ، ولأنهم عاشوا كما في البرية ليس بينهم مواعيد ولا عهود ولا شريعة إلهية إلخ .. في حالة قفر شديد . هؤلاء القساة صاروا يتمتعون بماء أنهار الروح القدس ليشربوا ويرتوا ، ويقبلوا العضوية في شعب الله المختار . بهذا تتغير طبيعتهم خلال عمل الثالوث القدوس فيهم ويفتح قلوبهم للفرح ولسانهم للتسبيح .

ما أجمل العبارة الإلهية : " هذا الشعب جبلته لنفسى ! " إش 43 : 21 صرنا له ، نصيب الرب ، كما هو لنا نصيبنا ! .
(5) الخلاص عطية مجانية :

الله يقدم أعماله الخلاصية مجانا للبشرية ، لكن هناك بعض العوائق التي عطلت مقاصد الله مع الشعب القديم الذي رفض الإيمان بالمخلص ، هذه العوائق هي :

أ – عدم الصلاة : " وأنت لم تدعنى يا يعقوب حتى تتعب من أجلى يا إسرائيل " إش 43 : 22 ..فإن الصلاة هي سر قوتنا ، سر تمتعنا بعمل الله وكما يقول الآباء : تفعل الصلاة ما تحب كما يستطيع الله ! ..

ب – تجاهل الله حتى في الأمور الصغيرة : " لم تحضر لى شاة محرقتك وبذائحك لم تكرمنى . لم استخدمك بتقدمة ولا أتعبتك بلبان . لم تشتري بفضة قصبا وبشحم ذبائحك لم ترونى " إش 43 : 23 ، 24 .

حينما أخرج الله شعبه من مصر لم يكن في عوز إلى تقدماتهم وذبائحهم الحيوانية ، إنما كان يطلب قلوبهم ، يشاق أن يقر بهم إليه بكونهم شعبه الخاص ، أما الذبائح فكانت رموزا لذبيحة المسيح ، وعلامة حب له .. كان ينتظر أن يقدموا قلوبهم مع محرقاتهم وذبائحهم وبخورهم الخ

ج - الانشغال بالملذات الجسدية والشهوات العالمية : " لكن استخدمتنى بخطاياك وأتعبتنى بآثامك " إش 43 : 24 . عوض تكريم الرب بتقديم القلب ذبيحة محرقة مع ممارسة العبادة انحرف الشعب إلى الأنانية والأرتباك بالأمور الزمنية ..

مع ما بلغنا من الشر يبقى الله منتظرا توبتنا واعترافنا بخطايانا لكي يغفرها لنا من أجل اسمه القدوس ومحبتة الفائقة ، مؤكدا لنا : " أنا هو الماحي ذنوبك لأجل نفسي وخطاياك لا أذكرها ، ذكرني فنتحاكم معا . حدث لكي تتبرر " إش 43 : 26 ، 25 .

يجب ألا نخجل من الاعتراف بالخطايا ، فإن آبائنا الأولين سبقوا أن أخطأوا ، في مقدمتهم آدم الأول : " أبوك الأول أخطأ ووسطاؤك عصوا على " إش 43 : 27 .

أما ثمرة الخطايا والعصيان فهي " اللعنة " وفقدان الكرامة ، إذ قيل : " دفعت يعقوب إلى اللعن وإسرائيل إلى الشتائم " إش 43 : 28 .

+ + +

إشعيا - الإصحاح الرابع والأربعون
إنسكاب الروح والحياة الجديدة

يعتبر هذا الإصحاح تكملة للأصحاح السابق ، فيه يعلن الله عن تحقيق خلاصنا بسكب روحه القدوس على كنيسة لأجل تجديدها المستمر ، يقيم فيها شهودا له بعمله الداخلي فيهم ، يشبعهم ويقدمهم ، غافرا خطاياهم ، وذلك على خلاف الفراغ الداخلي الذي عانى منه الناس خلال العبادة الوثنية .
كان الخلاص الذي يقدمه الله لشعبه يحمل اتجاهين : تأكيدا أن الله فيه كفايتنا ، البعد عنه سخافة وخداع للقلب .

(1) إنسكاب الروح

يحقق الله دعوته واختياره لإسرائيل الجديد بانسكاب روحه القدوس على المؤمنين ليقم كنيسة العهد الجديد ، إذ يقول : " والآن اسمع يا يعقوب عبي وإسرائيل الذي اخترته ، هكذا يقول الرب صانعك وجابلك من الرحم معينك . لا تخف يا عبي يعقوب ويايشورون الذي اخترته ، لأنني أسكب ماء على العطشان وسيولا على اليابسة . أسكب روحي على نسلك وبركتي على ذريتك ، فينبتون بين العشب مثل الصفصاف على مجارى المياه ، هذا يقول : أنا للرب وهذا يكنى باسم يعقوب ، وهذا يكتب بيده للرب وباسم إسرائيل يلقب " إش 44 : 1 - 5 .

يلاحظ في هذه العطية العظمى الآتى :

(أ) يشناق الله أن يعطى ليس فقط بركاته وعطاياه الخارجية إنما أن يهب ذاته للإنسان :

" أسكب روحي على نسلك " ، يهب واهب العطايا ، ومانح البركة كهبة وعطية ..

(ب) يدعو كنيسة " يشورون " ، وقد ظهر هذا الأسم أربع مرات في العهد القديم (تث 32 : 15 ، 33 : 5 ، 6) ، معناه " مستقيم " ، مشتقة من ياشر . وكأنه يدعو كنيسة التي ضمت الخطاة " مستقيمين " وذلك بفعل روحه القدوس . كانه يشجع شعبه على التجاوب مع عطية روحه القدوس فيتركوا انحرافهم وعصيانهم ويترنموا ببهاء الرب وجماله الروحي .

(ج) يقدم لنا عطية روحه القدوس الذى يعمل فينا حسب احتياجنا ، فمن كان ظمأنا يسكب له ماء ليرويه ، أما من كان كأرض يابسة فيفيض عليه سيولا لتحول اليابوسة والفقر إلى بستان . إنه سخي فى العطاء ، يهبنا حسب احتياجنا ، وقدر تجاوبنا معه . يقول :
" افقر فاك فأملأه " مز 81 : 10 .

(د) ماذا يعنى : " ينبتون بين العشب مثل الصفصاف على مجارى المياه " ؟ ربما عنى أن المتمتع بعطية الروح القدس ينت كشجرة ضخمة بين عشب زائل .

(هـ) من يتمتع بالروح يكتب على يده : " للرب " ، إذ كانت العادة القديمة أن يكتب الإنسان اسم الإله أو سيده على يده كوشم ، وقد منع الله شعبه من ذلك حتى لا يكتبوا اسم الوثن على أيديهم عند انحرافهم فيصعب بل وكان مستحيلا إزالته .

" وباسم إسرائيل يلقب " ، إذ حملت كنيسة العهد الجديد المتمتعة بعطية الروح لقب

" إسرائيل الجديد " ، ورثت عن إسرائيل القديم الكتب المقدسة بما ضمته من شريعة إلهية ووصايا ونبوات وعهود وموايد .. لقد فهمت ذلك كله بالروح لا الحرف وأدركت أسرار إلهية وتمتعت بأمر فائقة .

(2) أنتم شهودى

المتحدث هنا هو السيد المسيح ، الصخرة التى أفاضت ماء على الشعب (1 كو 10 : 4) لذا يقول " أسكب ماء على العطشان " إش 44 : 3 ، وما هو يدعو نفسه " ملك إسرائيل وفاديه " إش 44 : 6 ، وقد اعترف أمام بيلاطس أنه ملك .
يدعو نفسه هنا " رب الجنود " ، " أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيرى " إش 44 : 6 . وفى سفر الرؤيا يقول السيد المسيح : " أنا هو الألف والياء ، البداية والنهاية " رؤ 1 : 8 ، " أنا هو الأول والآخر " رؤ 1 : 17 ، 22 : 13 . واضح أن الفادى رب الجنود الإله الوحيد الذى ليس إله غيره . هو المسيح المخلص .. هذه هى شهادة المتمتعين بخلاصه :
" فأنتم شهودى ، هل يوجد إله غيرى ؟ " إش 44 : 8 .

(3) الوثنية والفراغ

بعدما تحدث عن عطية الروح العظمى التى قدمتنا شهودا للحق ، نعلن عن تمتعنا بالله مخلصنا كرب الجنود ، قائد المعركة الروحية ، ومشبع الكل بكونه الأول والآخر ، سند رجال العهد القديم وأيضاً مؤمنى العهد الجديد .. الآن يقارن بين شهادة المؤمنين وشهادة عبدة الأوثان :

أ – الشهادة للمخلص تهب شعباً وارتواء وإثماراً : " لأننى أسكب ماء على العطشان وسيولاً على اليابسة فينبئون بين العشب مثل الصفصاف " إش 44 : 3 ، 4 .

أما الشهادة للأوثان فتقدم بطلاناً وفراغاً وجوعاً مع عمى وجهل :

" الذين يصورون صنماً كلهم باطل ، ومشتهياتهم لا تنفع ، وشهودهم هى ، لا تبصر ولا تعرف حتى تخزى " إش 44 : 9

ب – الشهادة للمخلص تهب سلاماً : " لا تخف " إش 44 : 2 ؛ " لا ترتعبا ولا ترتاعوا " إش 44 : 8 ، أما خوفه فخوف ورعدة " يجتمعون كلهم يقفون يرتعبون ويخزون معا " إش 44 : 11 .

لقد اجتمعت كل الطاقات معا ضده من رؤساء كهنة وكتبة وفريسيين وصدوقيين وولاءة رومان الخ ... لكنهم حملوا رعباً وخوفاً حتى فى لحظات الصلب والسخرية بالمصلوب ! أروعهم شرهم الداخلى وفراغ قلبهم من النعمة الإلهية ، وثارت الطبيعة عليهم فانكسفت الشمس وانخسف القمر وحدثت زلازل وتشققت الصخور وقام كثير من الأموات !

ج - يتمتع شهود الرب بالكرامة فيحسبون " إسرائيل الجديد " وينقشون اسم المخلص على أيديهم الداخلية ، وكأنهم لا يعملون إلا باسمه (إش 44 : 5) ، أما شهود الخارجين عنه فيحملون عارا وخزيا (إش 44 : 11) .

أخيراً ماذا تقدم عبادة الأوثان (= اعتزال الله) :

أ – عمى البصيرة الداخلية وظلمة داخلية (إش 44 : 18) - بينما المسيح هو شمس البر (ملا 4 : 2) .

ب – جهلاً وعدم معرفة (إش 44 : 19) ، بينما المسيح هو برنا .

ج - جوعاً فيأكل الإنسان رمادا (إش 44 : 20) ، بينما السيد المسيح هو الخبز السماوى

د – كذباً وخداعاً وتضليلاً (إش 44 : 20) ، بينما السيد المسيح هو الطريق والحق .

بمعنى آخر نجد فى مسيحنا الأستنارة الداخلية والمعرفة والشبع والحق وكل احتياجاتنا ، أما خارجه فلا يوجد إلا الفراغ الداخلى والشعور بالعزلة وفقدان البصيرة الداخلية .

(4) أنت لى

أبرز بطلان العبادة الوثنية أو اعتزال الله ، لا للنقد العقلاني المجرد ، وإنما لإثارة النفس وحثها على قبول عمل الله الخلاصى ، الذى يتركز فى الآتى :

أ – إقامة شعب الله : " اذكر هذه يا يعقوب ، يا إسرائيل فإنك أنت عبدى " إش 44 : 21 ... رنا إسرائيل الجديد المتعبد لله .

ب – انتسابنا له : " لى أنت " إش 44 : 21 ، لسنا فقط خليفته وشعبه ، إنما يعتز الله بنا كأولاد له ، منسوبين إليه .

ج - غير منسيين منه (إش 44 : 21) .

د – ننعم بغفران الخطايا مهما بلغت كثافتها : " قد محوت كغيم ذنوبك وكسحابة خطاياك ، ارجع إلى لأنى فديتك " إش 44 : 22 .

هـ - يهب النفس (السموات) تسبيحا ، والجسد (الأرض) هتاف فرح ، وطاقتنا (الجبال) ترنما ، ويصير كل ما فى داخلنا كأشجار تمدج الله (إش 44 : 23) .

(5) نبوة عن كورش :

قبل حوالى 220 سنة أعلن الله عما يتم على يدى كورش الوثنى لأجل بنيان أورشليم وتأسيس الهيكل حسب مسرة الله : " القائل عن كورش راعى ، فكل مسرتى يتم ، ويقول عن أورشليم ستبنى وللهيكل ستؤسس " إش 44 : 28 . هنا لأول مرة يذكر اسم " كورش " راحة ، معناه بالفارسى " شمس " ، وبالأرامية " راع " ، يرى البعض أن " راعى " لقب لبعض ملوك الشرق الأوسط قديما .

يذكر المؤرخ اليهودى يوسيفوس أن كورش قرأ فى إشعياء اسمه قبل 220 سنة وأراد أن يحقق ما ورد عنه (راجع عزرا 1 : 2 ، 2 : 36) .

ماذا يعنى بقوله : " القائل للجة انشفى وأنهارك أجفف " إش 44 : 27 ؟

أ – يصور أورشليم بلجة ماء ونهر لا يمكن أن يقام فيه الهيكل بعد ، وذلك حسب الفكر البشرى ، لأن اليهود فقدوا رجاءهم تماما أثناء السبى البابلى ، لكن الله الكلى القدرة والرعاية يجفف اللجج والأنهار محققا وعوده لنا .

ب – ربما يشير هنا إلى عبور بحر سوف ونهر الأردن ليؤكد أنه قادر أن يعبر بهم من السبى ويردهم إلى أرض الموعد .

ج - ربما أشار إلى كورش الذى عبر الفرات واقتحم مملكة بابل .

إشعياء – الإصحاح الخامس والأربعون

كورش والخلص

تعتبر الإصحاحات السابقة (40 – 44) دعوة موجهة إلى الكنيسة لكى تتعزى بالله مخلصها ، فيه وحده تجد شعبها بكونها له وهو لها ، الآن يعلن الله خلال الإصحاحات 45 – 47 عن سر تعزيتها ألا وهو تحطيم الشر المقاوم لها . فقد سبق فدعى كورش راعيه (إش 44 : 28) معلنا عن اسمه قبل حوالى قرنين من هجومه على بابل بكونه آله فى يد الله لتحطيم من أذل شعبه واستخدامه لإرجاعهم إلى وطنهم .

(1) حديث الهى لكورش

يظهر من الكتابات البابلية أن كورش هذا كان ابنا لقمييز وحفيدا لكورش آخر ، وجميعهم مع أجدادهم ملكوا فى شرق عيلام حيث كانت شوشان عامة ملكهم منذ سنة 550 ق . م .

يعتبر كورش مؤسس المملكة الفارسية ، قيل إنه بدأ حياته كقائد فرقة خاملة فى فارس ، نجح فى أن يصير قائدا لفرقتين من جنود الجبال ، وكان طموحا للغاية فبدأ غزواته للممالك الصغيرة المجاورة ، غير أن بابل سخرت به واستهترت بإمكانياته

حتى دخل بابل سنة 539 ق . م . فى أيام بيلشاصر ملكها ، وكان قد جمع فى شخصه قوة مملكتى فارس ومادى ، بهذا تحققت نبوة دانيال (دا 5 : 28) ، وكان دانيال فى بلاط كورش أيضا (دا 6 : 28) .

قالوا عن كورش أنه كان كمثّل أعلى فى القوة مع البساطة والطهارة وضبط النفس .

الآن يواجه الله حديثا لكورش قبل مجيئه بحوالى قرنين ، فيه يعلن عن نظرته إليه ، وعمله الإلهى فى حياته ، وغاية الله منه ويلاحظ فى هذا الحديث الآتى :

أ – تظهر كلمة " أنا " للرب 16 مرة فى حديث الله مع كورش (إش 45 : 1 – 7) . و 31 مرة فى الإصحاح كله . وكان الله يريد تأكيد أن قيام كورش بسماع الهي وأن غلبته هو وجيشه وتحطيم بابل كإناء خزفى لا يمكن إصلاحه هو من قبل الله نفسه .

ب – يدعو الرب كورش " مسيحه " إش 45 : 1 ، مع أنه لا يعرف الرب (إش 45 : 4 ، 5) ، ربما لأنه كان يتعبد لله الواحد المجهول مع احترامه للديانات ككل ، أو لأنه حقق خطة الله نحو خلاص شعبه من السبي البابلى ، ولأنه كان رمزا للسيد المسيح مخلص العالم

ج - من جهة عمل الله معه يقول : " الذى أمسكت يمينه لأدوس أمامه أمما وأحقاء ملوك أحل " إش 45 : 1 . يقوم الله بدور الأب الذى يمسك بكورش كطفل له لكى يسير ، وكان الله هو الموجه له وسر قوته يسنده ليحطم الشر . يعطيه النصر فى الحرب ضد الأمم فيدوسهم ، إذ كانت العادة أن يدوس المنتصر على أعناق العظماء الأسوريين ، وأن يحل أحقاء ملوك أى يفقد قوتهم وعظمتهم وجبروتهم . وقد تحقق ذلك حرفيا عندما رأى بيلشاصر الملك أصابع يد إنسان تكتب على حائط القصر ، " تغيرت هيئة الملك وأفزعته أفكاره وانحلت خرز حقيقه واصطكت ركبته " دا 5 : 6 .

على أى الأحوال كان كورش رمزا للسيد المسيح فى هذا الأمر الذى قيل عنه " الرب عن يمينك يحطم فى يوم رجزه ملوكا " مز 110 : 5 .

العجيب أنه قيل فى نفس المزمور على لسان الأب " اجلس عن يمينى " مز 110 : 1 .

لأنه لا يعنى باليمين وضعها مكانيا أو اتجاها معينا إنما هو رمز للقوة الإلهية ، وعلامة الاتحاد وعدم الانفصال ، إذ هما واحد فى اللاهوت وواحد فى القوة .

د – " لأفتح أمامه المصراعين ، الأبواب لا تغلق " إش 45 : 1 . هكذا يتقدم الله أمام كورش مسيحه ليفتح أمامه الأبواب المغلقة وتنهار قدامه الحصون التى من عمل البشر ، حتى الطبيعة أيضا تتحرك لمساندته : " أن أسير قدامك والهضاب أمهد ، أكسر مصراعى النحاس ومغاليق الحديد أقصف " إش 45 : 2 .

حينما نرتبط بمسيحنا الغالب نسير فى الطريق الملوكى ونرتفع نحو السماويات كما بغير عائق ، لأن الرب يتقدمنا ، فتفتح أمامه أبواب الأبدية لحسابنا . لقد اقتحم كورش أسوار بابل بأبوابها النحاسية الضخمة التى بلغت مئة بابا كقول هيرودت .

هـ - الله يهب كورش كنوز بابل الخفية ، إذ كانت عادة الملوك أن يخفوا كنوزهم فى أماكن لا يعلمها أحد حتى لا يستطيع العدو أن يغتصبها .

" وأعطيك ذخائر الظلمة وكنوز المخابىء لكى تعرف إنى أنا الرب الذى يدعوك باسمك إله إسرائيل " إش 45 : 3 . مادام الله هو " مصور النور " إش 45 : 7 ، لهذا فهو يكشف لأبنائه الأمور المخفية ويهبهم كنوز نعمته غير المدركة .

و – يكشف الله لكورش غايته منه : " لأجل عبدى يعقوب وإسرائيل مختارى دعوتك باسمك ، لقبنتك وأنت لست تعرفنى " إش 45 : 5 . ما يقدمه له إنما لحساب مؤمنيه ، ولأجل شعبه .. هكذا يليق بنا – كمسحاء للرب التصقنا بربنا يسوع المسيح الفريد – أن نتعرف على رسالتنا ألا وهى بنيان الجماعة ونموها فى الرب .

ز – إذ عرفت الديانات الفارسية بالغنوصية التى ركزت على " ثنائية الله " بمعنى وجود إله للخير وإله للشر ، لهذا أراد الله أن ينتزع هذا الفكر من كورش ، قائلا له : " أنا الرب وليس آخر ، مصور النور وخالق الظلمة ، صانع السلام وخالق الشر ، أنا الرب صانع كل هذه " إش 45 : 7 .

جاءت كلمة " الشر " لا بمعنى الخطية وإنما ثمر الخطية أو عقوبتها من حزن وضيق . يقول القديس يوحنا الذهبي الفم : [يوجد شر هو بالحقيقة شر : الزنا ، الدعارة ، الطمع ، وأشياء أخرى مخفية بلا عدد تستحق التوبيخ الشديد والعقوبة . كما يوجد أيضا شر هو فى الحقيقة ليس شرا ، إنما يدعى كذلك مثل المجاعة ، الكارثة ، الموت ، المرض وما أشبه ذلك ، فإن هذه ليست شرورا وإنما تدعى هكذا . لماذا ؟ لأنها لو كانت شرورا لما كانت تصبح مصدرا لخيرنا ، إذ تؤدب كبرياؤنا وتكاسلنا ، وتقودنا إلى الغيرة ، وتجعلنا أكثر يقظة] .

(2) تذر على اختيار كورش

يبدو أن تذرنا قد حدث بين اليهود كما أيضا بين الأمم ، تذر اليهود على الله لأنه يحقق الخلاص برجل وثنى ، فإن اختياره يحطم كبرياءهم وتعصبهم لبنى جنسهم . هذا من جانب اليهود أما الأمم فقد تمرمرت نفس بعضهم أن يقوم أحدهم بهذا الدور فيحقق خلاصا لليهود من السبى ويساعد على إقامة الشعائر بأورشليم .

أمام هذا الوضع رفع إشعيا قلبه نحو الله ليقدّم صلاة ليتورجية فيها يعلن أن ما يحدث خلال كورش هو رمز لما يتحقق بواسطة السيد المسيح . :

" أقطرى أيتها السموات من فوق ، ولينزل الجو برا . لتفتتح الأرض فيثمر الخلاص ، ولتثبت برا معا ، أنا الرب قد خلقتك " إش 45 : 8 .

كان النبى يردد أن الخلاص يتم لا بسبب كورش وإنما خلال خلاص السيد المسيح وبره ... فى السيد المسيح تلاقى السموات مع الأرض ، إذ هو ابن الله السماوى ابنا للبشر ، ولد كبشرى على أرضنا .. وكأنه يقول " طأطأ السموات ونزل " مز 18 : 9

بعدما حول النبى أنظارنا من كورش إلى المسيح المخلص خلال ذبيحته الفريدة القادرة أن تبرر ، عاتب اليهود والأمم على تذرهم ضد الرب ، مقدما ويلين :

أ – الويل الأول : دخول الخزف فى مخاصمة مع الخزاف ، والطين مع جابله ، فإنه ليس من حق قطعة الخزف أن تطالب صانعيها بشكل معين كان تقول له :

" عمك ليس له يدان " إش 45 : 9 .. أى صنعت الخزف بدون يدين .

ب – الويل الثانى : احتجاج الطفل على أبيه أو أمه " ماذا تلد ؟ " أو " ماذا تلدين ؟ " .. كنت أود أن تلدانى ملاكا لا إنسانا يحمل ضعفا بشريا ويدخل تحت أثقال الحياة الأرضية ومتاعبها .

يليق بنا كخزف أو كبنين أن نشكر جابلنا وأبانا لا أن نتذر عليه !

(3) الله المخلص المحتجب

انشغل اليهود كما الأمم بقصة كورش فى حرفيتها وفى أعماله الزمنية ، مع أنه كان يليق بالكل أن يخرقوا الحرف ويلتقوا بالله المحتجب العامل وراء التاريخ لخلاص الجميع . ففى عتاب أبوى يقول الرب : " أسالونى عن الآيات . من جهة بنى ومن جهة عمل يدى أوصونى " إش 45 : 11 .

أود ألا تنشغلوا إلا بالآيات أى بالمستقبل الأبدى حيث يليق بكم أن تطلبوا ملكوت الله وبره وهذه كلها تزداد لكم . وأن تصلوا من أجل بنيه ، أى ننشغل فى صلواتنا بمؤمنيه وعمل يديه ، إذ يليق بنا أن ندرك مركزنا ودالتنا العجيبة لديه .

مرة أخرى يؤكد لهم أنه يجب أن ينشغلوا به لا بكورش فهو " إله محتجب .. المحتجب " إش 45 : 15 ، هو العامل فى الخفاء .

سمات هذا الخلاص الإلهى :

أ – خلاص مجاني : " أنا قد أنهضته بالنصر ، وكل طريقه أسهل ، وهو يبنى مدينتى ، ويطلق سببى بلا ثمن ولا بهدية يقول رب الجنود " إش 45 : 13 . فقد حقق كورش خطة الله نحو شعبه دون انتظار مكافأة من الشعب ، لم يدفعوا ثمنا لكورش من أجل تسهيل الطرق لهم وبناء المدينة وتحريرهم من السبى . كان ذلك رمزا لخلاص السيد المسيح المجانى

كقول الرسول بولس : " متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح ، الذى قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله " رؤ 3 : 24 ، 25 .

ب – خلاص جامعى : يحول المصريين والكوشيين والسبائيين إلى الإيمان ، فدخلوا إسرائيل الجديد بروح الأنضاج والعبادة (إش 45 : 14) . لقد بسط ربنا يسوع المسيح يديه على الصليب ليضم بالواحدة الشعب القديم ، وبالأخر جماعة الأمم ، لقد ضم العالم كله فى أحضانه ليرفع البشرية إلى النبوة للأب بروحه القدس .

ج - خلاص أبدي : " أما إسرائيل فيخلص بالرب خلاصاً أبدياً ، لا تخزون ولا تخجلون إلى دهر دهور الأبد " إش 45 : 17 .

د – خلاص علنى : " لن أتكلم بالخفاء فى مكان من الأرض مظلم " إش 45 : 19 لقد صلب رب المجد علانية على جبل الجلجثة .

(4) دعوة للخلاص فى المسيح

يتحدث السيد المسيح إلى الأمم ليدعوهم للتمتع به كمخلص قادر أن يبررهم : " واجتمعوا واهلموا تقدموا معا أيها الناجون من الأمم ..إلتفتوا إلى واخلصوا يا جميع أقاصى الأرض لأنى أنا الله وليس آخر . بذاتى أقسمت خرج من فمى الصدق ، كلمة لا ترجع ، أنه لى تجثو كل ركبة ، يحلف كل لسان ، قال لى إنما بالرب البر والقوة ، إليه يأتى ويخرج جميع المغتاطين عليه ، بالرب يتبرر ويفتخر كل نسل إسرائيل " إش 45 : 20 – 24 .

يلاحظ فى هذه الدعوة :

أ – دعوة جماعية فيها يطلب من الأمم أن تجتمع معا ككنيسة مقدسة واحدة ، تتقدم بروح الجماعة لقبول عمله الخلاصى .

ب – الله هو المخلص وليس آخر .

ج - دعوة مملوءة رجاء ، تحقق هدفها بأن تجثو له كل ركبة .

د – دعوة قوامها الإيمان : " إلتفتوا إلى " ، كما سبق أن آمن الشعب القديم والتفت إلى الحية النحاسية فبرأوا .

هـ - التمتع ببر المخلص وقوته .

ز - المخلص هو سر مجد مؤمنيه وخزى مقاوميه .

+ + +

إشعياء – الإصحاح السادس والأربعون

الله حامل أثقالنا

الله الذى سمح لشعبه بالسبى البابلى يرفعه خلال كورش ، معلنا رعايته لأولاده حاملا أثقالهم وأتعابهم . لا يوجد أثقل من حياتنا بخطاياها وذاتيتها ، لكنه هو يحملها عنا خلال عمله الخلاصى بالصليب .

فى مقارنة تصويرية رائعة يكشف النبى عن الفارق بين الحياة فى المسيح والحياة خارجها ، فى المسيح نصير محمولين به كما بأجنحة الروح ، خارجه نكون كالوثنيين تحتاج آلهتهم من يحمل أثقالها ويحرسها !
(1) الله حامل أثقالنا

يقارن الله بين آلهة بابل وبينه ، الأولى تحتاج إلى من يحملها ، أما هو فحامل حياتنا بكل متاعبها ، إذ يقول :

" قد جثا بيل انحنى نبر ، صارت تماثيلهما على الحيوانات والبهائم ، محمولاتكم محملة حملا للمعى . قد انحنيت جثت معا لم تقدر أن تنجى الحمل وهى نفسها قد مضت فى السبى " إش 46 : 1 ، 2 .

اهتز الإلهان الرئيسيان لبابل أمام كورش ، سجدا له ، فصار المعبودان عبيدين ، حملا بكل تماثيلهما على الحيوانات بلا قوة ، إذ الكل عاجز عن المشي وعن الحركة ، .. هل يستطيع هذان المعبودان أن ينجيا أحدا ماداما عاجزين حتى عن خلاص نفسيهما ؟!

" بيل " إسم أكادى يقابله الإسم العبرى " بعل " ، ربما هو بعينه الإله مردوخ (إرميا 50 : 2 ، 51 : 44) ، هو إله الشمس وإله الربيع .

" نبو " اسم بابلى معناه " مذيع " ، إله العلم والمعرفة .. كان ملوك بابل يتباركون به ، ويحملون اسمه مع أسمائهم الأصلية مثل نبوخذ راصر ، ونبوخذ ناصر ، ونبوذرادان ونبو شربان .

انكشف هذان الإلهان وانفضح عجزهما عن الحركة أو عن حماية زينتهما أمام كورش ، أما الله الحى فهو مخلص شعبه ، يحمل أثقالنا ونحن بعد لم نتشكل فى رحم أمهاتنا حتى نبلى الشيخوخة ، إذ يؤكد لنا " أنا هو أنا أحمل " إش 46 : 4 .

لا يكف الله مخلصنا عن دعوتنا إليه لكى يحمل أثقالنا ، قائلا : " تعالوا إلى يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم " مت 11 : 28 .

" قد فعلت وأنا أرفع وأنا أحمل وأنجى " إش 46 : 4 .

قد فعلت ، أى سمحت بالسبى البابلى لفضح ضعفاتكم .

وأنا أرفع ، أنزع عنكم هذا العار ، وأدبر تحرككم من السبى .

وأنا أنجى ، أدخل بكم إلى الحرية وأردكم إلى أرض الموعد ، وأخلصكم .

هذا هو عمل الله المخلص : يفعل ، ويرفع ، ويحمل ، ويخلص

لقد أكد الله حبه الفائق لنا ، يحملنا ونحن فى الأحشاء ويبقى حاملا إيانا حتى الشيخوخة ...

ليس لله فى حبه شبيه لا الوالدين ولا الآلهة الأخرى المحتاجة إلى من يصنعها ويرفعها على الكتف ويقيمها فى موضع ويجرسها حتى لا تسرق ، يصرخ إليها عابدها فلا تجيبهم وقت الشدة (إش 46 : 5 – 7) .

(2) دعوة كورش من المشرق

هذه هى مسرة الله (إش 46 : 10) ، انه صنع فى القديم ولا زال يعمل ويبقى عاملا من أجل خلاص شعبه . حمل أثقالهم فى أيام موسى عند خروجهم من مصر ويحملها أثناء ردهم من السبى البابلى ولا يزال يحملها خلال ذبيحة الصليب القائمة .

دعى كورش – رمز السيد المسيح – بالطائر الكاسر (إش 46 : 11) لأنه سريع الحركة ، قوى ينقض على بابل ليخطفها كفريسة ، يخطف آلهتها وكنوزها ...

إنه رمز للسيد المسيح الذى انقض على عدو الخير وحطم مملكته ليرد للإنسان كرامته وحرية وغناه الروحى .

" من أرض بعيدة رجل مشورتى " إش 46 : 11 ، رمز للسيد المسيح القادم من السماء ليصير " ابن انسان " (رجل مشورتى) الذى يحقق إرادة الأب فيه بمسرة .

يرى إشعياء النبى المخلص قادما من بعيد فيدعو الأمم البعيدين للقرب منه والتمتع ببره وخلاصه : " اسمعوا لى يا أشداء القلوب ، البعيدين عن البر ، قد قربت برى ، لا يبعد وخلاصى لا يتأخر " إش 46 : 12 ، 13 .

ربما يوجه حديثه هنا إلى البابليين قساة القلوب معلنا لهم أن مقاومتهم لبر الله ولخلاصه لن تدوم ، فقد اقترب وقت الخلاص

ولعله يتحدث مع قساة القلوب حتى يقبلوا بر الرب وخلاصه بلا مقاومة .

+ + +

إشعيا - الإصحاح السابع والأربعون

إنهيار بابل

إذ وصف كورش كطائر كاسر ينقض على بابل (إش 46 : 11) ، كظل لعمل السيد المسيح الخلاصى ضد إبليس ، الآن يكشف النبى عما سيحل ببابل المترفة المتنعة ، سيدة الممالك المتشامخة . إنه يتحدث عن عمل الخطية وثمارها فى حياة الإنسان .

(1) انهيار بابل

" انزلى واجلسى على التراب أيتها العذراء ابنة بابل ، اجلسى على الأرض بلا كرسى يا ابنة الكلدانيين لأنك لا تعودين تدعين ناعمة ومترفة " إش 47 : 1 .

دعيت بابل " العذراء " ، هذا التشبيه سائد فى الكتاب المقدس بخصوص المدن (إش 1 : 8 ، 37 : 22 ، إر 31 : 21 ، 46 : 11 ، مرا 1 : 15) ، هذه العذراء إما تخطب لله كعروس مقدسة له مثل أورشليم أو تخطب لعدو الخير فتصير عروسه ، متحدة به ، تحمل مملكة الظلمة التى له .

ماذا حل ببابل ؟ أو ما هى ثمار الخطية ؟

أ - بكونها عاصمة أكبر دولة فى ذلك الحين مالت إلى الاهتمام بمظاهر البهجة مع ممارسة الفساد ، لها صورة الفرح الخارجى ، فحل بها الحزن الشديد لتتنزل إلى التراب (إش 47 : 1) كأنها فقدت رجلها أو أحد أحبائها (يش 7 : 6 ، أى 2 : 12 ، 10 : 9 ، مز 22 : 15 ، مرا 3 : 29) .

عمل الخطية الأول هو فقدان الفرح الداخلى وسلام العقل الفائق ، فتمتلىء النفس مرارة ويأسا مع شعور بالعزلة والحرمان .

ب - عوض العرش " الكرسي " والسلطان تجلس بال على الأرض فى مذلة بكونها أسيرة (إش 47 : 1) .

يحدرننا الكتاب المقدس من الكبرياء ، " قبل الكسر الكبرياء ، وقبل السقوط تشامخ الروح ، تواضع الروح مع الودعاء خير من قسم الغنيمة مع المتكبرين " أم 16 : 18 ، 19 .

ج - بعد أن كانت بابل سيدة الممالك المتشامخة ، صارت تمارس أعمال العبيد الشاقة لحساب سادتها . هنا يصورها إشعيا النبى بإمرأة تطحن بالرحى ، وهو عمل يحتاج إلى سيدتين تعملان معا ، والرحى الكبيرة تديرها الحيوانات ، ها هى تؤمر بهذا العمل العنيف دون معونة من أحد (إش 47 : 2) . تصير كشمشون حين أذلتته الخطية ... فصار يدير الطاحونة عوض الحيوانات ، ليضحك الكل عليه ويستهزئون به .

إذ يتحدث القديس يوحنا الذهبى الفم عن صعودنا إلى السموات فى المسيح يسوع الصاعد يكشف لنا كيف انحدرت حياتنا وطبيعتنا فصرنا أقل من الحيوانات ، لكن مسيحنا رفعنا من هذه المذلة بصعوده ووهبنا التمتع بسمواته ، إذ يقول : [انظروا إلى طبيعتنا كيف انحطت ثم ارتفعت . فإنه ما كان يمكن النزول إلى أكثر مما نزل إليه الإنسان ، ولا يمكن الصعود إلى أكثر مما ارتفع إليه المسيح .. ويوضح بولس ذلك إذ يقول : " الذى نزل هو الذى صعد أيضا " . أين نزل ؟ " إلى أقسام الأرض السفلى " ، وصعد إلى " فوق جميع السموات " أف 4 : 10 .. إننا لم نكن سوى ترابا ورمادا .. لقد صرنا أكثر غباء من الحيوانات غير العاقلة ، فقد صار الإنسان يقارن بها وصار مثلها (مز 48 : 21 ، إش 1 : 3) .. انظروا كيف رنا أكثر غباء من الحمار والثور (إش 1 : 3) ، ومن طيور السماء واليمامة والسفينة (إر 8 : 7) .. صرنا تلاميذ للنمل (أم 6 : 6) .. أكثر جمودا من الحجارة (إش 6 : 2) ، نشبه بالأفاعى (مز 58 : 5) .. ندعى أبناء إبليس (يو 8 : 44) .. هكذا صار انحطاطنا وعدم استحقاقنا .. لكن اليوم ارتفعت طبيعتنا فوق كل خليقة . اليوم استعاد الملائكة من فقدوهم منذ زمن طويل ! اليوم رأى رؤساء الملائكة أولئك الذين يشاقون إلى رؤيتهم منذ زمن بعيد ! اليوم رأوا طبيعتنا فى العرش الإلهى تتلألأ فى جمال أبدى ومجد سرمدى !] .

هـ - " اكشفى نقابك ، شمرى الذيل " إش 47 : 2 ، وهو أمر غير لائق بالفتيات الصغيرات الشريفات فى ذلك الحين ، أن يكشفن وجوههن أو يشمرن ذيل ثيابهن .

بعد أن كانت تبحر بسفنها التجارية أو الحربية المزينة الكثيرة الثمن بكونها ملكة العالم ، يقال لها : " اكشفى الساق ، اعبرى الأنهار ، تنكشف عورتك وترى معاريك . آخذ نقمة ولا أصلح أحدا " إش 47 : 3 . لقد حطمت كثيرين وأسأت إلى أمم كثيرة لهذا استحققت أن يرتد إليها عملها فتحمل ذات العار ، وكأن الخطية تدخل بالإنسان إلى العار والخزى .

لقد أفقدتنا الخطية ثياب النعمة الإلهية فصرنا عراة ، لكن مسيحننا الحامل خطايانا نعرى من أجلنا ليقدم نفسه لباسا يستر خزينا .

+ ترك لباسه حين فرح (فى عرس الصليب) ،

حتى يلبس الذين خرجوا من الفردوس عرايا !

يلبسهم ثيابه ويبقى هو فى هزء ، لأنه عرف أنها تصلح لآدم المفضوح !

عروا ثيابه وألبسوه ثوبا قرمزيا لون الدم ،

حتى يتزين به العريس المقتول (الذبيح) !

و – تدخل فى حالة ذهول وكآبة بسبب ما يحل بها من كارثة ، فتصير عاجزة عن الكلام ، تعيش فى ظلام : " اجلسى صامتة وادخلى فى الظلام يا ابنة الكلدانيين ، لأنك لا تعودين تدعين سيدة الممالك " إش 47 : 5 .

(2) خطايا بابل

صدر الأمر بإنهيار بابل لكن ليس بدون حيثيات لهذا الحكم ، فإن الله فى محبته دائما يعلن لمن يسقط تحت دينونة أسباب الحكم لكى يتعظ الآخرون ولا يسقطون فى ذات الخطايا . أما خطايا بابل فهي :

أ – العنف وعدم الرحمة ، فقد سمح الله بتسليم شعبه لبابل لأجل التأديب ، لكن بابل استغلت الموقف ومارست العنف حتى على الشيوخ ، دون تقدير لعجزهم بسبب كبر سنهم (إش 47 : 6) . كان الله ينتظر منها ترفقا بشعبه ، الذين يحبهم حتى فى لحظات تسليمهم للتأديب .

ب- ظنت أنها فوق القانون ، ففى استخدامها للعنف لم تدرك أن ما تصنعه بالغير يحل بها ، وبالكيل الذى تكيل به يكال لها به . ظنت أنها سيدة الكل لم تذكر آخرتها (إش 47 : 7) .

جـ - تمسكها بالطمأنينة المخادعة أو السلام الكاذب (إش 47 : 8) الذى لا يقوم على لقاء النفس مع الله مصدر السلام وإنما على اعتقاد الإنسان أنه لن يحل به شيء من أجل عظمتة الباطلة أو مركزه أو غناه . حسبت أنها لن تصير أرملة ولا تكلى ، معتمدة على السحر والرقى فانخدعت وبغتها الترمل والتكل فى يوم واحد (إش 47 : 9) . صارت أرملة لأنها فقدت الملك ، وصارت تكلى بقتل سكانها كأولاد وبنات لها .

د – تجاهلها رؤية الله لها ومعرفته لأسرارها : " وأنت اطمأنتت فى شرك . قلت ليس من يرانى " إش 47 : 10 .

هـ - اتكأها على الحكمة البشرية المجردة (إش 47 : 10) ، مع الإلتجاء إلى السحر والرقى ، إذ حسبت أن راصدى النجوم يقدر أن يخلصوها وقت الشدة بمشورتهم ومعرفتهم للغيب ، فإذا بهم هم أنفسهم يحترقون كالقش ولا ينجون من اللهيب (إش 47 : 11 – 15) . لم تكن هناك دولة فى العالم تعرف بالسحرة والمنجمين مثلها (راجع سفر دانيال) . وها هو النبى يسخر بهم .

+++

إشعياء – الإصحاح الثامن والأربعون

الخروج الجديد

تضم الإصحاحات 48 – 49 أحاديث عن الخلاص مثل الأمر بالرجوع إلى الوطن ، الصلاة كمصدر القوة في الخلاص ، بهجة الخلاص .

بعد تقديم كلمة عتاب لشعبه الذى اتسم بالرياء مع قساوة القلب والانحراف إلى الوثنية ، كشف لهم الله عن مقاصده بتسليمهم للسبي البابلي ، وأخيرا يعلن عن إصدار الأمر المفروح بالخروج السريع المصحوب بالفداء .
(1) الله يعاتب شعبه

في الإصحاح السابق فضح الله بابل العذراء سيده الممالك التى انحرفت إلى حياة الله مع التشامخ والعنف فانهارت تماما ، الآن قبل أن يعلن عن خروج شعبه أو تحريره من السبي فى عتاب أبوى ، صريح يكشف عن ضعفاتهم وخطاياهم وأيضا عن مقاصده من السماح بسبيهم حتى لا يعودوا إلى خطاياهم مرة أخرى .

لعل أخطر خطية تواجه المؤمنين أصحاب المعرفة الروحية هو الرياء مع الشكلية فى العبادة . الله لا يريد إذلالهم إنما رفعم إلى مركز سام وأعطاهم إمكانيات روحية للحياة معه ، أهمها :

أ – دعاهم " إسرائيل " إش 48 : 1 ، بكونهم شعبه المختار .

ب – شعب ملوكى " خرجوا من بيت يهوذا " إش 48 : 1 .

ج - دعى عليهم اسم الله : " الحالفين بإسم الرب والذين يذكرون إله إسرائيل " ، لكنهم يصنعون هذا " ليس بالصدق ولا بالحق " إش 48 : 1 مع إدراكهم أنه هو الله الواحد الحقيقى الذى يتعبدون له لكن فى شكلية وبحرفية دون روح .

د – تمتعوا بمدينة القدس (إش 48 : 2) كمدينة الله المقدسة التى تضم هيكله .

هـ - " يسندون إلى إله إسرائيل " إش 48 : 2 ، يفتخرون بمواعيده ويعترفون بعهده ويتكئون عليه (مى 3 : 11)

و – تمتعوا بالنبوات الإلهية ، إذ كان الله يخبرهم بالآتيات ، أى بالأمور المقبلة (إش 48 : 3) . أما سر تقديم هذه النبوات فهو تثبيتهم فى الإيمان به وتصديق كلماته ومواعيده . لقد عرف أنهم قساة القلوب ، عنقهم من حديد وجباههم من نحاس ، يصعب عليهم تصديق الكلمات النبوية لذا قدم لهم نبوات تتحقق فى المستقبل القريب حتى يصدقوا النبوات ، وأيضا للتمييز بين الله والأوثان (إش 48 : 5) .

مع كل ما قدمه الله لشعبه من هذه الإمكانيات عاشوا فى شكلية العبادة بروح فريسية مملوءة رياء ، كما خلطوا بين عبادة الله والأوثان ، وتجاهلوا الكلمات النبوية واحتقروها ولم يفهموا أسرارها ، لذا يوبخهم قائلا :

" لم تسمع ولم تعرف ومنذ زمان لم تنفتح أذنك ، فإنى علمت أنك تغدر غدرا ومن البطن سميت عاصيا " إش 48 : 8 .

لقد انشغل إشعيا النبى بالحديث عن البصيرة الروحية والأذن الداخلية المقدسة ، فإن حديثه عن المخلص يبدو لكثيرين فى عصره أو للغالبية أمرا يكاد يكون مستحيلا .

العالم لا زال يحتاج إلى البصيرة الحقة والأذن المقدسة . حتى الذين آمنوا به وقبلوه يحتاجون إلى ذلك للتمتع بأسرار أعرق وإدراك الأمجاد السماوية الداخلية الخفية .
(2) قصد الله من السبي

يقدم الله لشعبه أسباب السماح بسبيهم :

أ – " من أجل اسمى أبطىء غضبى ، ومن أجل فخرى أمسك عنك حتى لا أقطعك " إش 48 : 9 .. بمعنى آخر كان يلزم أن يهلك هذا الشعب تماما ويقطع ، لكن الله فى غيرته على أسمه ومجده قدمهم للتأديب لعلهم يرجعون إليه فلا يهلكون .

ب – للتقية : " هانذا نقيتكم وليس بفضة ، اخترتكم فى كور المشقة " إش 48 : 10 .

نحن فضة الرب وذهبه ، يهتم بتقيتنا فى كور التعب والألم .

ج - الله الذى يسمح بالتأديب لتتقينا هو يرفعه عنا عندما يحقق هدفه .

لقد دعا السموات والأرض ، لتجتمع كل الخليقة وترى خلاص الله العجيب .

لقد أحب كورش ليحقق هدفه ويكون ذراعه على الكلدانيين (إش 48 : 14) .

ما يحققه كورش ليس من عندياته بل من قبل الله مخلص شعبه : " أنا أنا تكلمت ودعوته ، أتيت به فينجح طريقه " إش 48 : 15 .

" منذ وجوده أنا هناك ، والآن السيد الرب أرسلنى وروحه " إش 48 : 6 .

أرسل كورش بواسطة الرب وبروح الله القدوس ، كرمز للسيد المسيح الذى جاء بإرادته وفى نفس الوقت مرسلا من الآب والروح القدس .. كيف ؟

هنا وحدة عمل الثالوث القدوس ، الثالوث القدوس كأقانيم غير منفصلة جوهر الهي واحد يعمل لخلاص البشرية .

و - لممارسة الطاعة لله ، فإن السبى لم يحدث مصادفة ولا قضاء وقدرا إنما هو ثمرة طبيعية للعصيان ، بدون ما سقطوا تحت السبى . لهذا وجب عليهم عند عودتهم أن يمارسوا الطاعة فيتمتعوا ببر الله وخيراته . " ليتك أصغيت لوصاياى فكان كنهر سلامك وبرك كلجج البحر . وكان كالرمل نسلك وذرية أحشائك كأحشائه ، لا ينقطع ولا يباد اسمه من أمامى " إش 48 : 18 ، 19 .

لو أنهم أطاعوا الله ليس فقط لم يسقطوا تحت السبى البابلى ، وإنما لأفاض سلام الله كنهر متسع وعميق ودائم الجريان ومروى للكثيرين .
(3) الخلاص السريع المبهج

يقدم الله دعوة للخروج : " اخرجوا من بابل ، اهربوا من أرض الكلدانيين " إش 48 : 20

إن كان الله قد أرسل كورش لخلاصهم ، لكنه لا يلزمهم بالخروج بغير إرادتهم ، إنما يدعوهم ويحثهم على ذلك ... وبالفعل خرج 40 ألفا شخصا على يدى زربابل (نح 9 : 36 ، 39)

إنها دعوة مستمرة لخروجنا تحت قيادة مخلصنا من كل موضع معثر ، حتى نتحرر بروح الله من نيرها ، كما دعى لوط وعائلته لتترك سدوم وعمورة .

الهروب من الشر ليس ضعفا ولا سلبية وإنما هو عمل مقدم فيه يعلن الإنسان بروح الله عن نصرته على أماقه التى تشتاق أو تستطيب للمواضع المعثرة .

هذه الدعوة يصحبها فرح وتهليل بعمل الله الخلاصى : " بصوت الترنم أخبروا نادوا بهذا " إش 48 : 20 .

إذ يتطلع إشعياء النبى إلى التحرر من السبى كخروج ثان يشبه خروج الشعب من عبودية فرعون على يدى موسى حيث أخرج لهم ماء من الصخرة فى البرية كى لا يعطشوا ، هكذا فى هذا الخروج الجديد يتمتعون بذات العطية : " ولم يعطشوا فى القفار التى سيرهم فيها ، أجرى لهم من الصخر ماء ، وشق الصخر ففاضت المياه " إش 48 : 21 .

لقد تحقق هذا إذ ارتبط خلاص السيد المسيح بعطية الروح القدس فى عيد العنصرة كينبوع حياة فاضت فى كنيسة المسيح .

أخيرا فإن هذا الخلاص اختياري ، من لا يقبله يحرم من سلام الله الفائق ، إذ قيل : " لا سلام قال الرب للأشرار " إش 48 : 22 .

+ قيل لنا : ابطل صوت الطرب وصوت الفرع من أفواههم " إر 7 : 34 . نعم فإنه أعياد الأشرار هى ويلات .

+ إذ يعتزل الجاحدون الصلاة والشكر يحرمون أنفسهم من ثمر الفرح . " البابا أثناسيوس الرسولي "

+ + +

إشعياء – الإصحاح التاسع والأربعون

إرسالية المخلص

في الإصحاح السابق يعلن المخلص عن إرساليته قائلا : " والآن السيد الرب أرسلنى وروحه " إش 48 : 16 .

الآن يتحدث عن هذه الإرسالية الفريدة التى فيها يخلى الإبن ذاته لكى يمجدا فيه ، نازعا عار المذلة ، فيقيمنا عروسا سماوية ومملكة تجلس مع المسيح الملك ، مشبعا كل احتياجاتنا .

(1) اتضاع المخلص وتمجيده

في الإصحاح السابق كان الحديث موجها إلى بيت يعقوب المعوين بأسم إسرائيل (إش 48 : 1) ، أما الحديث هنا فموجه إلى الأمم ، إذ يقول : " اسمعى لى أيتها الجزائر ، وأصغوا أيها الأمم من بعيد " إش 49 : 1 .

يتحدث السيد المسيح المخلص إلى الأمم معلنا الآتى :

أ – مدعو من البطن : " الرب من البطن دعانى " إش 49 : 1 . يظن بعض الدارسين أن المتحدث هنا باسم إسرائيل يكون الله اختار شعبه قبل أن يوجد ، وهو فى صلب إبراهيم وفى أحشاء سارة ، وظن البعض أنه كورش الذى اختاره الله لتحقيق رسالته قبل أن يوجد ، لكن الواضح أن الحديث هنا باسم السيد المسيح ، كلمة الله المتجسد ، فقد كرر رئيس الملائكة جبرائيل للعذراء بميلاده قبل أن تحبل به ودعى يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم (مت 1 : 21) ، لذا قيل " من أحشاء أمى ذكر اسمى " إش 49 : 1 .

ب – صاحب سلطان : " وجعل فى كسيف حاد " إش 49 : 2 .
وقد قيل عن السيد المسيح : " وسيف ماض ذو حدين يخرج من فمه " رؤ 1 : 16 ، كما قيل عنه أنه كان يتكلم كمن له سلطان وليس كالكتبة والفريسيين (مت 7 : 29) . لقد دخل المعركة ضد عدو الخير إبليس بكلمته التى هى كسيف ذو حدين (عب 4 : 12) .

ج - اختفاء سر المسيح وعمله الخلاصى الإنجيلى ودعوته الأمم للإيمان وراء ظلال الناموس الموسوى والنبوات ، إذ يقول " فى ظل يده خبأنى " إش 49 : 2 . لعله عنى بهذا القول أيضا ما حدث فى طفولته حيث ثار هيرودس عليه وأراد قتله فأرسل الآب ملاكا ليوسف يأمره بالهروب إلى مصر . لقد صار الكلمة جسدا ، ابن الله صار إبننا للبشر ، لهذا فى إتضاعه صار فى طريقنا كواحد منا يرعاه الآب بحمايته كما فى ظل يده ، وهو قادر أن يأمر الطبيعة فتهلك هيرودس وكل مقاوميه . " وجعلنى سهما مبريا (لا يصدأ) ، فى كنانته أخفانى " إش 49 : 2 .

بكونه كلمة الله فهو سهم لا يصدأ ، اختفى وراء الظلال والرموز حتى جاء ملء الزمان فأعلن ذاته خلال الصليب كسهم صوب ضد إبليس وجنوده فجردهم من سلطانهم وأشهرهم جهارا ظافرا بهم (كو 2 : 15) . إنه السهم القاتل للشر ، وواهب جراحات الحب الإلهى للنفوس المؤمنة التى تصرخ " إنى مريضة حبا " نش 2 : 5 ، 5 : 8 .

د – بالصليب خضع الإبن مطيعا للآب ، صار من أجلنا عبدا لكى يتمجد الآب فيه ، ويتمجد هو أيضا فى ضعف الصليب :

" وقال لى : أنت عبدى إسرائيل الذى به أتمجد ، أما أنا فقلت : عبثا تعبت باطلا ، وفارغا أفنيت قدرتى ، لكن حقى عند الرب وعملى عند الهى " إش 49 : 4 .

يتساءل البعض : من هو عبده إسرائيل ؟ إنه السيد المسيح الذى جاء من اليهود ، وقبل بإرادته العبودية مع أنه مساو للآب فى الجوهر (فى 2 : 7) . جاء كعبد ليرفع العبيد فيه إلى البنوة لله ، بهذا مجد الآب وتمجد هو أيضا خلال الضعف ، إذ يقول الرسول : " وإذ وجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب ، لذلك رفعه الله أيضا وأعطاه

اسما فوق كل اسم ، لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض ، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الأب " فى 2 : 8 - 11 .

فى لحظات الآلام حين ظهر رب المجد كما فى ضعف قال : " أنا مجدتك على الأرض ، العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته ، والآن مجدنى أنت أيها الأب عند ذاتك بالمجد الذى كان لى عندك قبل كون العالم " يو 17 : 4 ، 5 .

الصلب أيضا مجد لأنه صالح الأب مع البشر ، وفتح أمامنا باب الفردوس لنشارك الرب مجده ونعيش معه نسبحه مع السمائيين .

يرى البعض أن ما قيل هنا أيضا يخص الكنيسة المختفية فى المخلص بكونها إسرائيل الجديد هذه التى تمجد الله خلال قبولها شركة الآلام والصلب مع مسيحها فتتعم بقوة قيامته وبهجتها ، لهذا استحققت أن تسمع الصوت الإلهي : " أنت عبدى إسرائيل الذى به أتمجد " . أما هى ففى آلامها تقول : " عبثا تعبت باطلا وفارغا أفنيت قدرتى ، لكن حقى عند الرب وعملى عند الهي " إش 49 : 4 .

هـ - نجاح رسالة السيد المسيح فى ضمه الأمم إلى الإيمان : إن كان السيد قد ظهر على الصليب فى ضعف حتى فارقه الجميع ، إذ جاء إلى خاصته وخاصته لم تقبله (يو 1 : 11) ، صار مجروحا فى بيت أحبائه (زك 13 : 6) ، فقال : " عبثا تعبت باطلا ، وفارغا أفنيت قدرتى " إش 49 : 4 ، هذا هو مظهر الصليب الخارجى ، أما عمله الداخلى فيعلنه الأب بقوة قائل للمصلوب : " قليل أن تكون لى عبدا لإقامة أسباط يعقوب ، ورد محفوظى إسرائيل ، فقد جعلتك نورا للأمم لتكون خلاصى إلى أقصى الأرض " إش 49 : 6 .

وكانه يقول للأب المصلوب : إن عملك الفدائى لا يمكن أن يحد ثمره فى حدود شعب معين وإنما يمتد إلى أقصى الأرض فتكون نورا للأمم وسر الخلاص الإلهي لكل البشر .

عندما حمل سمعان الشيخ الطفل يسوع قال : " لأن عيني قد أبصرتا خلاصك الذى أعدته قدام وجه جميع الشعوب ، نور إعلان للأمم ومجدا لشعبك إسرائيل " لو 2 : 30 ، 31 . كما قال بولس وبرنابا : " لأنه هكذا أوصانا الرب ، قد أقمتك نورا للأمم لتكون أنت خلاصا إلى أقصى الأرض " أع 13 : 46 ، 47 .

من كلمات القديس أغسطينوس :

+ ربى وإلهي .. يا نور نفسى ! لا تتوقف قط عن إنارة خطواتى !

الهي .. أنت رجائى .. بدون نورك - الذى به نعاين كل شىء - يصعب علينا أن نكتشف مناورات الشيطان وحيله .

+ أنت هو الكلمة القائل : " ليكن نور " ، فكان نور . قل هذه العبارة الآن أيضا حتى تستنير عيناى بالنور الحقيقى ، وأميزه عن غيره من النور ، فبدونك كيف أقدر أن أميز النور عن الظلمة ، والظلمة عن النور ؟ ! .

أهانته اليهود وجحدوه طالبيين صلبه وقبلته الشعوب الوثنية وخضعت له بالإيمان وقبلت عمله . لهذا دعى السيد " المهان النفس " ، " مكروه الأمة " ، " عبد المتسلطين " إذ تسلط عليه الأشرار وأبغضوه وأهانوه ، وفى نفس الوقت قيل " ينظر ملوك فيقومون ، رؤساء فيسجدون " إش 49 : 7 . حيث يقوم الملوك عن كراسيهم فى حضرته ويسجد له الرؤساء متعبدين له .

(2) عمله الخلاصى

بين أيدينا حديث الهي رائع يكشف عن سر خلاصنا فى المسيح يسوع ربنا الذى لا يعبر عنه ، فى المسيح المخلص ننال الآتى :

أ - استجابة الله لنا ، فقد حان الوقت أن يسمع الأب لنا خلال إبنه المحبوب المصلوب كذبيحة طاعة للأب وموضع سروره ، فيستجيب لنا الأب فيه واهبا نفسه لنا أبا ، مقدما لنا حضنه كموضع راحة أبدية نستقر فيه .

هذا ما عناه بقوله : " فى وقت القبول استجبتك " إش 49 : 8 . فقد حان الوقت الذى فيه يعلن قبولنا لدى الأب فى إبنه المقبول أزليا ، فيستجيب لنا على الدوام .

ب – بالمسيح يسوع مخلصنا صار الله نفسه عوناً لنا ومعيناً : " وفى يوم الخلاص أعنتك " إش 49 : 8 .

تسلم الرب نفسه قيادة المعركة ضد عدو الخير لنختفى نحن فيه وننال فيه الغلبة والنصرة .

يليق بنا أن نميز بين " يوم الخلاص " إش 49 : 8 أو " يوم الرب " ، .. وأيامنا نحن ، يوم الرب مفرح يهب خلاصاً أما أيامنا التى نسلك فيها حسب هوانا فمحطمة ومهلكة .

ج - بالمصلوب أيضاً صرنا محفوظين فى الرب ، إذ يقول : " فأحفظك " إش 49 : 9 . ففى الصلاة الوداعية يقول المخلص : " لست أسأل أن تأخذهم من العالم بل أن تحفظهم من الشرير .. قدسهم فى حَقِّك " يو 17 : 15 ، 17 .

د – التمتع بالمصلوب كعهد مع الآب : " وأجعلك عهداً للشعب لإقامة الأرض لتمليك أملك البرارى " إش 49 : 8 .

قدم الله عهده الجديد ليس منقوشاً على حجارة وإنما مسجلاً بالدم فى جسد الإبن الكلمة المتجسد ، خلال هذا العهد لا تتمتع الكنيسة بأرض الموعد التى تفيض عسلاً ولبناً وإنما ترث الأرض أى الشعوب التى كانت قفراً كالبرارى لتقيم منها فردوساً إلهياً ومملكة سماوية . فى جسد بشريته صالح الآب مع البشرية وأقام فى كل قلب مؤمن حقيقى ميراثاً لا يعبر عنه .

أما سمات هذا الملكوت الجديد أو الميراث الداخلى أو الحياة الأنجيلية الكنيسة الحقّة فهى :

أولاً : الحرية : " قانلاً للأسرى أخرجوا ، للذين فى الظلام اظهروا " إش 49 : 9 . فقد كسر متاريس الجحيم وأعطانا حرية مجد أولاد الله لنعيش حاملين سلطاناً على الحيات والعقارب وكل قوة العدو (لو 10 : 19) ، نسلك فى النور ، لا سلطان للظلمة علينا .

خلال هذه الحرية الداخلية نقبل برضانا الخضوع لله كعبيد له ، فنعيش أحراراً لا سلطان للعدو على أعماقنا .

ثانياً : التمتع بمرعى الهى خصب : " على الطريق يرعون وفى كل الهضاب مرعاهم " إش 49 : 9 . ما هو هذا الطريق إلا المخلص الذى دعى نفسه " الطريق " يو 14 : 6 ، به ندخل إلى هضاب مثمرة لنجد كل احتياجاتنا ، فلا نجوع ولا نعطش ولا يضر بنا حر ولا شمس ، فيها نجد ينباع الروح القدس كمياة حية تروى أعماقنا وتهبنا ثمرات (إش 49 : 10) .

ثالثاً : التمتع بطريق ممهد يدخل بنا إلى الأحضان الإلهية : " واجعل كل جبالى طريقاً ومناهجى ترتفع " إش 49 : 11 .

ما هى هذه الجبال إلا وصايا الرب التى تبدو كجبال شاهقة يصعب تسلقها ، لكن باتحادنا مع المسيح " الطريق " يصير السير على الجبال أمراً طبيعياً ، وتتحول الوصية إلى لذة وبهجة لا إلى أوامر قاسية وحرمان .

رابعاً : انفتاح أبواب الكنيسة أمام كل الأمم من المشرق والمغرب والشمال والجنوب .

" هؤلاء من بعيد يأتون ، وهؤلاء من الشمال ومن المغرب وهؤلاء من أرض سينيم " إش 49 : 12 . يقصد بالأتين من بعيد سكان الشرق الأقصى ، كما يقصد بأرض سينيم (أسوان) جنوب مصر بكونها تمثل القادمين من الجنوب .

خامساً : التمتع بحياة التسبيح والفرح كحياة تعيشها النفس (السموات) ويمارسها الجسد (الأرض) ويعبر عنها خلال الطاقات البشرية (الجبال) هكذا تشترك السموات مع الأرض بجبالها فى الترنم للرب ، " لأن الرب عزى شعبه وعلى بائسيه يترحم " إش 49 : 13 .

سر بهجتنا تعزيات الله المعلنة بالروح القدس فى أعماقنا خلال استحقاقات الدم الثمين ، فقد أقامنا المصلوب من بؤسنا وتراءف علينا برحمته العملية .

الآن رأينا كيف انتقل الرب من الحديث عن كورش كمنقذ لشعب الله من السبى إلى ما هو أعظم وأبقى ، الحديث عن السيد المسيح كمخلص لكل البشرية ، ينقذهم من الأسر الأبدى ليهبهم بركات خلاصه بالدخول بهم إلى ملكوته أى التمتع بالحياة الجديدة الكنسية المفرحة فى الرب ، كحياة فردوسية مقدمة لكل الشعوب والأمم .

(3) إقامة المتروكة عروسا أبدية

لم يكن يتوقع شعب الله أنه يسبى ، وحين سببت إسرائيل أو مملكة الشمال ظننت مملكة يهوذا أنها لن تسبى لأنها تحتضن هيكل الرب فى أورشليم مدينة الله . لكن سببت يهوذا وانهارت أورشليم بالهيكل الذى دنسوه بالعبادة الوثنية والرجاسات كما جاء فى حزقيال وإرميا ، وظن المسييون أنها ربما شهور قليلة ويتدخل الله ليحررهم . لكن عبرت الشهور والسنوات تلو السنوات ، فظن الشعب أن الله قد نسيه ، وشعر الكل بالعزلة والحرمان والترك . هذا ما عبر عنه النبى هنا هكذا :

" وقالت صهيون قد تركنى الرب وسيدى نسينى " إش 49 : 14 .

هذا الشعور بالعزلة هو ثمرة طبيعية يعانى منها غالبية البشر ان لم يكن جميعهم فى بعض اللحظات . فلإنسان فى وقت التجربة يشعر نفسه وحيدا ، ليس من يشاركه مشاعره وأحاسيسه ولا من يلمس مرارته الداخلية .

علاج هذه الحالة هو الألتقاء بالمخلص ...

الذى وحده يقدر أن يدخل إلى الأعماق ويقيم علمه محبة . يعلن بصليبه صداقة فريدة شخصية خلالها نتمتع بحب الهى فائق واتحاد مع الله لا يقدر الزمن ولا تستطيع الأحداث أن تحطمه .

بالصليب ضم الله البشرية إليه كعروس سماوية مقدسة لا يفارقها عريسها السماوى ، عوض الشعور بالترك .

والعجيب أن المخلص نفسه صرخ على الصليب قائلا :

" الوى الوى لماذا تركتنى ؟! " مر 16 : 34 .

كأنه كممثل للبشرية ونائب عنها يعلن عن موقفنا كمتروكين ومحرومين ! صار بالصليب كمن هو متروك لكى ينزع عنا الشعور بالحرمان والترك ويردنا إلى الأحضان الإلهية عروسا مقدسة !

الآن بماذا يجيب الرب على شعور صهيون بالحرمان ؟ .

" هل تنسى الأم رضيعها فلا ترحم ابن بطنها ؟! حتى هؤلاء ينسين وأنا لا أنساك " إش 49 : 15 .

بلا شك أن الأمومة تعتبر من أسمى درجات الحب البشرى ، فالأم التى تحمل ابنها أو ابنتها كجنين لشهور فى أحشائها يصعب أن تنساه بعد ولادته . ومع هذه فقد نسيت بعض الأمهات أبناءهن وبناتهن ، إذ قدم بعضهن أطفالهن ذبائح بشرية ، يلقيهن إياهم فى النار وسط ضربات الطبول كنوع من العبادة للإله بعل . وفى بعض المجاعات سمعن عن أمهات أكلن أطفالهن ، ولا نزال نسمع حتى اليوم عن مآسى كثيرة ..

وفى كل يوم أيضا نرى أمهات وآباء يقتلن أبناءهن خلال الجو العائلى الكئيب أو المشاكل العائلية خاصة الانفصال والطلاق . ما أكثر ضحايا الطلاق ؟!

لم يترفق الآباء والأمهات بالأجيال الجديدة ، ولا أعطوا لهم حسابا فى حياتهم ، إنما فى أنانية يريدون تحقيق ما يظنونه سلاما على حساب حياة أولادهم وسلامهم الروحى والنفسى وأحيانا الاجتماعى والمادى أيضا .

قد تنسى الأم رضيعها أما الله فلا ينسانا !

إذا كان حب الأم يفوق كل حب ؛ غير أن حب الله حتما أعظم منه !

" هوذا على كفى نقشتك " إش 49 : 16 . من العادات الشرقية القديمة أن ينقش الإنسان اسم محبوبه على كفه ، علامة أنه لن ينساه حتى الموت ، وأن كل ما يعمل به يديه إنما لحساب محبوبه ..

لقد نقش الرب اسم كنيسة المحبوبة لديه على كفه بالمسامير ، لتبقى آثار الجراحات علامة حب أبدى ! بل نقش اسم كل عضو فيها على كفه علامة محبته الشخصية لنا بأسمائنا .
" أسوارك أمامي دائما " إش 49 : 16 ، كأنه يقول أنا أعلم أن أسوارك قد تهدمت ، أنا لن أنساها ، سابنيها لكن في الوقت المحدد . سأرد لك قوتك وحصانتك ، وأرد إلى أرضي بنيك وأطرد الهادمين والمخربين منها (إش 49 : 17) .
" ارفعى عينيك حواليك وانظري . كلهم قد اجتمعوا أتوا إليك . حتى أنا يقول الرب تلبسين كلهم كحلى وتنتطقين بهم كعروس " إش 49 : 18 .

يالها من صورة بهية لكنيسة العهد الجديد ، فإنه عوض المدينة التي تهدمت أسوارها ، وطرد منها شعبها كمسيبين ، ودخلها الهادمون والمخربون ، يقيم الرب كنيسة العهد الجديد لا كمدينة حصينة فحسب يرجع إليها أولادها مسرعين ويطرد منها الأشرار المخربون ، إنما تصير عروسا سماوية تحمل زينة فريدة ، هي اجتماع أولادها فيها كأولاد الله ، لهم حرية المجد الداخلي .

لا يقف العدو صامتا إنما يريد أن يدخل ويخرب أولادها ، هذا الذى سبق فأكلها بتخطيطه إيمان البعض ، إذ يقول لها : " ضيق على المكان ، وسعى لى لأسكن " إش 49 : 20 .

أما هي فترى يد الله العجيبة والعاملة فيها بالرغم من مقاومة العدو المستمرة ، فتردد في قلبها قائلة : " من ولد لى هؤلاء وأنا تكللى وعافر منفية ومطرودة ؟ وهؤلاء من رباهم ؟ هانذا كنت متروكة وحدى . وهؤلاء أين كانوا ؟ " إش 49 : 21 .

إنها نعمة الله الفائقة التي تخرج من الأكل أكلا ومن الجافى حلاوة ! وإنها نعمته الغنية التي تقيم فينا ثمرا متكاثرا ليس من عندياتنا ، إنما هو عطية الله المجانية لمؤمنيه السالكين بالروح .

(4) إقامة الذليلة ملكة :

إن كانت صهيون قد عاشت كأمة أسيرة ذليلة في أرض الغربية ، الآن تعود إلى وطنها كملكة يشناق الكل أن يرفعها على الأكتاف ويخضع لها الملوك ويسجدون أمامها يلحسون غبار رجلها .

" هكذا قال السيد الرب : ها إنى أرفع إلى الأمم يدى وإلى الشعوب أقيم رايتى " إش 49 : 22 . ما هو رفع اليد إلا مجيء السيد المسيح إلى العالم ليبسط يديه على الصليب فيضم إليه الأمم .

بهذا العمل الخلاصى تتمجد كنيسة المسيح ، إذ يقال لها :

" يأتون بأولادك فى الأحضان ، وبناتك على الأكتاف يحملن ، ويكون الملوك حاضنك ، وسيداتهم مرضعاتك ، بالوجه يسجدون لك ويلحسون غبار رجلك ، فتعلمين أنى أنا الرب الذى لا يخزى منتظروه " إش 49 : 22 ، 23 .

لقد تحقق ذلك ، فقد صار الملوك والملكات مؤمنين عاملين فى كنيسة الرب مثل قسطنطين الكبير وهيلانة ، يخدمون الكنيسة كملكة روحية فوق الكل .

(5) الله فادى كنيسة

بدت هذه الوعود كأنها خيال بالنسبة لمعاصري إشعياء وأيضا فيما بعد بالنسبة للمسيبين ، لذلك أكد الله أنه هو بنفسه الذى يحقق هذا الخلاص ، بكونه القادر وحده أن يحطم إبليس الجبار ويسحب منه الذين سبق أن سباهم .

" هل تسلب من الجبار غنيمة ؟! وهل يفلت سبى المنصور ؟! فإنه هكذا قال الرب : حتى سبى الجبار يسلب ، وغنيمة العاتى تقلت . وأنا أخاصم مخاصمك وأخلص أولادك ، وأطعم ظالميك لحم أنفسهم ويسكرون بدمهم كما من سلاف فيعلم كل بشر أنى أنا الرب مخلصك وفاديك عزيز يعقوب " إش 49 : 24 - 26 .

هكذا يليق بنا أن نثق فى الله مخلصنا ولا نضطرب أمام قسوة إبليس وعنه ، فإن المخلص قادر أن يحررنا من سبييه مهما كان العدو عاتيا وجبارا ، يردنا إلى كنيسة ويخاصم عنا مخاصمينا ، أى يقود المعركة بنفسه ، فيأكل العدو لحم نفسه ويشرب ويسكر كما بدمه ، أى يرتد عمله على رأسه ويذوق من عنفه مرارة حتى يفقد وعيه كمن فى حالة سكر .

+++

إشعياء – الإصحاح الخمسون

بذلت ظهري للضاربين

فى الإصحاح السابق رأينا صورة رائعة لعمل الله الخلاصى ، فقد أعلن أنه أعظم حبا من عاطفة الأم نحو رضيعها ، لن ينسى شعبه بل نقشه على كفه وأقامه عروسا مقدسة وملكة متوجة تشاركه أمجاده السماوية . أمام هذا الحب الإلهى وقفت الأمة اليهودية متذمرة عليه واجدة الإيمان به ، لذا صار يعاتبها على جحودها ، طالبا قبول عمل الصليب فى حياتها .

(1) كتاب الطلاق

كان اليهودى إذا ما طلق امرأته ولو بدون سبب مقبول يعطيها كتاب طلاق ويطردها من بيته ، كما كان يمكنه أن يبيعه أمة لدانيه (تث 24 : 1 - 3) ، وكان يجوز له أن يبيع أولاده لدانيه ..

أما الله فلم يفعل بهم هكذا ، إنه يسأل الأمة اليهودية التى جحدته ورفضت الإيمان به عن كتاب طلاقها مؤكدا لها أنه لم يرد أن يطلقها ولا أن يطردها إنما هى طلقت نفسها بنفسها ، وطردت نفسها من بيت الله عريسها خلال زناها ورجاساتها فكسرت الزواج المقدس .

" هكذا قال الرب : أين كتاب طلاق أمكم التى طلقتموها؟! أو من هو من غرماى الذى بعته إياكم؟! هوذا من أجل آثامكم قد بعتم ، ومن أجل ذنوبكم طلقت أمكم " إش 50 : 1 .

لقد جاء إلى خاصته وخاصته لم تقبله (يو 1 : 11) ، لهذا ففى عتاب أبوى يسأل رافضى الإيمان أن يظهروا كتاب الطلاق أو إسم الدائن الذى إياه سلمه أولاده ، كأنه يقول لهم إنى لا أود طلاق أمكم ولا أن أبيعكم لأحد .

هى إختارت إبليس عدوى عريسا لها وأنتم بعتم أنفسكم بملذات الخطية وشهواته ، وكما قال السيد المسيح لمقاوميه " أنتم من أب هو إبليس " يو 8 : 44 .

الله لا يريد هلاكنا بل يطلب أن نكون دائما ملتجئين بالروح كعروس متهللة بعريسها لا أن يكونوا كزوجة متمرده تترك بيتها .

من جانبها تركته ورفضت أن تعيش فى فرح العرس السماوى الدائم ، أما من جانبها فإنه يعمل لحسابهم كمخلص يفديهم بحياته ، قدير لا يعجز عن العمل من أجلهم ، إذ يقول :

" هل قصرت يدى عن الفداء؟! وهل ليس فى قدرة للأنقاذ؟! هوذا بزجرتى أنشف البحر ، أجعل الأنهار قفرا ، ينتن سمكها من عدم الماء ويموت بالعطش . ألبس السموات ظلاما وأجعل المسح غطاءها " إش 50 : 2 ، 3 .

لقد جاء السيد بنفسه كما إلى بيته ليخلص بعدما ناداها خلال الناموس والأنبياء ، جاء ليخلص ومع هذا ففى سخرية قالت أمته وخاصته : " خلص آخرين وأما نفسه فما يقدر أن يخلصها ، إن كان هو ملك إسرائيل فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به " مت 27 : 42 .

هكذا سخرت به أمته ، مع أنه هو الذى أقام لها طريقا وسط بحر سوف ونهر الأردن ، وعند صلبه ثارت الطبيعة فانكسفت الشمس وانخسف القمر ، وحل الظلام على وجه الأرض .

(2) طاعة الصليب

يرى بعض الدارسين والآباء أن المتحدث هنا إشعياء النبى الذى أعلن أن الله وهبه لسان المتعلمين لكى يغيب النفوس الخائرة بكلمة الرب الحية ، هذه الكلمة ليس لها زمن معين إنما تعمل فيه كل صباح ، فتبه أذنا روحية قادرة على الإستماع للصوت الإلهى (إش 50 : 4) . " يوقظ (يضيف) لى أذنا لأسمع " إش 50 : 4 .

يعنى إضافة (الأذن) التى من الروح .. فإنه بعدما وهبه الروح قلب الأنبياء لم يعد له قلب بشرى بل صار له قلب روحى ، وكما قال الرسول " لنا فكر المسيح " 1 كو 2 : 16 . وكأنه يقول : لقد قبلت بركة الروح وتعلمت الأمور التى لا ينطق بها إنسان ولم يكن أحد منا ولا من الأنبياء يدركها بذهنه الذاتى .

إن كان النبی يتحدث عن نفسه أنه تمتع بأذن روحية إضافية ، ربما يعنى أكثر مما تمتع ها أنبياء كثيرون ، فإن النبی يتحدث أيضا عن نفسه كرمز للسيد المسيح ، كما سبق فتحدث داود النبی عن نفسه كرمز للمسيا .

إن كان السيد المسيح قد جاء معلما للبشرية لكنه جاء فريدا فى ذلك من جهة الآتى :

أ – وهو كلمة الله واهب الحكمة والعلم والمعرفة قبل ناسوتنا فصار ابن الإنسان الذى يخضع ويطيع . إنه العبد العبرانى الذى بإرادته تقدم إلى سيده فى اليوبيل ليتقّب أذنه من أجل غيرته على بيت أبيه (حز 21 : 6) .

لهذا يقول : " السيد الرب فتح لى أذنا وأنا لم أعاند ، إلى الوراء لم أرتد " إش 50 : 5 . قدم نفسه بإرادته لا لتقّب أذنيه فحسب وإنما لبذل حياته ، فأطاع حتى الموت موت الصليب

فى طاعته الباذلة والمملوءة حبا قدم ليس فقط أذنيه للتقّب ، وإنما أيضا ظهره للضرب ، وخديه للناقيين ووجهه للعار والبصق .. قدم كل حياته محتملا الألام لنحسب نحن العصاة مطيعين فيه ، ونجد نحن المتألمون فيه راحة .

فى نبوة صريحة واضحة تحدث إشعياء النبی عن أحداث الصليب فقال على لسان المخلص " بذلت ظهرى للضاربين ، وخدى للناقيين ، وجهى لم أستر عن العار والبصق " إش 50 : 6 .
+ أظهرت لى تدبير تعطفك ...

احتملت ظلم الأشرار ، بذلت ظهرك للسياط ، وخديك أهملتهما للطم .

لأجلى يا سيدى لم ترد وجهك عن خزى البصاق ..

أتيت إلى الذبح مثل حمل حتى إلى الصليب ...

+ ذاك الجاهل كيف تجاسر وتفل فى وجهه ؟!

كيف تجاسرت أيها اللسان أن تتضح بالبصاق ؟!

كيف احتملت أيتها الأرض هزء الإبن ؟!

منظر مخوف ، مملوء دهشة ، أن يرى الإنسان الشمع قائما يتفل فى وجه اللهب ..

وهذه أيضا من أجل آدم حدثت . لأنه كان مستحقا البصاق ، لأنه زل !

وعوض العبد قام السيد يقبل هذا كله !

قدم وجهه ليستقبل البصاق ، لأنه وعد فى إشعياء أنه لا يرد وجهه عن احتمال خزى البصاق ! ..

سلم السيد المسيح نفسه للألام حتى الأعماق ، محتملا كل خزى وعار ليكمل طريق الطاعة عنا وبإسمنا ، معلنا عجز الألم والعار عن تحطيم المؤمنين ، مؤكدا أن طريق الصليب ملوكى يدخل بنا إلى بره ، إذ يقول :

" عرفت أنى لا أخزى ، قريب هو الذى يبررنى " إش 50 : 7 ، 8 .

يقول الرسول بولس : " الفداء الذى ببسوع المسيح الذى قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره " رو 3 : 25 .

+ أما قوله " لإظهار بره " فماذا يعنى ؟ ... ليس فقط من جهة كونه باراً ، وإنما يجعل أولئك الممولئين بقروح الخطية النتننة أبرارا ...

إذا لا تشك لا ترفض بر الله الذى هو ليس بأعمال (الناموس) إنما بالإيمان (الحى) وهو سهل ومفتوح للجميع .

(3) دعوة للطاعة :

أطاع الرب لكى يدعونا إلى الطاعة ، فصار مثالا لنا ، كما صار عوننا فيه نختفى فنسلك طريق الطاعة ... إذ يقول : " من منكم خائف الرب سامع لصوت عبده ، من الذى يسلك فى الظلمات ولا نور له ، فليبتكل على إسم الرب ويستند إلى إلهه " إش 50 : 10 .

كأن من يريد التمتع بنور الطاعة والاستماع لصوت الرب ومسيحه فليبتكل عليه لينقذه من ظلمات العصيان .

يشبه العصاة بالقادحين نارا من عندياتهم (إش 50 : 11) لبيخروا للرب بخورا غريبا ، ليس بخور الطاعة الممتزجة بالحب ، إنما بخور الأنانية والأتكال على الذات .. لذا يليق بنا ألا نشعل نار برنا الذاتى وحكمتنا البشرية إنما نتقبل نار روح الله القدوس واهب البر والطاعة للوصية .

+ ليتنا لا نسير على ضوء نارنا (إش 50 : 11) واللهيب الذى أشعلناه نحن ، فإننى أعرف نارا مطهرة أرسلها المسيح على الأرض (لو 12 : 49) ، وهو نفسه بطريقة رمزية بدأ نارا تبدد ما هو مادي فى العادات الرديئة ، هذه النار يريد أن يلهبها بسرعة ، إذ يشتاق أن يسرع بنا إلى صنع الصلاح (القديس غريغوريوس النزينزى)

+ + +

إشعياء – الإصحاح الحادى والخمسون الشعب المفدى

فى الإصحاح السابق ظهر السيد المسيح كمخلص أطاع الآب حتى الموت ، لكى بطاعته يقدنا ويخلصنا من روح العصيان ، واهبا إيانا روح الطاعة به وفيه . الآن نجد فى هذا الإصحاح يدعو شعبه للتمتع بالفداء كحياة إنجيلية مفرحة ، حياة مقامة فيه ، خلالها نتمتع بخروج مستمر تحت قيادته بروح الغلبة على قوات الظلمة .. هذا هو سر كل تعزية .

(1) دعوة للتمتع بعمل الفداء

فى هذه الدعوة تكررت كلمة " اسمعوا " أو " انصتوا " ثلاث مرات (إش 51 : 1 ، 4 ، 7) . فإن كان " كلمة الله " قد سمع وأطاع وهو الخالق والديان والمشرع فبالأولى أن يتسم شعبه بروح الطاعة .. وكأنه لا يمكن لنا الدخول إلى الحياة الإنجيلية والتمتع بالخلاص المجانى ما لم نسمع وننصت ليعمل الرب فينا .

ما هو مضمون الدعوة ؟

أ – تكرر كلمة " اسمعوا " تعنى أن الدعوة فى صميمها حث على الطاعة ، طاعة الإيمان المملوءة ثقة فى الله وحبا .

ب – " اسمعوا لى أيها التابعون البر الطالبون الرب " إش 51 : 1 .

بالطاعة يتحول الاستماع إلى سلوك عملى ، أى اتباع البر أو السير فى طريق بر الله ، أما غاية ذلك فهو طلب الرب والألتقاء به والاتحاد معه . هذا هو إيماننا ، وهذه هى مسيحيتنا : استماع ، طاعة ، حياة ، اتحاد مع الرب !

ج - الأقتداء بإيمان إبراهيم : " انظروا إلى الصخر الذى منه قطعتم وإلى نقرة الجب التى منها حفرتم ، انظروا إلى إبراهيم أبيكم وإلى سارة التى ولدنكم ، لأنى دعوته وهو واحد وباركته وأكثرته " إش 51 : 1 ، 2 .

كأنه يقول لهم إن كنتم تستصعبون الدعوة ، قائلين كيف نسمع صوت الرب ونتبع بره ونطلبه فى حياتنا ؟ انظروا إلى إبراهيم وإسحاق وسارة التى ولدنكم . لقد جاء إبراهيم من عائلة وثنية ، بل كان العالم كله فى ذلك الوقت قد انحرف عن معرفة الله ، فجاء إبراهيم كما من صخر قاس ومن طين فى نقرة جب ، لم يسمع من والديه كلمة تعزية ، ولا تسلم شريعة إلهية ، ولا سنده كاهن أو نبي ، ومع هذا إذ دعوته استجاب ، كان واحدا وحيدا فى إيمانه فباركته وأكثرته .. وصار شعبى من نسله !

كان إبراهيم شيخا وسارة زوجته عاقرا ، كان رحمها كصخر بلا حياة ، عاجز عن الإنجاب ، لكن الله أقام من الحجارة أولادا لإبراهيم .

د - دعوة معزية إذ يحول الله خرائبها وصحاريها إلى جنة للرب أو إلى فردوس . هذا هو عمل الله في كنيسته ، يهب ثمار روحه القدوس لشعبه فيصير الكل ملكوتا مثمرا في الروح : " فإن الرب قد عزى صهيون ، عزى كل خربها ويجعل بريتها كعدن وباديتها كجنة الرب " (إش 51 : 3 .

كثيرا ما تحدث سفر إشعياء عن عمل الله الخلاصى كإقامة لملكوت الله المثمر ، وتحويل البرية بستانا روحيا (إش 32 : 5) ، يسكنها الحق (إش 32 : 6) ، تفرح وتتهلل بالله ساكنها (إش 35 : 1) الخ ... الذى يقيم منها فردوسا وسماء .

تطلع القديس يوحنا الذهبى إلى الكنيسة خاصة عند ممارستها ليتورجيا الأفخارستيا (القداس الإلهى) كسماء ، قائلا : " هى أعلى من السماء وأكثر اتساعا من المسكونة ، يتحدث على لسان السيد المسيح ، فيقول :

" لقد غرستك فى الفردوس ، والشيطان طردك !

انظرى ، ها أنا اغرسك فى !

إنى اسندك فلا يعود يقوى الشيطان على الأقتراب منك .

لا أرفعك إلى السماء ، بل إلى هنا حيث رب السماء .

أحملك فى داخلى أنا رب السماء ! "

هـ - دعوة للفرح والبهجة :

" الفرحة والأبتهاج يوجدان فيها ، الحمد وصوت الترنم " (إش 51 : 3 .

هذا الخط واضح فى السفر كله بكونه سفر الخلاص ، يعلن عن قيام ملكوت الفرحة الداخلى والترنم والتسبيح بلا انقطاع .

سمة الكنيسة الحقيقية هو : الفرحة الداخلى الذى لا ينقطع !

ينعكس هذا الفرحة على كل حياة الكنيسة : فلا نجد أيقونة أو صورة لقديس أو شهيد وهو يتألم ، أو يتعذب ! .. إنما كل الأيقونات يشع فيها روح الفرحة والرجاء ، حتى الشهداء تراهم فرحين يتطلعون نحو السماء ، ناظرين إلى إكليل مجدهم .

و - دعوة للكراسة ، فإن من ينعم بفرحة الخلاص لا يقدر أن يصمت عن الشهادة للحياة الإنجيلية ، إنما يحمل شريعة الرب وإنجيله " نورا للشعوب " (إش 51 : 4 ، مؤكدا للكل أن الحياة فى المسيح ليست ببعيدة ولا مستحيلة ، فإن بر المسيح قريب إلى كل قلب) (إش 51 : 5) ، وذراعيه مبسوطتان بالحب على الصليب للشعوب ، بكونه رجاء الكل (إش 51 : 5) .

الكراسة أو الشهادة لعمل المسيح الخلاصى من صميم حياة كل مسيحي ، وليست من عمل الكاهن وحده ، لهذا يقول القديس يوحنا الذهبى الفم :

[- ليس شئ تافه مثل مسيحي لا يهتم بخلاص الآخرين .

- لا تقل إنى فقير ، فإن فلسى الأرملة يخجلانك . وبطرس أيضا قال : " ليس لى فضة ولا ذهب " ، وبولس كان فقيرا حتى أنه كثيرا ما عانى من الجوع .

- لا تحنج بظروفك القاسية ، فإنهم هم أيضا كانوا فى ظروف قاسية .

- لا تحتج بجهالك ، فقد كانوا غير متعلمين ..

- ربما تكون عبدا هاربا ، أنسيموس أيضا كان هذا !

- قد تكون مريضا ، تيموثاوس كان كذلك !

- كل أحد يقدر أن يعين أخاه حتى ولو بالإرادة الصالحة ، إن تكن لديه القدرة أن يفعل شيئاً ..
- لا تقل أنك لا تستطيع أن تؤثر على الآخرين ، فإنك ما دمت مسيحياً يستحيل إلا أن تكون ذا تأثير .. فإن هذا هو جوهر المسيحية .
- إن قلت إنك مسيحي ولا تقدر أن تفعل شيئاً للآخرين يكون في قولك هذا تناقض ، وذلك كالقول بأن الشمس لا تقدر أن تضيء [
- ز - دعوة لخلاص أبدي يتعدى السموات والأرض ، " ارفعوا إلى السموات عيونكم ، وأنظروا إلى الأرض من تحت ، فإن السموات كالدخان تضحل والأرض كالثوب تبلى ، وسكانها كالبعوض يموتون ، أما خلاصى فإلى الأبد يكون وبرى لا ينقض " إش 51 : 6
- نقض السموات والأرض مع بقاء الخلاص إلى الأبد ، إنما يشير إلى صلب الإنسان القديم للتمتع بالإنسان الجديد الذى على صورة خالقه .
- ح - دعوة جادة وشجاعة لا تضطرب أمام مقاومة الناس : " لا تخافوا من تعيير الناس ، ومن شتائمهم لا ترتاعوا ، لأنه كالثوب يأكلهم العث ، وكالصوف يأكلهم السوس ، أما برى فإلى الأبد يكون ، وخلاصى إلى دور الأدوار " إش 51 : 7 ، 8 .
- من يرفع نظره إلى المخلص الأبدى لا يخشى تصرفات الناس ومقاومتهم فإنها تبطل وتنتهى أما خلاصنا فيبقى أبدياً .
- ط - دعوة للتمتع بالحياة المقامة الغالبة للموت والمحطمة للثنين القاتل : " استيقظى البسوة قوة يا ذراع الرب ، استيقظى كما فى أيام القدم كما فى الأدوار القديمة . ألسنت أنت القاطعة رهب الطاعنة التنتين ؟! " إش 51 : 9 .
- الكنيسة هى " ذراع الرب " التى تلبس قوة قيامته فتستيقظ كما من نوم الموت . لتقم الكنيسة كلها سواء الذين جاءوا من أصل يهودى أو أممى ، لذا يكرر كلمة " استيقظى " مرتين .
- ى - دعوة للتمتع بالله نفسه كمعز : " أنا أنا هو معزيكم " إش 59 : 12 .
- مع عدم طلب التعزيات البشرية ولا التخوف من مضايقات البشر ، لأن حياتهم إنما هى كالعشب (إش 59 : 12) .
- لقد حل اليأس بالمأسورين وظنوا أنهم يموتون فى السبى ، لكن الله أكد لهم :
- " سريعا يطلق المنحني (المأسورين) ولا يموت فى الجب (فى السبى) ولا يعدم خبزه " إش 51 : 14 .
- يليق بهم أن ينتظروا وعد الله ولا ييأسوا قط .
- إن كانت مملكة بابل قد أغرقتهم كالبحر فإن المخلص رب الجنود قادر أن يزعج بابل :
- " وأنا الرب إلهك مزعج البحر فتعج لجبه ، رب الجنود اسمه " إش 51 : 15 .
- (2) سر سقوط أورشليم
- بعد أن قدم هذه الدعوة المفرحة للتمتع بالحياة الجديدة فى الرب ، أراد توضيح سر سبى أورشليم حتى تدرك ضعفاتها وتقوم من سقطاتها . لذا بدأ بالقول : " انهضى انهضى قومى يا أورشليم " إش 51 : 17 .
- أما ضعفاتها فتتلخص فى شربها : " من يد الرب كأس غضبه ثقل كأس الترنح شربت " إش 51 : 17 .

كانت العادة أن يقدموا للمحكوم عليه بالإعدام كأس من خمر شديد حتى يترنحوا قبل تنفيذ الحكم ، هكذا شربت أورشليم من يد الرب كأس غضبه على خطاياها لتدرك أنها سقطت تحت العقوبة لا بأسرها لبابل وإنما بأسرها تحت حكم الموت لأن خطاياها قد سببتها وفقدتها وعيها . صارت كأم يحتقرها أولادها دون أن يخلجوا ، صار الذين يرثون لحالها هم : " الخراب والأنسحاق والجوع والسيف " إش 51 : 19 .

(3) قيام بعد سقوط

مع كل كشف للضعف أو للشر يفتح الرب باب الرجاء للخلاص . عاد السيد يؤكد لها أنه سيعفو عنها : " لذلك اسمعي هذا أيتها البائسة والسكرى وليس بالخمير ، هكذا قال سيدك الرب وإلهك الذى يحاكم لشعبه . هانذا قد أخذت من يدك كأس الترنح ثقل كأس غضبي ، لا تعودين تشربينها فى ما بعد . واضعها فى يد معذبيك الذين قالوا لنفسك انحنى لنعبر فوضعت كالأرض ظهرك وكالزقاق للعابرين " إش 51 : 21 - 23 .
الآن يغفر لها ويحررها .
+ + +

إشعياء – الإصحاح الثانى والخمسون

بهجة الخلاص

بعدما أعلن عن دعوته الجامعة للتمتع بعمل الخلا الفريد كشف عن ضعفات شعبه التى بسببها ذاقوا المرارة ، الآن وقد فتح لهم باب الرجاء على مصراعيه يتحدث عن بهجة الخلاص وروعه .

(1) البسى ثياب جمالك

" استيقظى استيقظى ، البسى عزك يا صهيون ، البسى ثياب جمالك يا أورشليم المدينة المقدسة ، لأنه لا يعود يدخلك فى ما بعد أغلف ولا نجس ، انتفضى من التراب ، قومى اجلسى يا أورشليم ، انحلى من ربط عنقك أيتها المسببة إبنة صهيون " إش 52 : 1 ، 2

بينما يؤكد النبى عودة الشعب من السبي بكرامة لم يكن يتوقعها إذ به يتحدث عن عودة البشرية إلى مكانها الأول ، رجوعها إلى مدينة الله الروحية وتمتعها ببهائه الفائق لتعيش حرة من كل نجاسة كما أراد الله لها ..

الله يحب الإنسان ويشاق أن يدخل به إلى الأمجاد ليعيش فى حياة قدسية مكرمة ومجيدة ، لهذا جاءت الدعوة هنا للتمتع بالبركات الإلهية :

أ – الحياة المقامة المجيدة : " استيقظى استيقظى " ، فقد انحدرت كما إلى القبر وسط الظلمة ويحل بها الفساد . هذا هو حال إسرائيل فى بابل حيث فقدوا كل رجاء فى العودة إلى بلادهم وتمتعهم بالحرية ، فحسبوا أنفسهم كأموات . هذا هو حال كل إنسان أسرته الخطية فانهارت حياته الداخلية وفقد الإرادة الصالحة والقدرة على التمتع بالحياة القدسية ليصير أشبه بميت يحل به الفساد ، إنه محتاج إلى من يوقظه من موت الخطية ، ويهبه الحياة الجديدة المقامة .

يقول الرسول : " لذلك يقول : استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضىء لك المسيح " أف 5 : 14 .

" وأقمنا معه واجلسنا معه فى السمويات فى المسيح يسوع " أف 2 : 6 .

الآن قد جاء المخلص إلى كل نفس ساقطة ومهانة ليناجيها قائلاً : " مررت بك ورأيتك وإذا زمنك زمن الحب ، فبسطة ذيلي عليك " حز 16 : 8 ...

ماذا يعنى بسط ذيله عليها إلا قبولها عروسا له تتحد معه وتمتع بحياته المقامة ؟! جاءها كعريس لتجد فيه " القيامة " فتستيقظ كما من الموت الأبدى . هذا ما عناه الرسول بولس بقوله :

" لأنه إن كان بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد فبالأولى كثيرا الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون فى الحياة بالواحد يسوع المسيح " رو 5 : 17 .

هكذا تتحد النفس بالعريس واهب الحياة فتخلع عنها الأكفان وترتدى ثوب العرس :

" البسى عزك يا صهيون ، البسى ثياب جمالك يا أورشليم المدينة المقدسة " إش 52 : 1 .

ما هو هذا اللباس الذى سكب عليها بهاء الرب فجملت جدا وصلحت أن تكون ملكة إلا شخص المسيح نفسه الذى نختفى فيه
كقول الرسول : " قد لبستم المسيح " غل 3 : 27

+ يليق بالكنيسة كلها أن تتהלل مسبحة السيد المسيح على مثال النسوة القديسات حينما تحققن قيامة الرب ، هذا الذى أيقظ
البشرية من النوم ، إذ أعطاهما الحياة وملأها بنور الإيمان .

يقول القديس غريغوريوس النزينزى :
+ اليوم هو " عيد القيامة " ، وإنه لى لبداية جديدة .

+ لقد مسحنى السر الإلهى .. الذى يحضرنى إلى هذا اليوم العظيم المشرق ، واهباً عوناً لضعفى ، فيعطينى ذاك الذى قام
من الأموات – فى مثل هذا اليوم – حياة لنفسى أيضاً ، ويلبسنى الإنسان الجديد (أف 4 : 23 ، 24) ، ويجعلنى من
الخليقة الجديدة من هؤلاء الذين ولدوا من الله .. فأكون مستعداً أن أموت معه وأقوم أيضاً معه ..

بالأمس (الجمعة العظيمة) ذبح الحمل ورشت القوائم بدمه .. وعبر الملاك المهلك بسيفه المهلك مرتعباً وخائفاً .. لأننا
محفوظون بالدم الثمين .

بالأمس قد صلبت مع المسيح ، واليوم أنا ممجد فيه !

بالأمس مت معه ، واليوم وهبت حياة معه !

بالأمس دفنت معه ، واليوم أقوم معه !

من استطاع أن يتفهم هذا السر العظيم فى المسيح وما صنعه لأجلنا ولم يعط المسيح نفسه فهو لم يعطه شيئاً !

ب – تصير مدينة مقددة لا يعود يدخلها أغلف ولا نجس ، أى لا يدوسها بعد . كمدينة الله تتقدس من كل نجاسة لتحمل
طبيعة الحياة السماوية اللانقطة بالملك السماوى .

الآن يا أحبائى .. قد ذبح الشيطان ، ذاك الطاغية الذى هو ضد العالم كله ، فنحن لا نقترّب من عيد زمنى بل من عيد دائم
سماوى ...

ج - تنتفض من التراب ، إذ لا تعود تتعلق النفس بالزمنيات وإنما تطلب ملكوت الله وبره أولاً وهذه كلها تزداد لها . تحيا
منطلقة نحو الأبدية متحررة من رباطات العالم .

د – تقوم كملكة لتجلس على كرسى الملك (إش 52 : 2) ، بعدما كانت أمة وعبدّة أسيرة تجلس فى التراب تخدم سادتها فى
مذلة وهوان ، تقوم إلى يمين الملك السماوى . وكما يقول المرتل : " جعلت الملكة عن يمينك بذهب أوفير " مز 45 : 9 .

هـ - التمتع بالحرية : " انحلى من ربط عنقك أيتها المسبية ابنة صهيون " . إش 52 : 2 . بعدما كانت مربوطة من عنقها
لتسحب كإحدى الحيوانات فى السبى انحلت هذه الربط وعادت إليها كرامة الحرية لتعيش سيّدة نفسها ، صاحبة سلطان
داخلى .

(2) خلاص مجانى

" فإنه هكذا قال الرب : مجاناً بعتم وبلا فضة تفكون " إش 52 : 3 . لم يبع الله شعبه لبابل ، إنما هم الذين باعوا أنفسهم
بأنفسهم خلال تركهم الله وعصيانهم له ، فسلمهم لهم .

لم ينالوا شيئاً مقابل ذلك ولا نال الله شيئاً ، لأن بابل لم تشكر الله الذى سلمهم هذا الشعب كأسرى بل جدفوا عليه . كأن الله لا
يود تسليمهم لبابل لكنهم ألزموه ببيعهم أنفسهم للخطية والرجاسات الوثنية .

(3) بشارة مفرحة :

جاءت البشارة برد الشعب عن السبى من قبل الرب نفسه الذى ملك على شعبه (إش 52 : 7) ، فارتفعت أصوات التسبيح
والترنم ، لا من أجل رجوعهم إلى بلادهم وإنما من أجل " رجوع الرب إلى صهيون " إش 52 : 8 .

جاء بنفسه ليعزى شعبه ، ويشمر ذراع قدسه للعمل لإصلاح ما حل بشعبه ومدينته من خراب ، ليعلن علانية " أمام عيون كل الأمم " إش 52 : 10 لتمجده كل أطراف الأرض .

جاء الحديث بالأكثر عن البشارة المفرحة الخاصة بإنجيل الخلاص :

" ما أجمل على الجبال قدمى المبشر المخبر بالسلام ، المبشر بالخير ، المخبر بالخلاص ، القائل لصهيون : قد ملك إلهك " إش 52 : 7 .

ما هما هاتان القدمان الجميلتان إلا كنيسة العهد الجديد التى تنطق خلال كلمة الله (الجبال) لتبشر بالإنجيل وتعلن أن ربنا يسوع قد ملك على خشبة وأنه أقامنا معه ؟!

(4) اعتزال الشر

بروح النبوة رأى إشعياء الكهنة حاملى أنية الرب التى أخذها نبوخذ نصر والتى استعملها بيلشاصر باستخفاف (عز 1 : 7 – 11) ، فى موكب مهيب استغرق حوالى أربعة شهور

كشف النبى عن سر مهابة هذا الموكب ألا وهو :

أ – من الجانب السلبي : اعتزال الشر والخروج المستمر من أسر الخطية ، " اعتزلوا اعتزلوا ، اخرجوا من هناك ، لا تمسوا نجسا ، اخرجوا من وسطها ، تطهروا يا حاملى أنية الرب " إش 52 : 11 . دعوة للخروج المستمر .

ب – من الجانب الإيجابى : قبول الله نفسه قائدا للموكب ، لهذا نخرج فى هدوء وطمأنينة واثقين من قدرة قائدنا وحمايته لنا كل الطريق ، " لأنكم لا تخرجون بالعجلة ، ولا تذهبون هاربين ، لأن الرب سائر أمامكم وإله إسرائيل يجمع ساقطكم " إش 52 : 12 .

(5) مجد عبد الرب

إذ أوصى أن يقود الرب المخلص الموكب ، قدم لنا صورة عن مجد المخلص الذى صار عبدا ليتمجد لحسابنا وبإسمنا ، وقد فسر اليهود القدامى هذا النص على أنه خاص بالمسيا .

أ – " هوذا عبدى " : صار الكلمة جسدا ، وحسب عبدا للأب كنائب عن البشرية ، العبد الذى يطيع فنحسب فيه مطيعين لله .

ب – " يعقل يتعالى ويرتقى ويتسامى جدا " إش 52 : 13 ، هو حكمة الله ، من أجلنا قبل روح الحكمة والفهم يستقر عليه (إش 11 : 2) مع كونه هو روحه القدس الغير منفصل عنه .

جـ ـ منظره على الصليب أثار دهشة الساميين والأرضيين : " كما اندهش منك كثيرون . كان منظره كذا مفسدا أكثر من الرجل وصورته أكثر من بنى آدم " إش 52 : 14 . هذا ما سيعلنه بأكثر وضوح فى الإصحاح التالى : " لا صورة له ولا جمال فننظر إليه ولا منظر فنشتهيه .. " إش 53 : 2 ، 3 .

د – خلال هذا المنظر المؤلم كذبيحة مرفوعة على الصليب نضحبدمه على الأمم فقدسهم له ، وسد أفواه ملوك (ربما يعنى قوات الظلمة) إذ أبصروا خلاصا لم يكونوا يدركونه من قبل .

+++

إشعياء – الإصحاح الثالث والخمسون

المسيح المصلوب

يعتبر هذا الإصحاح من أروع الإصحاحات المحببة لدى المؤمنين لأنه يكشف عن سر الصليب وقوته ، حيث بسط الرب يديه بالحب العملى ليخلص البشرية ، كما سبق فقال : " وأخلصكم بذراع ممدودة " خر 6 : 6 تحدث عن منظر المخلص أنه " .. كان منظره كذا مفسدا أكثر من الرجل " إش 52 : 14 ، لكن خلال هذا المنظر المؤلم نضح بحبه ودمه على أمم كثيرين ففداهم (إش 52 : 15) . هذا ما يعلنه هذا الإصحاح بكل وضوح . وكما يقول القديس أكليمندس الرومانى :

[المسيح هو مسيح المتواضعين لا المتعجرفين على قطيعه . فإن صولجان عظمة الله ، ربنا يسوع المسيح لم يأت في موكب الكبرياء والزهو ، مع أنه كان قادرا أن يفعل هذا ، لكنه جاء في إتضاع كما أعلن عنه الروح القدس] .

(1) الصليب سر فائق

يفتتح النبي حديثه عن الصليب قائلا :

" من صدق خبرنا ؟! ولمن استعلنت ذراع الرب ؟! " إش 53 : 1 .
إن كان معاصرو إشعيا النبي لم يستطيعوا قبول النبوات الخاصة بظهور كورش لرد الشعب من السبي البابلي فكيف يقدرون أن يصدقوا أمر الصليب ؟! حقا إنه سر عجيب يقف أمامه الساميون والأرضيون في دهشة إذ يرون ذراع الرب قد استعلنت خلال التجسد لكي يبسط الرب يديه على الصليب ليحتضن الأمم ، واهبا إياهم قوة قيامته وبهجتها خلال شركتهم آلامه وصلبه .

يقول القديس أغسطينوس :
يبقى موضوع استعلان ذراع الرب أو تجسد كلمة الله موضوع دهش الخليقة السماوية والأرضية ، كيف يصير الكلمة جسدا ؟!
+ بأى كلمات نبارك الله ، وأى شكر يمكننا أن نقدمه له ؟!

لقد أحبنا ، حتى أنه وهو الكائن الأزلى ، الأقدم من كل المسكونة ذاتها صار فى السن أصغر من كثير من خدامه فى العالم !
كطفل كان يصيح فى طفولته غير متكلمة وهو " الكلمة " الذى بدونه تعجز كل فصاحة البشر عن الكلام !

أنظر يا إنسان ماذا صار الله من أجلك ؟!

مع كونك إنسانا أردت أن تكون إلها فضلت ! وهو مع كونه الله أراد أن يكون إنسانا لكي يرد ذاك الذى ضل !

الكبرياء الإنسانية هبطت بك إلى أسفل ، لكيما بالأتضاع الإلهى وحده ترتفع إلى فوق !

+ ذراع الرب هو المسيح ، فلا تنسه ! لا تجعل (الأعداء الروحيين) يفرحون قائلين : إنما يوجد المسيحيون إلى حين !

+ بإعطائك مسيحه يهبك ذراعه ، وبإعطائك ذراعه يهبك مسيحه ..

إنه يقود (الإنسان) إلى الطريق بقيادته إلى مسيحه . ويقوده إلى مسيحه بقيادته إلى الطريق ، والمسيح هو الحق .

مسيحنا – ذراع الآب – قد استعلن لنا لكي نتمتع به كسر حياتنا ، قائلين :

" فإن الحياة قد أظهرت ، وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التى كانت عند الآب وأظهرت لنا " 1 يو 1 : 2 .

(2) الصليب عار وخزى

جاء الرب المخلص كغصن ينبت قدام إسرائيل وكجذر من أرض يابسة لذلك استخف به الشعب ، وخاصته لم تقبله .

" نبت قدامه كفرخ ! " إش 53 : 2

إذ جاء من نسل داود كنبنة صغيرة ، كغصن وهو خالق الكرمة وموجدها . جاء مختفيا ، فى إتضاع ، لذا رمز إليه بالعليقة الملتهبة نارا التى تبدو نباتا ضعيفا لا قوة له ، لكنه بلاهوته نار متقدة ! .

جاء " قدام " إسرائيل بكونه الراعى الذى يتقدم قطيعه ! " وكعرق من أرض يابسة " إش 53 : 2

جاء ظهوره بطريقة غير متوقعة ، فقد ظن اليهود أن يروا المسيا ملكا عظيما ذا سلطان ، قادرا أن يحطم الإمبراطورية الرومانية ويقيم دولة تسود العالم ، أما هو فجاء كجذر مختف في أرض جافة لا يتوقع أحد أنه ينبت ويأتي بثمر ، ولد من القديسة مريم المخطوبة ليوسف النجار ، وكان كلاهما فقيرين :

" افتقر وهو غنى لكى تستغنوا أنتم بفقره " 2 كو 8 : 9 .

جاء السيد المسيح كعرق من أرض يابسة ، إذ كان اليهود في ذلك الحين في حالة جفاف شديد ، جاء وسط اليبوسة ليقم من البرية فردوسا . قالت عنه العروس :

" كالتفاح بين شجر الوعر كذلك حبيبى بين البنين " نش 2 : 3 .

لا صورة له ولا جمال فننظر إليه ولا منظر فنشتهيه ، محتقر ومخذول من الناس ، رجل أوجاع ومختبر الحزن وكمسثر عنه وجوهنا ، محتقر فلم نعتد به إيش 52 : 2 ، 3 .

هنا ينتقل النبی من منظر التجسد إلى منظر الصليب ، فى التجسد رآه نبتة صغيرة من نسل داود ، وجذرا من أرض يابسة ، جاء كابن للبشر حين كانت البشرية كلها بما فيها شعب الله فى يبوسة تامة .. وجاء من عائلة فقيرة حتى قال نثنائيل : أمن الناصرة يخرج شيء صالح ؟! الآن يتطلع النبی إلى منظر الصليب ، فيراه بلا صورة ، بلا جمال ، بلا منظر ، محتقر لا يجسر أحد أن يقترب إليه ، رجل أحزان ، نخفى وجوهنا ونسترها عن رؤيته بسبب الحزن الشديد .

+ ليس له شكل ولا جمال فى أعين اليهود ، أما بالنسبة لداود فهو أبرع جمالا من بنى البشر (مز 45 : 2) . على الجبل (أثناء التجلى) كان بهيا ومضيئا أكثر من الشمس (مت 17 : 2) ، مشيرا إلينا نحو سره المستقبل .

(3) الصليب فداء و خلاص

بعد أن تحدث عن الصليب من الخارج دخل بنا إلى الأعماق لنكتشف سره وقوته كذبيحة اثم وكفارة عن خطايانا ، إذ يقول :

" لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها ، ونحن حسبناه مصابا مضروبا من الله ومذلولا " إيش 53 : 4 .

ما حمله ليس أحزانه ولا أوجاعه إنما هى أحزاننا وهمومنا وجراحاتنا .. ما يحمله إنما هو ثقل خطايانا التى انحنى بإرادته ليحملها بحبه فى جسده عنا .

حمل السيد المسيح أحزاننا كما شاهدناه فى بستان جثسيماني وهو يشرب كأسنا حتى النهاية ، فى كل مرارتها إذ صلى لأبيه قائلا :

" يا أبته إن لم يكن أن تعبر عني هذه الكأس الا أن أشربها فلتكن مشيئتك " مت 26 : 42 .

لقد أخذ بطرس وإبنى زبدى ليروه قد ابتدأ يحزن ويكتئب ، قائلا لهم : " نفسى حزينة جدا حتى الموت " مت 26 : 38 .

" الذى لم يعرف خطية صار خطية لأجلنا " 2 كو 5 : 21 ، إذ قدم نفسه ذبيحة إثم يحمل خطايانا وأثامنا ويكفر عنها .

" وهو مجروح لأجل معاصينا ، مسحوق لأجل آثامنا ، تأديب سلامنا عليه [لولا احتماله التأديب عنا لما تمتعنا بالسلام] وبحبره شفينا . كلنا كغنم ضللتنا ، ملنا كل واحد إلى طريقه ، والرب وضع عليه إثم جميعنا " إيش 53 : 5 ، 6 .

يقول القديس أمبروسىوس :

+ من أجلي اتضع وخضع !

صار لعنة – لا من جهة لاهوته بل من جهة ناسوته – إذ هو مكتوب " ملعون كل من علق على خشبة " غلا 3 : 13 .

بالجسد علق ، ولهذا صار لعنة ، ذاك الذى حمل لعنتنا !

بكى حتى لا تبكى أيها الإنسان كثيرا !

يا له من علاج مجيد ! أن تكون لنا تعزية المسيح .

هوذا دموعه تغسلنا وبكاؤه ينظفنا !

" ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه ... كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه "إش 53 : 7 .

يتحدث النبی هنا فی صیغة الماضي وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم [هذه هي عادة الأنبياء في القديم أن يتحدثوا عن المستقبل كما عن الماضي]

يقول القديس أغسطينوس :

+ بالتأكيد تتحدث النبوة بأكثر وضوح عن الرب يسوع عندما قيل " مثل حمل سيق إلى الذبح " إش 53 : 7 (يكونه فصحا) .

لقد مسحت جبهتك بعلامة (دمه) وأيضا القائمتان ، إذ حمل كل المسيحيين ذات العلامة .

+ لاق به أن يكون صامتا أثناء آلامه ، ولكنه لا يكون صامتا في الدينونة .

لما جلد صمت ! ولما صلب صلي لأجل صاليه ! بماذا أكافئ الرب عن كل ما أعطانيه ؟! كأس الخلاص آخذ وأدعو اسم الرب .

" وفي جيله من كان يظن أنه قطع من أرض الأحياء ، إنه ضرب من أجل ذنب شعبي "إش 53 : 8 .

لقد ولد أزليا .. ولد من الأب بلا زمن ، وولد من البتول في ملء الأزمنة .

" وجعل مع الأشرار قبره ومع غنى عند موته ، على أنه لم يعمل ظلما ولم يكن في فمه غش "إش 53 : 9 .

+ صلبوه مع لصوص ، محققين النبوة لا إراديا . ما فعلوه لإهانتهم حسب للحق لكي تدرك قوة النبوة العظيمة ..

" وجعل مع الأشرار قبره " لقد تحققت النبوة بإقامة حراس أشرار عند قبر السيد المسيح قبلوا رشوة ليكذبوا قائلين " ان تلاميذه أتوا وسرقوه ونحن نيام " مت 28 : 13 .

لقد نطقوا كذبا فشهدوا عن قيامته ، إذ ماداموا نياما فكيف عرفوا أن تلاميذه سرقوه ؟!

" من أجل أنه سكب للموت نفسه وأحصى مع أئمة وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين "إش 53 : 12 .

+ إنه يشفع فينا كل يوم غاسلا أقدامنا ، ونحن أيضا نحتاج إلى غسل أقدامنا يوميا بسلوكنا بالحق بخطوات روحية ، فنعرف الصلاة الربانية ، قائلين :

" واغفر لنا ذنوبنا كما تغفر نحن أيضا للمذنبين إلينا " مت 6 : 12 .

+ + +

إشعياء – الإصحاح الرابع والخمسون

دعوة الكنيسة للترنم

بعدما تحدث عن الأم المسيح المخلصة يدعو الكنيسة لحياة التسبيح والفرح ، فقد وجدت عريسها السماوى الذى يهبها خصوبة روحية وثمرات متكاثرات عوض العقر وعدم الإثمار . رفعها من المذلة إلى مجد أولاد الله ، ومن الفساد إلى بره السماوى ، واهبها نصرة على كل قوات العدو .

(1) تسبيح من أجل الإثمار

" ترنمى أيتها العاقر التى لم تلد ، أشيدى بالترنم أيتها التى لم تتمخص ، لأن بنى المستوحشة أكثر من بنى ذات البعل قال الرب "إش 54 : 1 .

يرى العلامة أوريجانوس أن البعل أو الزوج هنا هو الناموس الذى ارتبط به الشعب القديم كزوج ، وكان يليق به أن يقدم ثمرا متكاثرا بينما حرمت الأمم منه لكنها إذ اتحدت بالسيد المسيح خلال الإيمان به أنجبت أولادا مقدسين للرب .

يقارن القديس أغسطينوس بين كنيسة العهد القديم وكنيسة العهد الجديد ، الأولى تزوجت بالناموس فصارت مع أولادها فى عبودية لأنها كانت تطلب البركات الزمنية ، أما الثانية فهى تتعبد لله من أجله هو ليكون هو الكل فى الكل ، خدمتها حرة تخص أولاد المرأة الحرة لا الجارية ، هذه كانت قبلا عاقرا ولم يكن لها أولاد أما الآن فصار لها أولاد كثيرون أكثر مما كان للأولى .. هذا يهبها فرحا وترنما .

+ جاء الناموس يعمل ليجعل الناس أبرارا لكنه لم يستطع ، فجاء (المسيح) وفتح طريق البر بالإيمان ، وبهذا حقق ما اشتهاه الناموس . ما لم يستطع الناموس أن يحققه بالحرف حققه هو بالإيمان .

" اوسعى مكان خيمتك ، ولتبسط شقق مساكنك ، لا تمسكى أطيلي أطنابك وشددى أوتادك ، لأنك تمتدين إلى اليمين وإلى اليسار ويرث نسلك أمما ويعمر مدنا خربة " إش 54 : 2 ، 3

تطلع النبى إلى كنيسة العهد الجديد كخيمة اجتماع مع الرب وقد جاء إليها أعداد بلا حصر من اليمين (اليهود) ومن اليسار (الأمم) فى فيض لا ينقطع حتى ضاق الموضع جدا فطلب توسيع مكان الخيمة وبسط الشقق المصنوعة منها وإطالة أطنابها .. فإنها تمتد لتصير الأرض للرب وللمسيح ، إنها تحول أمما وثنية إلى مقدس للرب ، وتعمر مدنا خربة إلى مساكن مقدسة لشعب الله .

هذه هى صورة النفس التى تلتقى بالصليب ، تصير بالحق خيمة الرب التى يتسع قلبها يوما فيوما ليحمل صورة المخلص محب البشر .

(2) تسبيح من أجل العريس

إن كان الصليب عارا ، يتعثر فيه اليهود ويحسبه الأمم جهالة (1 كو 1 : 23) ، لكننا نحمل ثمرة فندرکه " قوة الله وحكمته " ولا نستحي منه (غل 6 : 14) . لهذا يقول النبى :

" لا تخافى لأنك لا تخزين ، ولا تخجلى لأنك لا تستحين ، فإنك تنسين خزى صباك وعار ترملك لا تذكرينه بعد "

إش 54 : 4 .

عند الصليب تلتقى النفس بعريسها واهب الحياة غالب الموت فتتسى ترملها القديم وخزى صباها إذ عاشت زمنا طويلا كوحيدة متروكة ليس من يملأ فراغ قلبها . تطلعها للعريس المصلوب يشبع كل أعماقها الداخلية فلا تبالى بسخرية بنات أورشليم الرافضات الخلاص ، بل فى قوة الحب تقول : " أحلفكن يا بنات أورشليم بالظباء وبأبناىل الحقل ألا تيقظن ولا تنبهن الحبيب حتى يشاء " نش 3 : 5 .

يقول القديس يوحنا الذهبى الفم حوارا بين العريس السماوى والنفس البشرية ، جاء فيه :

[عظيم هو مهرى ! جاء وأخذنى ، وعين لى المهر ، قائلا : أعطيك غناى !

هل فقدت الفردوس ؟ أرده لك ...

ومع ذلك لم يعطنى المهر كله هنا ، لماذا ؟

لكى اهبه لك عندما تتخلين الموضع الملوكى .

هل أنت جئت إلى ؟ لا ، بل أنا الذى جئت إليك .. لا لكى تمكثى فى موضعك ، وإنما لكى آخذك معى وأرجع بك ، فلا تطلبى منى المهر وأنت هنا فى هذه الحياة ، بل كونى مملوءة رجاء وإيمانا] .

هذا هو سر فرحنا ، وهذا هو موضع تسبيحنا الذى لا ينقطع . لقد حول الصليب ترملنا إلى عرس فريد فيه نتحد مع الرب نفسه : " لأن بعلك هو صانعك رب الجنود اسمه ، ووليك قدوس اسرائيل إله كل الأرض يدعى ، لأنك كإمرأة مهجورة ومحزونة الروح دعاك الرب وكزوجة الصبا إذا رذلت قال إلهك " إش 54 : 5 ، 6 .

كنا فى عار كإمرأة قد هجرها رجلها فانكسرت نفسها بالخزى والعار ، رذلها بسبب زناها ورجاساتها ، وها هى تصير عروسا لرب الجنود لقدوس إسرائيل إله كل الأرض يسوع المسيح .

إذ تلتقى بعريسها وتنعم بأمجاده تنسى فترة ترملها بكل مرارتها فتحسب الماضى كله بالنسبة لها أقل من لحظة أو طرفة عين . نعمة رب المجد وإحساناته التى تجعلنا معه وتوحدنا مع أبيه تجعلنا ندرك بفرح كلماته لنا :

" لحبشة تركتك وبمرامح عظيمة سأجمعك ، بفيضان الغضب حببت وجهى عنك لحظة وإحسان أبدي أرحمك قال وليك الرب " إش 54 : 7 ، 8 .

هذا الحب الزوجى بين المسيح والنفس البشرية أبدى لا يزول ، فكما قدم الله وعدا لنوح ألا يغرق العالم بالطوفان خلال غضبه على البشرية (إش 54 : 9) هكذا يهبنا الرب وعدا ألا يفارقنا قط أو ينزع رحمته عنا ، إذ يقول : " فإن الجبال تنزول والأكام تتزعزع أما إحسانى فلا يزول عنك وعهد سلامى لا يتزعزع قال راحمك الرب " إش 54 : 10 .

(3) تسبيح من أجل تجديدها

سر تسبيحنا أننا كنا كعاقور وهبنا الله كثرة من البنين ، وكمستوحشة متروكة وجدت الرب نفسه عريسا لها ، وأيضا كمدينة خربة قام الرب بتجديدها وإعادة بنائها .

" أيتها الذليلة المضطربة غير المتعزية هأنذا ابني بالأثمد حجارتك وباليافوت الأزرق أووسك ، واجعل شرفك ياقوتا وأبوابك حجارة بهرمانية وكل تخومك حجارة كريمة " إش 54 : 11 ، 12 .

يالها من صورة رائعة تكشف عما وصلت إليه البشرية من انحطاط وما حل بها من مجد فائق لا ينطق به ، كانت كمدينة خربة مهدمة حسبت فى ذل وحل بها الاضطراب بواسطة العدو الذى سبى شعبها وافقدهم كل رجاء فصاروا بلا تعزية ، الآن يقوم الرب ببنائها هكذا :

أ – يبنى بالأثمد حجارتها ، علامة القوة والمتانة ، هذه الحجارة هى النفوس التى قبلت الإيمان بالمخلص فصارت حجارة حية فى هيكل الرب ، لا قدر عدو الخير أن يحطمها أو ينتزعها !

ب – الأساس من اليافوت الأزرق . الأساس هو ربنا يسوع السماوى ، حجر الزاوية الذى يضم الكل معا فيه .

ج - الشرف من اليافوت الشفاف إشارة إلى مجد المؤمن الداخلى القائم على بر المسيح والحياة المقدسة فيه ، ينعكس على الشرفات الخارجية .

د – الأبواب التى من الحجارة البهرمانية ، تشير إلى تقديس الحواس واهتمامنا بها دون تحطيمها أو الاستخفاف بها .

هـ - كل التخوم حجارة كريمة تشير إلى التقديس الكامل للنفس مع الجسد .

و – كل سكانها يحسبون تلاميذ الرب وبنيتها مملوئين سلاما " وسلام بنيك كثيرا " إش 54 : 13 .

بجلوسنا عند قدمى المخلص نسمع صوته ونتمتع بإمكانياته لنمارس الحق فيه يهبنا سلام الروح الداخلى كعطية خاصة لبنيه .

ز – سر سلام الكنيسة الكثير وبنيتها وقوتها هو بر المسيح ، إذ يقول : " بالبر تثبتين ، بعيدة عن الظلم فلا تخافين ، وعن الارتعاب فلا يدنو منك " إش 54 : 14 .

يقول الرسول : " الذى أسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا " رو 4 : 25 .

(4) تسبيح من أجل نصرتها

ما يفرح قلب الكنيسة التى بناها الرب بنفسه واختارها عروسا له وملكة سماوية ، متلمذا أولادها على يديه ، واهبا إياهم سلامه الفائق ، مقدما لهم بره عاملا فيهم ليعيشوا بالبر ويرفضوا كل شر وظلم ، إنها فى ذات الوقت تقاوم من قوات الظلمة مجتمعة فيهبها الرب نصره عليهم وغلبة حتى على الموت .

أ – اتحاد قوات الظلمة ضدها : " ها أنهم يجتمعون اجتماعا ليس من عندى " إش 54 : 15 ... يتشاورون ويعملون معا ضد كنيسة المسيح كما اجتمعت قوى الشر قبلا تطلب صلب عريسها فتحول ظلمهم إلى خلاص للعالم ، وأخرج الله من الأكل أكلا ومن الجافى حلاوة .

ب – اتحادهم معا يسقطهم تحت قدمى الكنيسة : " من اجتمع عليك فإليك يسقط " إش 54 : 15 .

ج - اجتماعهم هو بسماح الهي : " وأنا خلقت المهلك ليخرب " إش 54 : 16 ، لهذا لا نخشاه ولا نضطرب من شدة عنفه ، فإنه فى يد الخالق ممسوك به .

د – تنتهى حتما كل مقاومة وتكلل الكنيسة لتنال ميراثا برا أبديا :

" كل آلة صورت ضدك لا تتجحوكل لسان يقوم عليك فى القضاء تحكمين عليه . هذا هو ميراث عبيد الرب وبرهم من عندى يقول الرب " إش 54 : 17

+++

إشعياء – الإصحاح الخامس والخمسون

دعوة عامة للخلاص

كشف الرب عن عمله فى الكنيسة التى أقامها من حالة الترميل إلى العرس الأبدى ، ومن الخراب إلى مدينة الله الثمينة فائقة الجمال ، والآن يفتح الرب أبوابها للجميع كى يأتوا إلى ينبوع الحياة ويشربوا ويرتووا ويجدوا طعاما لائقا يناسب احتياجات الكل ، ويدخلوا فى عهد جديد أبدي . أمام هذه الدعوة يليق بالعطاش أن يعلنوا عن تجاوبهم عمليا بطلب الرب ورفض الشر مع التسليم الكامل بين يدي المخلص بفرح وتهليل قلب .

(1) دعوة للخلاص

جاءت الدعوة الإلهية للتمتع بخلاص الرب المجانى تحمل البنود التالية :

أ – دعوة عامة للعطاش : " أيها العطاش جميعا هلموا إلى الحياة ، والذى ليس له فضة تعالوا اشتروا وكلوا هلموا اشتروا بلا فضة وبلا ثمن خمرا ولبنا " إش 55 : 1 .

إنها دعوة عامة للجميع ، أبواب الكنيسة مفتوحة أمام الكل ، ينصت إليها من يشعر بالأحتياج أى " العطاش " وكما قال الرب

" طوبى للجبايع والعطاش إلى البر فإنهم يشبعون " مت 5 : 6 .

الحياة فى الكتاب المقدس تشير أحيانا إلى المعمودية ، وكأن الدعوة هنا موجهة إلى الجميع للتمتع بالعماد مجانا .

ب – عطاء مشبع للكل ، هذه العطية المجانية التى لا تشتري بفضة ولا بثمن تقدم لكل إنسان احتياجاته ، فيجد الكبار خمرا يفرحهم والصغار لبنا يسندهم .

الخمير الروحى الذى يتمتع به الكبار يشير إلى حالة الفرح التى يتمتع بها البالغون فى القامة الروحية ، فتتلاذذ نفوسهم بدسم الرب (إش 55 : 2) .

وكما يقول الشيخ الروحانى : [طوبى للحامل فى قلبه ذكرك فى كل وقت ، لأن نفسه تسكر دائما بحلاوتك] .

اللبن الروحي المقدم للصغار يشير إلى ترفق الله بالمبتدئين ، فيقدم لهم ما يناسب معدتهم الروحية حتى ينموا وينضجوا ، يعرف كيف يقدم لكل واحد ما هو لبنانيته وسلامته وشعبه وإروائه .

هكذا لا يشعر أحد بالحرمان بل كما قيل :

" كلوا الطيب ولتلتذذ بالدسم أنفسكم " إش 55 : 2 .

ج - دخول في عهد أبدي لإقامة مملكة داود الساقطة حسب الوعد الإلهي الصادق :

" واقطع لكم عهدا أبديا ، مراحم داود الصادقة " إش 55 : 3 .

خلال هذا العهد نصير ملوكا (رؤ 5 : 10) منتسبين لملك الملوك الذي قيل عنه :

" هوذا قد جعلته شارعا للشعوب ، رئيسا وموصيا للشعوب " إش 55 : 4 .

هو الملك واضع شريعة العهد الجديد والوصية الجديدة لا لشعب معين بل لكل الشعوب .

د - قبول الأمم الوثنية الراجعة إلى الله بالإيمان :

" ها أمة لا تعرفها تدعوها وأمة لم تعرفك تركض إليك من أجل الرب إلهك وقديس إسرائيل لأنه قد مجدك " إش 55 : 5 .

لم يكن هذا الأمر مقبولا لدى الشعب القديم ، بل وحتى بعد افتتاح الباب أمام الأمم بقيت الكنيسة في العالم كله إلى قرون في دهشة أمام حب الله للبشرية كلها ، يجذبهم من الوثنية ورجاساتها ليعلموا مجد الله ، في عجب يقول القديس أغسطينوس : [كيف دخلت الأمم إلى الإيمان هكذا سريعا ؟! ... نسألهم : ماذا تريدون ؟ يجيبون : " معرفة مجد الله "] .

(2) تجاوب الإنسان

أمام هذه الدعوة العامة المجانية المقدسة للعطاش يليق بالإنسان أن يعلن تجاوبه معها وقبوله لها عمليا بالوسائل التالية :

أ - الصلاة أو طلب الله للالتقاء معه : " أطلبوا الرب ما دام يوجد أدعوه وهو قريب " إش 55 : 6 .

ب - التوبة : " ليترك الشرير طريقه ورجل الإثم لأفكاره وليتب إلى الرب فيرحمه وإلى إلهنا لأنه يكثر الغفران " إش 55 : 7 .

التوبة هي الطريق الذي مهد به القديس يوحنا المعمدان للسيد المسيح ، والذي كرز به التلاميذ لتهيئة البشرية لقبول ملكوته في داخلهم !

ج - الأتكال على حكمة الله والثقة في خطته وتدبيره نحونا ، إذ يقول : " لأن أفكارى ليست أفكاركم ولا طرقكم طرقى يقول الرب ، لأنه كما علت السموات عن الأرض هكذا علت طرقى عن طرقكم وأفكارى عن أفكاركم " إش 55 : 8 .

د - الأرتواء بكلمة الرب واهبة الثمر : " لأنه كما ينزل المطر والتلج من السماء ولا يرجعان إلى هناك بل يرويان الأرض ويجعلانها تلد وتنبت وتعطي زرا للزراع وخيزرا للأكل هكذا تكون كلمتى التى تخرج من فمى ، لا ترجع فارغة ، بل تعمل ما سررت به وتنجح فى ما أرسلتها له " إش 55 : 10 ، 11 .

لقد نزل كلمة الله متجسدا ليروى الطبيعة البشرية بدمه كمطر فريد قادر أن يعيد خلقها ويجدد لها ، محولا إياها من برية قاحلة تسكنها الوحوش العنيفة إلى فردوس مثمر يسكنه الثالوث القدوس ويتهلل به السمائيون وأيضا الأرضيون .

هكذا يليق بنا أيضا أن نقبل كلمة الله المكتوبة لا للدراسة العقلانية البحتة وإنما كحياة معاشة تعطى ثمرا إلهيا .

هـ - التسبيح الدائم علامة قبول العريس قلبيا والتجاوب معه داخليا ، " لأنكم بفرح تخرجون وبسلام تحضرون ، الجبال والأكام تشيد أمامكم ترنما وكل شجر الحقل تصفق بالأيدى " إش 55 : 12 .

الخروج بفرح إنما يعنى خروج النفس من " الأنا " ، واتساعها بالحب لحساب عريسها وكل أحبائه ، اتساعها للسمايين ..
والأرضيين ..

و - ثمر إيجابى متكاثر ، فلا يكفى انتزاع الشوك والقريس وإنما يلزم ظهور السرو والآس علامة ختمنا باسم الرب واهب الثمر الروحى ، بمعنى آخر قبولنا لدعوته لا يعنى تركنا للشر فحسب وإنما صنعنا بر المسيح وممارستنا حياته القدسية المثمرة بعمل روحه القدوس فينا .

+ + +

إشعياء - الإصحاح السادس والخمسون

بيت الصلاة لكل الشعوب

قدم الله دعوة جماعية للتمتع بالخلاص المجانى معلنا التزام الإنسان بالتجاوب مع الدعوة عمليا ، والآن يقدم الله كنيسته بيت الله المفتوح لكل الشعوب . لا يظن أحد فى نفسه أنه

" ابن الغريب " أى من نسل عابدى الأوثان بل يحسب نفسه مفرزا لخدمة الرب والتعب له ، ولا يحسب إنسان أنه خصى أو شجرة يابسة بل هو عمود فى بيت الرب .

ليس عند الله محابة ، يفتح بيته للجميع ، يأتية الغرباء قابلو الإيمان ، ويحرم منه الذين نالوا الشريعة والنبوات لكنهم جحدوه (1) بيت الصلاة لكل الشعوب

فى الإصحاح السابق كانت الدعوة لجميع العطاش (إش 55 : 1) ، لليهود والأمم ، للعطاش والجياع ، للعمى والصم الخ ... لكى ينهلوا من ينابيع انجيل الخلاص المجانى وعطية الروح المقدمة لكنيسة العهد الجديد . الآن إذ خشى أن يتراجع أحد عن العطية حاسبا نفسه غريبا ابن غريب لأنه ولد من عائلة وثنية جاحدة للإيمان ، أو لأنه عقيم بالطبيعة لكونه خصيا أو شجرة يابسة ، لهذا أخذ يشجع الكل للدخول من أبواب مراحم الله المتسعة :

(أ) خلاص الرب ليس ببعيد " لأنه قريب مجيء خلاصى واستعلان برى " إش 56 : 1 . فمن جهة الزمن لم يكن باقيا سوى سبعة قرون لمجىء السيد المسيح مخلص العالم ، أى حوالى 700 سنة ، وألف سنة عند الرب كيوم واحد (مز 90 : 4) . أما ما هو أهم فإن خلاص الرب قريب من كل أحد ، لأن الكلمة فى داخل القلب ، وصليب الرب ممكن إعلانه فى كل نفس . وكما قال القديس أغسطينوس : [لغباوتى كنت أبحث عنك خارجا ... وكنت أنت داخل عميقا أعرق من عمقى وعاليا أعلى من علوى] .

طريق خلاصنا فى أعماقنا لأنه وهب لنا روح الله القدس وعضويتنا فى جسد السيد المسيح خلال المعمودية ... فصرنا مسكنا لله وهيكلا له ، لهذا يقول الرسول : " الكلمة قريبة منك ، فى فمك وفى قلبك " رو 10 : 8 .

(ب) بقوله " احفظوا الحق واجروا العدل ، لأنه قريب مجيء خلاصى واستعلان برى " إش 56 : 1 يكشف عن مفهوم الفضيلة . فإننا نلتزم أن نحفظ الحق وأن نمارس العدل ، أى نسلك حسب الوصية الإلهية التى هى حق وعدل وهذا أمر صعب بل مستحيل على الطبيعة البشرية فى ذاتها . أما إن أعلن الخلاص فى القلب وتجلى بر المسيح فتصير الوصية سهلة وممكنة بل طبيعية وعذبة ، لأن الذى يتممها هو الله الساكن فينا والعامل بروحه فينا .

يقول القديس يوحنا الذهبى الفم :

الفضيلة هى عمل الله فى مؤمنيه قابلى دعوته والمتجاوبين مع محبته :

+ ألا نلاحظ أنه ليس شئ ما نفعله بدون المسيح .

+ لا نقدر أن نجرى فى طريق الله إلا محمولين على أجنحة الروح .

+ ليس أقوى من الذى يتمتع بالعون السماوى ، كما أنه ليس أضعف من الذى يحرم منه .

يقول القديس أغسطينوس :

+ الله قدوس ويقدر ، الله بار ويبرر .

(ج) هذه العطية الإلهية مجانية لكنها لا تعطى قسرا ولا للمتراجين وإنما للمتجاوبين معها عمليا : " طوبى للإنسان الذى يعمل هذا وابن الإنسان الذى يتمسك به ، الحافظ السبب لئلا ينجسه والحافظ يده من كل عمل شر " إش 56 : 2 . فإن كان الله قد وهبنا قيامته أو حياته المقامة " سبتنا " ، أى راحة لنفوسنا ، فيليق بنا أن نعيش هذه الحياة ونحفظها ، ولا نعيش فى شقاء الموت وفساده . لنحفظ يدنا من ممارسة كل عمل شرير حتى لا نخضع لموت الخطية بل نبقى فى الرب " سبتنا " الحقيقى .

سبتنا الحقيقى هو ربنا يسوع الذبيح القائم من الأموات ، فيه يجد الآب راحته (سبته) من جهتنا إذ نتبرر فيه ونحسب أولادا له ، وفيه نجد راحتنا إذ نجد فيه موعنا فى حضن الآب .

(د) تحويل الغرباء إلى أبناء بيت الله : " فلا يتكلم ابن الغريب الذى اقترن بالرب قائلا : افرازا أفرزنى الرب من شعبه " إش 56 : 3 .

إنما يتمتعون بالعهد الإلهى ، لهم حق العبادة وخدمة بيت الرب .

" وأبناء الغريب الذين يقترون بالرب ابخدموه وليحبوا اسم الرب ليكونوا له عبيدا كل الذين يحفظون السبب لئلا ينجسوه ويتمسكون بعهدى " إش 56 : 6 .

ماذا يعنى قبول الغرباء كأبناء بيت الرب والتمسك بالعهد الإلهى ؟ إنه تمتع بالاتحاد مع السيد المسيح ، للدخول إلى المقدس السماوية بلا عائق ، كأبناء مقدسين فيه وكأعضاء جسده ، لهم حق الاتحاد مع الآب بالروح القدس خلال دم العهد ، دم السيد المسيح الكفارى .

انفتاح باب الخلاص أمام الغرباء لكى يصيروا أبناء الله ، لهم حق العبادة ، كما الخدمة يعطى رجاء للجميع .

(هـ) يهب الخصيان أبناء : " ولا يقل الخصى : ها أنا شجرة بابسة " إش 56 : 3 . لم يكن يسمح للخصيان جسديا أن يضموا إلى الكهنوت (لا 21 : 20) ولا أن يشتركوا مع الشعب فى المحافل .. (تث 23 : 1) .

الآن إذ انفتحت أبواب مراحم الله لا يوجد فى كنيسة الله خصى روحى ، إذ ليس بينهم عقيم بل الكل متئم (نش 4 : 2) ... الكل يشهد لله ويأتى بأبناء له .

كأن التقاءنا بالرب لا يقف عند حقنا فى دخول بيته والتمتع بعهدة إنما يهبنا قوة الشهادة له والإثمار .

لقد وعد الله شعبه إن أطاع " مباركا تكون فوق جميع الشعوب . لا يكن عقيم ولا عاقر فيك ولا فى بهائمك " تث 7 : 14 .

(و) يقيم المؤمنين أبطالا وتبقى ذكراهم خالدة أبديا حتى فى السماء :

" إنى أعطيهم فى بيتى وفى أسوارى نصبا واسما أفضل من البنين والبنات ، وأعطيهم اسما أبديا لا ينقطع " إش 56 : 5 .

يا للعجب فقد جاء الرب إلينا متجسدا لكى يموت فى أرضنا ويقوم ليرفعنا إلى بيته السماوى خالدين لا يقدر الموت أن يحطمننا ، بل تصير أسماؤنا منقوشة فى كتاب الله وعلى كفه أبديا .

(ز) التمتع بعبادة مفرحة لنا وموضع سرور الآب : " وأتى بهم إلى جبل قدسى وأفرحهم فى بيت صلاتى ، وتكون محرقاتهم وذبائحهم مقبولة على مذبحى لأن بيتى بيت الصلاة يدعى لكل الشعوب " إش 56 : 7 .

ماذا يعنى هذا إلا تمتعنا بالعبادة لا كواجب نلتزم به أو شكليات وإنما كارتفاع مفرح على جبل الرب المقدس وابتهاج ببيت الرب السماوى ، كبيت صلاة نقدم حياتنا محرقة حب وذبيحة مقدسة ملتزمة بذبيحة المسيح القدوس ، نتהלل نحن ويقبلها الأب بكونها حاملة رائحة المسيح الذكية ، موضع سروره .

(ح) انفتاح بيت الرب أمام كل الشعوب من بينهم منفيو إسرائيل . ربما قصد بالمنفيين هنا عودة الساقطين أيضا من المسيحيين (إسرائيل الجديد) ، فإن أبواب بيت الرب مفتوحة لكل حتى بالنسبة للمؤمنين الذين سقطوا أو انصرفوا .

(2) رفض جاحدى الإيمان

إن كان بيت الرب مفتوحا للجميع حتى بالنسبة للمؤمنين الساقطين ، أيا كان سقوطهم ، لكن الدخول إليه هو خلال " التوبة "

من يبقى فى جوده إنما يبقى خارج بيت الرب ، ليس تحت رعاية ، يتعرض حتما للوحوش المفترسة وسط الوعر الخارجى الذى اختاره .

يتطلع النبى إلى رافضى الإيمان ليرى مراقبيهم عميا كلهم بلا معرفة روحية (إش 56 : 10) إذ لا ينعمون بعطية الروح القدس واهب الاستنارة ، صاروا ككلاب عاجزة عن النبح ، لا تقدر أن تنطق حتى بكلمة للبنيان لخلاص القطيع ، متهاونون ومتراخون :

" حالمون مضطجعون محبو النوم " إش 56 : 10 . رعاتهم ككلاب تأكل ولا تنبح ، تهتم بالربح القبيح لا بنفع الشعب ، أى طماعون لا يفهمون الحب الرعوى الباذل (إش 56 : 11) . يسكرون ويلهون ، بل ويدعون الآخرين ليشاركوهم سكرهم وترفعهم ، حاسبين أن حياة اللهو والترف تدوم إلى الغد بل ويتوقعون ترفا أكثر مما هم عليه .

هذه هى صورة الرعاية الفاقدة للحب الإلهى الحق .

+++

إشعياء – الإصحاح السابع والخمسون

الرجاسات كعائق للخلاص

بعدما تحدث عن دعوة الله المجانية لكل العطاش كي يشربوا من ينابيع الخلاص ، وانفتاح بيت الرب للعبادة السماوية المفرحة حتى لا يشعر أحد أنه غريب أو عقيم يقدم لنا فى الإصحاحات 57 – 59 عوائق التمتع بعمل الله الخلاصى والدخول إلى بيت الرب .

فى هذا الإصحاح يركز على الرجاسات أو الزنا الروحى كعائق ، فاتحا أبواب الرجاء أمام الراجعين إليه .

(1) موت الصديق

" باد الصديق وليس أحد يضع ذلك فى قلبه ، ورجال الإحسان يضمنون وليس من يفطن بأنه من وجه الشر يضم الصديق ، يدخل السلام ، يستريحون فى مضاجعهم ، السالك باستقامة " إش 57 : 1 ، 2 .

هنا يتحدث النبى عما يحل بأولاد الله عبر الأجيال إذ يسقطون تحت ضيقات كثيرة بلا سبب ، مجروحين كمخلصهم حتى فى بيوت أحبائهم (زك 13 : 6) ، يجدون عداوة حتى من أهل بيتهم (مت 10 : 36) . لكن النبى يتحدث هنا بالأكثر عن عصر منسى الملك الذى سفك دماء بريئة كثيرة (2 مل 21 ، 2 أى 33) حتى اشتهى الأبرار الموت وحسبوه راحة مما رأوه بأعينهم . وينطبق ذلك بأكثر وضوحا فى أيام الدجال أو ضد المسيح حيث يملك إنسان الخطية فى هيكل الرب ويضطهد الكنيسة (2 تس 2 : 4 الخ) ، حتى يقال :

" من هو مثل الوحش ؟! من يستطيع أن يحاربه ؟! " رؤ 13 : 4 ،
" وأعطى أن يصنع حربا مع القديسين ويغلبهم وأعطى سلطانا على كل قبيلة ولسان وأمة .. هنا صبر القديسين وإيمانهم " رؤ 13 : 7 ، 10 .

أمام هذا المر يقال " من وجه الشر يضم الصديق " إش 57 : 2 .
(2) إدانة الأشرار

يعانى الصديقون من الأشرار ، لكن ماذا يقدر الأشرار أن يفعلوا بهم ؟ فإنه حتى الموت يحسبه الأبرار عطية إلهية خلالها يعبرون من الجو القاتم لينعموا باللقاء مع عريس نفوسهم المفرح .

أما الأشرار فيستدعيهم الرب للمحاكمة ، خلالها يتم الآتى :

أ – يحمل الأشرار عدة ألقاب من بينها :

+ أبناء السحرة : لقد رفضت الأمة كلها كلمات الأنبياء الصادقة والتجأت إلى السحر والعرافة للتعرف على المستقبل وطلب المشورة ، هذا يحسب رفضنا للانتساب لله وقبول البنوة لأبليس وأعماله الشريرة ، فحسب الأشرار بنى الساحرة الساخرة بالله (إش 57 : 4) .

+ نسل الفاسق والزانية (إش 57 : 3) : لا علاقة لهم بالحياة البارة لا من جهة الأب ولا من جهة الأم ، الأب فاسق والأم زانية ، هكذا حل الفساد بالكل : الرجال والنساء .

+ أولاد المعصية (إش 57 : 4) ، لأنهم رفضوا الطاعة لله والأستجابة لإعلاناته النبوية ووصاياه .

+ نسل الكذب (إش 57 : 5) : يعالجون أخطاءهم بالكذب والخداع ، عوض الصراحة والوضوح .

ب – انغماسهم فى عبادة الأصنام باندفاع شديد ليقيموا أصناما ويوقدوا تحت كل شجرة خضراء ويقدموا أطفالهم ذبائح بشرية يحرقونها لحساب البعل والعشتاروت (إش 57 : 5) .

هذه الصورة البشعة التى فيها أعلن البشر جحودهم لله ولأطفالهم لازالت قائمة بصورة أو أخرى حتى اليوم ، فعوض أن نشكره من أجل عطاياه (الشجر الأخضر) نقدم أحيانا قلوبنا ملتبة شرا لحساب إبليس ومملكته كوقائد نجسة مقامة فى القلوب ، وعوض رعايتنا لحياتنا الداخلية لننعم بثمار روحية للنفس والجسد ، أى ننجب أولادا وبنات فى قلوبنا تسبح الله ؛ نقدم طاقات النفس والجسد كذبائح بشرية لحساب عدو الخير .

ج - ممارستهم الشر فى الوديان (إش 57 : 6) كما على الجبال العالية (إش 57 : 7) وفى البيوت (إش 57 : 8) ...
كان الشر غير مرتبط بالمكان ولا بالظروف وإنما بالقلب الذى انحرف عن خالقه وأراد الاستقلال عنه .

د – يشبه الأشرار بإمرأة زانية لا تشبع من الشر بل توسع مضطجعا (إش 57 : 8) لتقبل الدخول فى عهد مع كل أحد ، وتتحد مع أى إنسان ، عوض اتحادها مع الله كعريس وحيد لنفسها تقيم معه عهدا أبديا . لقد أحببت الأشرار لا لإشخاصهم ، إنما لأجل الأضطجاع معها كفرصة لإشباع شهوات الجسد (إش 57 : 8)

هـ - قدمت تذكارات – رسومات أو تماثيل – لمن ترتكب معهم الشر ، عوض التوبة تفتخر بالشر . ربما عنى بالتذكارات إقامة التماثيل الوثنية كزنا روحى ، والأرتباط بالهة غريبة عوض الله بعلها ، أو لأن الزنا التحم بالوثنية فى حياتها .

و – تجملت ودهنت نفسها بالأطياب وبعثت رسلا إلى الملك ليرتكب معها الشر فتنحدر إلى الهاوية (إش 57 : 9) . ربما عنى بالملك هنا فرعون الذى أرسلوا إليه لكى ينقذهم من آشور ، فحسب الله هذا العمل زنا روحيا ، بكونه اتكالا على الذراع البشرى عوض الثقة بالله .

ارسالها للملك يشير إلى التحامها بالسلطة ، كما سيحدث فى أيام الدجال حيث يلتحم العمل الدينى المنحرف بالسلطة الزمنية ، فتصير مقاومة الكنيسة خلال التجديف مع استخدام العنف ضدها .

ز – تسعى نحو الشر باجتهاد فى أسفار كثيرة حتى يحل بها العياء دون أن تئأس ، فبسبب شهوة الشر لا تضعف ولا تمل (إش 57 : 10) .

ج - ترتكب الشر دون خوف الله رجلها ، فإنها لم تستجب لا لتهديداته ، إذ لم تحمل مخافة الرب (إش 57 : 11) ، ولا أيضا لتشجيعه إياها بإبراز أعمالها الصالحة (إش 57 : 12) .

ط - اتكأها على محبيها وعاشقيها كجموع معجبة بها ، فإذا بهم جميعا يحملون معها كما بريح أو يطيطرون بنفخة فلا يوجدون .

(3) بركات الرجوع إلى الله

مع ما ارتكبه من فساد وزنا روحى فإن الله ينتظر رجوعهم إليه بالتوبة ليهبهم البركات التالية :

أ - يرثون الأرض كطريق يعبرون به إلى الميراث الأبدى . وكما يقول الرب : " طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض " مت 5 : 5 .

" أما المتوكل على فيملك الأرض ويرث جبل قدسى . ويقول : اعدوا اعدوا ، هيئوا الطريق " إش 57 : 13 ، 14 .

إن كانت الأرض هنا تشير إلى كنعان وجبل قدس الرب تشير إلى صهيون ، فإن التوبة تهب الإنسان تمتعا بالبركات الإلهية فى هذا العالم كعربون لأورشليم السماوية .

ب - نزع العثرة ، إذ يقال : " ارفعوا المعثرة من طريق شعبى " إش 57 : 14 .

ج - سكنى الله فى وسطهم إذ يحسبون جبل الله المرتفع المقدس (إش 57 : 15) . إذ يقال : " اسكن ... مع المنسحق والمتواضع الروح لأحى روح المتواضعين ولأحى قلب المنسحقين " إش 57 : 15 .

د - إن كان الله كمؤدب يغضب على الشرير لكنه هو خالق النفوس الذى يشتهى خلاصها ورجوعها إليه ، لذا لا يخاصم إلى الأبد ولا يغضب إلى الدهر ، إنما يريد عودة الكل إليه ليشفى كل ضعف ويقود الشعب بنفسه ويرد لهم تعزياته ، إذ يقول :

" لأنى لا أخاصم إلى الأبد ولا أغضب إلى الدهر " إش 57 : 16 .

يكمل الحديث هكذا : " لأن الروح يغشى عليها أمانى والنسمات التى صنعتها " إش 57 : 16 ... الله الذى خلق النفوس البشرية لن يتركها بل يشفق ويعمل لخلاصها .

" من أجل اثم مكسبه غضبت وضربتته ،

استترت وغضبت فذهب عاصيا فى طريق قلبه ،

رأيت طريقه وسأشفيه وأقوده وارد تعزيات له ولنأخيه " إش 57 : 17 ، 18 .

يقول القديس يوحنا الذهبى الفم :

+ ان عانيت من شر فاحتملته بلطف تنزع عنك كل الشرور .

+ هكذا هو حب الله المترفق . إنه لن ينزع وجهه عن التوبة الصادقة ، فإنه حتى وإن كان الإنسان قد اندفع إلى الشر حتى النهاية عينها إذ يختار الرجوع إلى الحياة الفاضلة يقبله الله ويرحب به ويعمل كل ما هو لإصلاحه ويرده إلى حالته الأولى .

هـ - يفيض عليهم بسلام مضاعف بينما يمتلئ الأشرار اضطرابا ، إذ يقول :

" خالقا ثمر الشفتين ، سلام سلام للبعيد ولل قريب ، قال الرب وسأشفيه ، أما الأشرار فكالبحر المضطرب لأنه لا يستطيع أن يهدأ ويقذف مياهه حمأة وطننا ، ليس سلام (فرح) قال الهى للأشرار " إش 57 : 19 - 21 .

+ + +

إشعيا - الإصحاح الثامن والخمسون

الصوم المقبول ، والصوم المرفوض
بعدما تحدث عن الزنا المرتبط برفض الله والتعبد للأوثان كعائق عن التمتع بخلاص الله والسكنى فى بيت الله ينتقل إلى
شكالية العبادة كعائق آخر ، خاصة فى الصوم وحفظ السبت

(1) عبادة رياء

إن كان الألتصاق بعبدة الأوثان أثار روح الفساد والعصيان فى حياة الشعب ، فأقاموا عبادة الأصنام تحت كل شجرة
خضراء وفى كل واد وعلى الجبال والتلال علانية وارتكبوا الزنا ومارسوا الرجاسات وقدموا أطفالهم ذبائح بشرية ، لكن
ما هو أخطر أنهم خلطوا هذا الشر العظيم بعبادة الله الحى إرضاء لضمائرهم . هذا هو أخطر عدو يواجه المتدينين ويعثر
الناس فى معرفة الله : الرياء أو التستر على الشر والفساد بشكليات العبادة دون التوبة الصادقة .

الآن يطلب الله من النبى أن يتكلم علانية وبصوت عال كيقوق يفضح ضعفاتهم ويعلن عن تعدياتهم وخطاياهم ، أى يكشف
جراحاتهم حتى لا تهدأ ضمائرهم خلال عبادة مملوءة رياء . وكأنه بالطبيب الذى يكشف عن الجراحات أو الأمراض الخفية
لعلاجها فى أعماقها .

يقول الرب : " ناد بصوت عال . لا تمسك . ارفع صوتك كيقوق وأخبر شعبى بتعديهم وبيت يعقوب بخطاياهم " إش 58 :
1 .

فى العهد الجديد أرسل لنا ربنا يسوع روحه القدس " يبكى العالم على خطية " يو 16 : 8 ، أى يكشف للنفس فى أعماقها
جراحاتها الخفية ويثيرها للتوبة عوض التستر على الجراحات فتفسد الجسد وتهلكه .

عندما تحدث عن عبادة الأوثان أو الزنا أو إجازة أولادهم النار كذبائح بشرية لم يطلب الله من النبى أن ينادى بصوت عال
كما يبوق لأنها خطايا واضحة لكنه إذ يتحدث عن الرياء يطلب ذلك ، لأنها خطية خفية تتسلل إلى نفوس المتعبدین ،
يصعب على الإنسان اكتشافها . لهذا عندما وبخ الرب الزناة أو العشارين كان غالبا ما يتحدث معهم فرادى دون جرح
لمشاعرهم ، أما مع القيادات المرائية فكانت كلماته حازمة وأحاديثه علانية .

لقد تستر الشعب بالمظاهر الخارجية مثل :

(أ) الصلاة الظاهرة والمستمرة : " وإياى يطلبون يوما فيوما " إش 58 : 2 .

(ب) الأبتهاج بالمعرفة الروحية العقلانية : " ويسرون بمعرفة طرقى كأمة عملت برا ولم تترك قضاء إلهها " إش 58 :
2 ، أى يواظبون على دراسة الكتاب وحضور الاجتماعات كما لقوم عادة ، أو كما ابتهج هيرودس بسماعه يوحنا المعمدان ،
(ج) يظهرون غيرة نحو ممارسة العدل والتقوى (إش 58 : 2) .
(د) " يسرون بالتقرب إلى الله " إش 58 : 2 ، أى التظاهر بأنهم قريبون من الله ، يتعبدون له ويعرفون أحكامه وقضائه .

(2) الصوم المرفوض :

" يقولون : لماذا صمنا ولم تنتظر ؟ ذللنا أنفسنا ولم تلاحظ ؟ " إش 58 : 3 . ويجيب على هذا بالآتى :

أ - " ها أنكم فى يوم صومكم توجدون مسرة وبكل أشغالكم تسخرون " إش 58 : 3 . لقد ظن الفريسي أن الله يسر به لأنه
يصوم يومين فى الأسبوع (لو 18 : 12) ، وهؤلاء أيضا يمارسون الصوم لكنهم يصنعون كل ما يسرهم لا ما يسر الله ،
علامة ذلك أنهم على خلاف الناموس لا يعطون فرصة للعاملين عندهم للراحة ومشاركتهم أصوامهم وعبادتهم بل
يسخرونهم من أجل الطمع ومحبة الأقتناء والغنى .

الله لا يريد صومنا عن الطعام مجردا ، إنما يرافقه صوم النفس عن محبة العالم والطمع ، الأمر الذى يظهر جليا فى
معاملاتنا مع الغير . بمعنى آخر يلىق بنا أن نضبط نفوسنا مع ضبط بطوننا .

ربما عنى " بالمسرة " هنا ليس فقط النفع المادى وإنما اشباع الملذات الجسدية عوض العفة .

ب - " ها أنكم للخصومة والنزاع تصومون ، ولتضربوا بتكمة الشر . لستم تصومون كما اليوم لتسميع صوتكم فى العلاء " إش 58 : 4 .

عوض أن يدين الإنسان نفسه ويلومها يوم صومه ، يدخل فى خصومة مع الغير ويدينه ، لهذا لا يقبل الله صومه ولا يسمع صوته فى العلاء . هذا ما حدث عندما أراد آخاب ملك إسرائيل وإيزابل أن يسلبا حفل نابوت اليزرعيلى ، إذ خططت إيزابل لقتله ظلما وطلبت من الشيوخ والأشراف أن ينادوا بصوم (1 مل 21 : 9 ، 12) .

يقول الأنبا يوساب الأبج : [لا تصم بالخبز والملح وأنت تأكل لحوم الناس بالدينونة والمذمة . لا تقل إنى صائم صوما " نظيفا " وأنت متسخ بكل الذنوب] .

ج - " أمثل هذا يكون صوم اختاره ؟! يوما يذلل الإنسان فيه نفسه ، يحنى كالأسلة رأسه وبفرش تحته مسحاً ورمادا ؟! هل تسمى هذا صوما ويوما مقبولا للرب ؟! " إش 58 : 5

حسن للإنسان أن يربط الصوم بالتذلل والنسك ، لكنه إن توقف عند المظهر الخارجى فقد جوهره . كقول الرب :

" ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين ، فإنهم يغيرون وجوههم لكى يظهروا للناس صائمين . الحق أقول لكم إنهم قد استوفوا أجرهم " مت 6 : 16 .
(3) الصوم المقبول

أ - تقديم أعمال المحبة عوض طلب المسرة الذاتية (إش 58 : 3) وتسخير الغير لحسابنا . الصوم هو بذل " الأنا " وصلبها لكى يحيا المسيح " الحب " فينا ، فنحمل سمات محبته ونمارس عمله كأعضاء جسده . هذا هو الصوم فى مفهومه الإيجابى :

" أليس هذا صوما اختاره : حل قيود الشر ، فك عقد النير ، وإطلاق المسحوقين أحرار وقطع كل نير ؟! أليس أن تكسر للجائع خبزك ، وأن تدخل المساكين التائهين إلى بيتك ؟! إذا رأيت عريانا أن تكسوه ، وأن لا تتغاضى عن لحمك ؟! " إش 58 : 6 ، 7 .

ما أجمل القول " لا تتغاضى عن لحمك " ، وكأن الصائم إذ يصلب مع المسيح يدرك أن لحم الآخرين هو لحمه ، حين يحل القيود إنما يحل قيود نفسه ، حاسباً نفسه مقيدا مع المقيد (عب 13 : 3) ، مسجونا مع كل سجين ، جائعا ومسكينا وتائها وعريانا مع من يعانون منهذه الأمور . بالصوم يحب الآخرين كنفسه ، بكونهم أعضاء بعضهم لبعض ، أو أعضاء تعمل معا فى جسد واحد للرأس الواحد ربنا يسوع .

يقول القديس أغسطينوس :

+ سمعت من إشعياء : " اكسر خبزك للجائع " إش 57 : 5 ، فلا تظن أن الصوم كاف بذاته .

يضبط الصوم نفسك لكنه لا ينعش الآخرين . ضيقك لنفسك ينفعك إن كان فيه تعزية للغير . ها أنت تجدد نفسك ، انظر من الذى أعطيته ما قد حرمت نفسك عنه ؟! .. كم فقير شبع من الإفطار الذى حرمت نفسك عنه ؟!

(4) ثمار العبادة الحقنة

أ - التمتع بالنور الإلهى : " حينئذ ينفجر مثل الصبح نورك " إش 58 : 8 . إذ يمارس الإنسان الصوم بصورته الإيجابية إنما يتمتع بالاتحاد مع الأب خلال ابنه الوحيد بروحه القدس ، فيصير الله " النور الحقيقى " مشرقا فيه كنوره الخاص به . " يشرق فى الظلمة نورك ويكون ظلامك الدامس مثل الظهر " إش 58 : 10 .

صورة رائعة للصوم المرتبط بالعطاء والبذل لحساب الغير خلال اتحادنا بالله محب البشر . إن كان المساكين والمتألمون يشعرون وسط مرارتهم كمن هم فى ظلمة فإن عمل المحبة النابع عن قلب متسع يكون كإشراقة الشمس التى تبديد الظلمة .

هذا النور لا ينبع عن مظهر العطاء الخارجى إنما عن تجلى رب المجد فى القلب المحب .

وكما يقول رب المجد يسوع : " أنتم نور العالم فليضيء نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أبائكم الذى فى السموات " مت 5 : 14 ، 16 .

الصوم المرتبط بالحب النابع من القلب حيث مملكة المسيح قائمة والمترجم بالسلوك العملى يلتحم مع صوم السيد المسيح فيقدس ويقبل لدى الأب .

ب – التمتع بصحة الروح والنفس والجسد ، " وتنبت صحتك سريعا " إش 58 : 8 ؛

" وينشط عظامك فتصير كجثة ريا وكنبع مياة لا تنقطع مياهه " إش 58 : 8 ، 11 .

ج - التمتع بالله كقائد للنفس وكمصدر مجدها الداخلى وبرها : " ويسير برك أمامك ومجد الرب يجمع ساقتك " إش 58 : 8 ،

" يقودك الرب على الدوام " إش 58 : 11 .

د – استجابة الصلاة : " حينئذ تدعو فيجيب الرب ، تستغيث فيقول هاأذا " إش 58 : 9 .

ما دمنا فى أصوامنا نتطلع لا إلى الشكل الخارجى إنما إلى انفتاح القلب لله خلال قدسية الحياة واتساعه بالحب نحو البشر ، لهذا يفرح الله بمثل هذا الصوم ، معلنا ذلك خلال استجابته للصلاة .

+ أتريد أن ترفع صلاتك إلى الله ؟ ليكن لها جناحا العطاء والصوم !

هـ - حالة شبع داخلى : " ويشبع فى الجذوب (القفار) نفسك " إش 58 : 11 . بذواتنا نحن قفار وجذوب ، لكننا إذ بالحب نشبع الجياح يشبعنا الله من عندياته بالرغم من العجز التام لإمكاناتنا .

و – بناء الآخرين : " ومنك تبنى الخرب القديمة . تقيم أساسات دور فدور فيسمونك مرمم الثغرة مرجع السالك للسكنى " إش 58 : 12 .

حينما تمتد أيدينا إلى العمل بالله فى الأمور الصغيرة كالعطاء المادى أو تعزية الحزانى الخ يهبنا ما هو أعظم أن نكون علة بناء حياة الغير الداخلية كمسكن مقدس للرب .

(5) حفظ السبت

بعدما قدم صورة حية عن الصوم المقبول كشف لنا عن حفظ السبت بالمفهوم الروحى بكونه راحة روحية فى الرب ، مطالبنا إيانا بالآتى :

أ - " ان رددت عن السبت رجلك عن عمل مسرتك يوم قدسى ودعوت السبت لذة ومقدس الرب مكرما وأكرمته عن عمل طرقتك وعن إيجاد مسرتك والتكلم بكلامك " إش 58 : 13 . إن كان السبت هو يوم الرب المقدس لذا يليق فيه الكف عن إشباع المسرات أو الملذات الجسدية لنمارس الحياة القدسية .

ب – التمتع باللذة والسرور فى الرب يكرم صاحب السبت ويمجده : " فإنك حينئذ تتلذذ بالرب وأركبك على مرتفعات الأرض وأطعمك ميراث يعقوب أبيلك لأن فم الرب تكلم " وكان السبت ليس حرمانا بل شبع داخلى وفرح .

+ + +

إشعياء – الإصحاح التاسع والخمسون

عصياننا يحجب الخلاص عنا

فى الإصحاح 57 يتحدث عن الزنا الملثم بالوثنية كعائق للتمتع بعمل الله الخلاصى المجانى ، وفى الإصحاح 58 يتحدث عن الرياء كداء خطير يصيب المتدينين ، والآن فى هذا الإصحاح يتحدث عن العصيان لله كعائق .

(1) الخطايا الحاجبة وجه الرب

" ها أن يد الرب لم تقصر عن أن تخلص ، ولم تثقل أذنه عن أن تسمع ، بل آثامكم صارت فاصلة بينكم وبين إلهكم وخطاياكم سترت وجهه عنكم حتى لا يسمع " إش 59 : 1 ، 2 .

من جهة الرب فهو القدير لا تقصر يده عن أن تخلص وهو الأب المحب لا تثقل أذنه عن سماع صوت أولاده ، إنما العيب كله في الإنسان الذي صارت آثامه – عصيانه للرب – حجابا يفصل بين الله والإنسان ، أفسدت عيني الإنسان فلم يعد يرى وجه الله ، وأفسدت صوته فلم يعد لانقا كي يسمعه الرب . الله يريد أن يخلص وقادر على ذلك لكنه لا يلزمنا قسرا ، فتقف معاصينا وشرو لانا عائقا عن التمتع به وبخلاصه .
يقول القديس يوحنا الذهبي الفم :

+ مادام هذا هو السبب الذي يجعلنا بعيدين عن الله ، فلننزع هذا الحاجز البغيض الذي يحرمننا من الأقتراب منه .

يعدد النبي هنا مجموعة من الخطايا سبق أن ارتكبتها الشعب ، ولا يزال يسقط فيها كثير من البشر :

أ – القتل أو العنف : " لأن أيديكم قد تنجست بالدم وأصابعكم بالأثم " إش 59 : 3 .

ان كان " الله محبة " دستور الحنو والترفق والرأفة ، فإن الخطية دستورها البغضة والعنف والقتل ظلما . لهذا إذ أراد الله أن يقتلع مملكة الخطية من جذورها قال :

" قد سمعتم أنه قيل للقديس لا تقتل ... وأما أنا فأقول لكم ان كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم ، ومن قال لأخيه رقا يكون مستوجب المجمع ، ومن قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم " مت 5 : 21 ، 22 .

ب – الكذب : " شفاهكم تكلمت بالكذب ولسانكم يلجج بالشر " إش 59 : 3 .

إذ رفضوا الله وانتسبوا لمملكة إبليس حملوا سماتها وهي العنف ومعه الكذب والتضليل ، فقد دعى عدو الخير " كذاب وأبو الكذاب " يو 8 : 44 ، " المضل " .

فإن كان السيد المسيح هو " الحق " فعند الخير هو " الكذب " و " البطلان " الكذب هو دستور مملكة إبليس لهذا يحذرنا منه الكتاب المقدس :

" كراهة الرب شفتا كذب ، أما العاملون بالصدق فرفضوا " أم 12 : 22 .

ج - المحاباة : " ليس من يدعو بالعدل وليس من يحاكم بالحق " إش 59 : 3 . إنهم يمارسون دستور ملكهم ، ألا وهو الظلم ومحاباة الوجوه . أما ثمر أعمالهم الظالمة فهو هلاك الآخرين دون نفع لهم . يشبهون سيده تحبل لا بجنين بشري يفرح قلبها عند ولادته ، إنما تعاني الأم من آلام الحمل والطلق ، تحبل تعباً شديداً لتنجب إثماً يهلكها ويهلك منهم حولها . " قد حبلوا بتعب وولدوا إثماً " إش 59 : 4 ، وكما يقول المرتل :

" هوذا يمحض بالإثم ، حمل تعباً وولد كذباً " مز 7 : 14 .

التشبيه الثاني أنهم صاروا كأفعى تقدم بيضا لكنه يفقس ما يميت لا ما يشبع ويسند (إش 59 : 5) .

التشبيه الثالث أنهم كالعنكبوت الذي ينسج خيوطا لا تستر بل تصطاد الحشرات (إش 59 : 5 ، 6) .

في التشبيهات الثلاثة السابقة يوجد عنصر مشترك هو " الخداع " .

د – أما ما هو أخطر ، أن ما يرتكبه من آثام مذكورة هنا أو غير واردة لا يسقطون فيها عن ضعف لا إراديا إنما يجرون إليها بأنفسهم ، ويسرعون نحو ارتكابها كمن يبتهج بها (إش 59 : 7) .

(2) أثر الخطايا

أ – الحرمان من الأقتراب نحو الله " الحق " : " من أجل ذلك ابتعد الحق عنا ولم يدركنا العدل " إش 59 : 5 .

قبول الخطية قبول للبطلان ورفض للحق ، أى دخول في مملكة إبليس وتعدى على مملكة الله .

ب – الأنغماس في الظلمة :

" ننتظر نورا فإذا ظلام ، ضياء ففسير فى ظلام دامس " إش 59 : 9 .

يقول القديس أغسطينوس :

كل من يبتعد عنك أيها النور الحقيقى يتوغل فى ظلام الخطية ، وإذ تحيط به الظلمة لا يقدر أن يميز الفخاخ المنصوبة له على طول الطريق ! .

ج - فقدان البصيرة ، بلا قيادة واعية روحية : " نتلمس الحائط كعمى وكالذى بلا أعين نتجسس ، قد عثرنا فى الظهر كما فى العتمة ، فى الضباب كموتى " إش 59 : 10 .

د - صراخ بلا نفع ، يصلى الكبار بصوت عال فيزارون ، والصغار يهدرون كالحمام ، فلا يوجد لهم خلاص (إش 59 : 11) ، ليس لسبب آخر غير تمسكهم بالعصيان المستمر والمتزايد ، فصار رفيقا للإنسان ، يرتكبه عن معرفة (إش 59 : 12) .

هـ - الانحراف أو الحيدان عن الله بتمسكنا بالكذب وفقدان روح الصدق والاستقامة (إش 59 : 14 ، 15) .
(3) الحاجة إلى الله المخلص

سأ الأمر جدا ، لكن الله خالق الإنسان المهتم به ومحبوه لا يقف متفرجا . " فرأى الرب وساء فى عينيه أنه ليس عدل . فرأى أنه ليس انسان وتحير من أنه ليس شفيع ، فخلصت ذراعه لنفسه وبره هو عضده " إش 59 : 15 ، 16 .

+ بسبب هذا الانفصال أرسل الشفيع لكى ينزع الخطية عن العالم التى بها انفصلنا عنه كأعداء ، وذلك لكى نتصالح معه ونتحول من أعداء إلى أبناء .

ماذا فعل الشفيع الكفارى بنا ؟

أ - تقدم المعركة كفائد لنا ونائب عن البشرية ، يهبها النصر والغلبة ببره وسلطانه :

" فلبس البر كدرع وخوذة الخلاص على رأسه ، ولبس ثياب الانتقام كلباس ، واكتسى بالغيرة كرداء ، حسب الأعمال هكذا يجازى مبغضيه ... " إش 59 : 17 ، 18 .

عوض الخطية التى ارتبطنا بها فحطمتنا لبس بره الإلهى درعا لنا ، وعوض الهلاك الذى حل بنا ارتدى الخلاص خوذة على رأسه ، وعوض الضعف أو الأنهيار الذى سقطنا فيه قام ينتقم من إبليس وكل ملائكته ، يرد عليهم شرهم فيفقدون سلطانهم على الأمم فى المغرب أو المشرق .

يتمجد المخلص فى الشعوب والأمم إذ يهبهم نصره حتى على العدو الذى يفيض كنهز جارف لكن الرب كما بنفخة روحه القدوس يوقف فيضه (إش 59 : 19) .

ب - أقام كنيسته ، صهيون الجديدة كمرکز للتوبة (إش 59 : 20) ، أقامها مستشفى للمرضى وليس محكمة للقضاء والأدانة ، إذ يقول : " ويأتى الفادى إلى صهيون ، وإلى التائبين عن المعصية فى يعقوب يقول الرب " إش 59 : 20 .

يقول الشهيد كبريانوس :

+ اللطف (بالضعفاء والخطاة) هو الفضيلة الوحيدة التى تسعى نحو نمو الكنيسة ، الأمر الذى يطلبه الرب ثمنا لدمه .

اللطف هو اقتداء بحنان السماء نحو البشر ، يهدف نحو خلاص الجميع .

ج - إقامة عهد جديد مع البشرية (إش 59 : 21) مع تأكيد لتحقيق الوعود الإلهية .

+ + +

إشعيا - الإصحاح الستون

المدينة المنيرة

بعدما تعرض للعقبات التي تحول عن تمتع الإنسان بالخلاص (إش 57 - 59) يقدم لنا فى نهاية السفر صورة مبهجة ورائعة عن بناء مدينة الرب الجديدة (إش 60 - 66) .

هنا (إش 60) يقدم لنا صورة رائعة لكنيسة العهد الجديد كمدينة الرب صهيون المنيرة ، أيقونة السماء .

(1) مدينة منيرة

سبق أن أكد الرب أنه يقوم بنفسه بالخلاص ويفدى صهيون ، مقيما عهده الجديد معها (إش 59 : 15 - 21) . الآن إذ قدم السيد المسيح خلاصه على الصليب ، وأعلن الأب قبوله بالقيامة التي هي ليست عطية خارجية عن السيد المسيح إذ هو نفسه القيامة (يو 11 : 25) ، له سلطان أن يضع نفسه وله سلطان أن يأخذها (يو 10 : 18) ، يطلب من كنيسة العهد الجديد أن تتمتع بحياة فاديها كحياة مقامة لا موضع للظلام فيها .

" قومى استنيرى لأنه قد جاء نورك ومجد الرب أشرق عليك ، لأنه ها هي الظلمة تغطي الأرض والظلام الدامس الأمم ، أما عليك فيشرق الرب ، ومجده عليك يرى " (إش 60 : 2)

عندما عاد اليهود من السبي حسبوا أنفسهم كمن قاموا من الموت ، وتمتعوا بنور الحياة والحرية بعد سبعين عاما من المذلة كما فى ظلمة القبر .

أما كنيسة العهد الجديد فقد تمتعت بما هو أعظم ، اتحادها بالنور الحقيقى كعريس أبدى يقيم منها عروسا تحمل نوره وبهاءه ومجده . وكما قال الرب عن نفسه :

" أنا هو نور العالم " يو 8 : 12 ، دعى تلاميذه نور العالم (مت 5 : 14) ، إذ يحملونه فيهم .

ما هو سر استنارة الكنيسة ؟

قيامة الرب التي قدمت لنا الحياة الجديدة التي لن يغلبها الموت ، ولا تقدر الظلمة أن تقتنصها ولا القبر أن يحطمها . لذلك يقول الرسول :

" استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضىء لك المسيح " أف 5 : 14 .

(2) جذابة للأمم

مجد الله الداخلى فى النفس جذاب ، يقتنص النفوس لمملكته الروحية . فإنه إذ تصير كنيسة العهد الجديد مدينة منيرة تجتذب الأمم ، هذا تحقيق لما جاء فى إشعيا النبى :

" فتسير الأمم فى نورك والملوك فى ضياء إشراقك " (إش 60 : 3) .

تظهر قوة المسيح القائم من الأموات فى حياة كنيسته بتحويل الطاقات (ثروة الأمم) لحساب ملكوته ، إذ قيل لعروسه : " حينئذ تنظرين وتنيرين ويخفق قلبك ويتسع لأنه تحول إليك ثروة البحر ويأتى إليك غنى الأمم " (إش 60 : 5) ..

ما هي ثروة أو غنى الأمم التي تتقدس لحساب كنيسة المسيح ؟

أ - ثروة البحر : أى الأسماك واللؤلؤ .. لقد حسب آباء الكنيسة الأولى السيد المسيح هو :

" السمكة " ، وأما المؤمنون فهم السمك الذى يعيش مع السيد المسيح وفيه (حز 47 : 9)

ب – ذهب ولبان تحمله الجمال من مديان وشبا لا للتجارة ، لكنه يقدم هدية لصهيون . كما قدم المجوس ذهباً ولباناً ومرا للسيد المسيح علامة ملكه وأنه إله يقدم البخور ، ومتألم ، هكذا يصير أعضاء جسده ملوكاً يقدمون اللبان كبخور طيب للمخلص .

ج - تقديم ذبائح مقبولة لخدمة بيت الرب وزينته (إش 60 : 7 ، 8) ، هذه الذبائح هي حياتنا وأجسادنا وكل طاقاتنا التي نلتحم بالذبيح الفريد ، فتصير محرقات حب مرفوعة خلال الصليب . رو 12 : 1 .

د – لعل أجمل ما نقدمه لصهيون هو تمتعنا بالقدرة على الطيران كسحاب يحملنا روح الرب نحو السمويات فنعيش مع مسيحننا في أمجاده كما في بيتنا الخاص . " من هؤلاء الطائرون كسحاب وكالحمام إلى بيوتها ؟! " إش 60 : 8 .

سيأتي الرب في اليوم الأخير على سحاب (مت 24 : 30) ، يأتي محمولا على قديسيه السحاب الخفيف المنير (إش 19 : 1) .. كأن تشبيها بالسحاب يعني أننا صرنا عرشاً نحمل مسيحننا ، أما تشبيها بالحمام فيعني أننا صرنا روحيين ، لأن الروح القدس ظهر أثناء عماد الرب كحمامة . بمعنى آخر أن ارتباطنا بكنيسة الله يصيرنا عرشاً للرب حاملين ثمار روحه القدوس .

هـ - الفضة مع الذهب (إش 60 : 9) . إن كانت الفضة تشير إلى كلمة الله (مز 12 : 6) فإن الذهب يشير إلى الحياة السماوية النقية ، وكان غنى الكنيسة القادمة من الأمم يكمن في تمسكها بكلمة الله وتمتعها بالفكر السماوي . (3) مدينة مجيدة

أ – " وبنو الغريب يبنون أسوارك وملوكهم يخدمونك " إش 60 : 10 . يشير هنا إلى كورش الغريب الجنس الذي أمر بروجع المسيبيين وأعطى نعمياً التسهيلات لبناء السور .

الله في محبته يستخدم كل الطاقات الغريبة لحساب بناء ملكوته ، مقدما كل صلاح من أجل كنيسته ، وهذا هو مجد الكنيسة الحق : تقديس كل عمل !

ب – جمال الكنيسة ينصب في فتح أبوابها دائما ، " نهارا وليلا لا تغلق " إش 60 : 11 .

إنها كسفينة نوح أبوابها متسعة ، قبلت نوح وعائلته والحيوانات والطيور الخ ... من كان بداخلها خلص ، أما من رفض فهلك : " لأن الأمة والمملكة التي لا تخدمك تبديد وخرابا تخرب الأمم " إش 60 : 12 . وكما يقول الشهيد كبريانوس أنه لا خلاص خارج الكنيسة .

ج - " مجد لبنان إليك يأتي ، السرو والسنديان والشربين معا لزينة مكان مقدسى وأمجد موضع رجلى " إش 60 : 13 .

صورة رائعة لتحويل الطاقات الخاملة أو التي أسيء استخدامها لحساب هيكل الرب .

د – التمتع بسلطان روحى حيث تخضع قوات الظلمة تحت أقدام المؤمنين : " وبنو الذين قهروك يسرون إليك خاضعين ، وكل الذين أهانوك يسجدون لدى باطن قدميك ويدعونك مدينة الرب صهيون قدوس إسرائيل " إش 60 : 14 .

هـ - تمتعها بالفرح الدائم الأبدى : " عوضا عن كونك مهجورة ومبغضة بلا عابر بك أجعلك فخرا أبديا فرح دور فدور " إش 60 : 15 .

و – يهبها الله أكثر مما تطلب وفوق ما تسأل ، فإن سألت نحاسا يهبها ذهباً . وإن طلبت حديدا يهبها فضة وعوض الخشب يقدم لها نحاسا ، وبذل الحجارة حديدا ... هكذا تجد في الله شعبها الداخلى وأيضا سر غناها الروحى وشبع كل احتياجاتها .

ز – يسكن العدل فيها لذلك " لا يسمع بعد ظلم في أرضك ، ولا خراب أو سحق فى تخومك بل تسمين أسوارك خلاصا وأبوابك تسبيحا " إش 60 : 18 . كل إنسان يجد فيها خلاصه وسر تسبيحه وفرحه ، لأن الله العادل فيها يهب عدلا وبراً ، ولا يسمح بظلم أو خراب أو سحق أن يمارس فى داخلها .

ح - بكونها أيقونة السماء لا تحتاج إلى شمس أو قمر لإضاءتها " بل الرب يكون لك نورا أبديا وإلهك زينتك " إش 60 : 19 .

ط - التمتع بالحياة البارة (إش 60 : 21) .

ى - التمتع بقوة الله الفائقة : " الصغير يصير ألفا ، والحقير أمة قوية " إش 60 : 22 .

هكذا يقدم لنا هذا الإصحاح صورة حية عن كنيسة السيد المسيح بكونها المدينة المنيرة الحاملة لإشراقات السيد المسيح فيها ، تجتذب الأمم والشعوب خلال مجدها الداخلي ، وتقديس كل طاقاتهم وإمكاناتهم التي أساءوا استخدامها .

تفتح أبوابها أمام الجميع بالحب ، ويفتح الرب أبوابه أمامها ليهبها أكثر مما تطلب وفوق ما تسأل ، يهبها بره وعدله وقوته وجماله ونوره فلا يعوزها إلى شيء !

إشعياء - الإصحاح الحادى والستون

الحياة الجديدة

يقدم لنا السيد المسيح برنامجا حيا لعمله الخلاصى فقد جاء من أجل المساكين ومنكسرى القلب والمسيبين وكل النائحين ليهب عزاء ومجدا خلال التجديد الذى يهبه للمؤمنين به ليقمهم كهنة وملوكا له ويختارهم عروسا روحية مقدسة له . (1) برنامج المسيح الخلاصى

إذ دفع إلى السيد المسيح سفر إشعياء قرأ هذا الفصل :

" روح الرب على لأن الرب مسحنى لأبشر المساكين أرسلنى لأعصب منكسرى القلب لأنادى للمسيبين بالعتق وللمأسورين بالأطلاق ، لأنادى بسنة مقبولة للرب وبيوم انتقام لإلهنا لأعزى كل النائحين ، لأجعل لنانحى صهيون لأعطيهما جمالا عوضا عن الرماد ودهن فرح عوضا عن النوح ورداء تسبيح عوضا عن الروح اليائسة فيدعون أشجار البر غرس الرب للمجيد ... " " ثم طوى السفر وسلمه إلى الخادم وجلس ... فابتدأ يقول لهم : إنه اليوم قد تم هذا المكتوب فى مسامعكم " لو 4 : 17 - 21 .

يقدم لنا السيد المسيح على لسان إشعياء النبى برنامجا حيا عن عمله الخلاصى ، يعرضه فى إيجاز مع عمق ، وهو :

أ - تمتع البشرية بالروح القدس الذى يجدد الطبيعة البشرية ويغنيها ، ينزع عنها فسادها ويهبها الحياة الجديدة التى فى المسيح يسوع فتتعم بشركة الحياة الإلهية ... هذه العطية قدمت لنا فى شخص السيد المسيح القائل : " روح السيد الرب على " إش 61 : 1 .

الروح القدس هو روح الإبن ، ليس غريبا عن المسيح ، لكنه بالتجسد قبل حلوله عليه باسم الكنيسة ولحساب المؤمنين به .

+ لقد فارق الروح القدس الإنسان لأنه لم يكن قادرا على أن يحل فى الفساد ، ولكن الآن ظهر إنسان جديد بين البشر وهو وحده الذى يجعل عودة الروح ممكنة ، لأن هذا الإنسان بدون خطيئة .

ب - جاء السيد المسيح ليفرح قلوب المساكين بإنجيل خلاصه ، ويعصب منكسرى القلوب ويهب حريته للمسيبين .. حاسبا مجيئه سنة يوبيل حقيقية مقبولة لدى الرب وواهبه عزاء للنائحين (إش 61 : 2 ، لا 25 : 9 ، 40) .

ج - مجيئه " يوم انتقام لإلهنا " إش 61 : 2 . حيث حطم سلطان قوات الظلمة : إبليس وملائكته وأعماله الشريرة .

د - يقيم الرب المؤمنين كأشجار بر أو غروس الرب فى الفردوس الإلهى (إش 61 : 3) ، تحمل جمالا عوض الرماد ، ودهن فرح عوض النوح ، ورداء تسبيح عوض الروح اليائسة ، أى يسكب علينا جماله وفرحه وتسبيحه عوض المذلة والنوح واليأس !

(2) الحياة الكنسية الجديدة

رسالة السيد المسيح الذى مسحه الآب ليبشر للمساكين هى " تجديد المدن الخربة " التى صارت موحشة عبر الأجيال . لقد صارت الطبيعة البشرية فى كل الأجيال أشبه بالمدن الخربة تحتاج إلى هدم وإعادة بناء . هذا هو عمل الله الخالق الذى يقيم ملكوته فىنا ، فيحولنا بروحه القدوس من مسكن للخطية والشر إلى مقدس للرب .

يقول : " تدعون كهنة للرب " إش 61 : 6 ، ذلك لأننا إذ نحمل الطبيعة الجديدة خلال المعمودية نصير روحيا كهنة ، نرفع أيدينا للصلاة ونقدم أجسادنا ذبيحة حب مقبولة لدى الآب .
(3) الحياة الكنسية المجيدة

يهب الله كنيسته فيضا من المجد الداخلى والتعزيات السماوية والفرح الدائم .

أ – مكافأة مضاعفة عوض المتاعب القديمة : " عوضا عن خزيكم ضعفان ، وعوضا عن الخجل يبتهجون بنصيبهم ، لذلك يرثون فى أرضهم ضعفين " إش 61 : 7 .

ب – " بهجة أبدية تكون لهم " إش 61 : 7 ، ما دامت الحياة الكنسية هنا هى عربون الحياة السماوية ، تتسم بالمجد المضاعف عوض الخزي ، وبالحب عوض الأنانية .. فإنها تحمل بهذا طبيعة الفرح والبهجة ! سر فرحنا أننا نحمل مسيحننا فىنا ، ليقم ملكوته السماوى المفرح فى أعماقنا .

ج - " وأقطع لهم عهدا أبديا " إش 61 : 8 ... كثيرا ما يكرر سفر إشعياء الحديث عن هذا العهد بين الله وكنيسته المعلن فى جسد المسيح المصلوب كسر مصالحة أبدية .

د – بركة فى ثمارهم الروحية كما فى نسلهم : " ويعرف بين الأمم نسلهم ونزريتهم وسط الشعوب ، كل الذين يرونهم أنهم نسل باركه الرب " إش 61 : 9 ...

هذا النسل المبارك الذى يعرفه الأمم هم بالأكثر الذين يتتلمذون للرب خلالنا .
(4) حياة زوجية مفرحة

الحياة الكنسية الحقبة هى حياة عرس دائم مملوء فرحا وبهجة بلا انقطاع ، خلاله نرتدى ثوب الخلاص كثوب العرس الأبدى ، أو كثوب كهنوتى عام ...

" فرحا أفرح بالرب ، تبتهج نفسى بإلهى لأنه قد ألبسنى ثياب الخلاص ، كسانى رداء البر مثل عريس يتزين بعمامة (تاج) ومثل عروس تتزين بحليها " إش 61 : 10 .

لقد أوضح النبى ماذا يعنى بثياب الخلاص ، قائلا : " لأنه كما أن الأرض تخرج نباتها ، وكما أن الجنة تنبت مزروعاتها هكذا السيد الرب ينبت برا وتسبيحا أمام كل الأمم " إش 61 : 11 ، وكأن ثياب الخلاص هو بر المسيح وتسبيحه الذى يهبه لنا عطية مجانية من عندياته .

+++

إشعياء – الإصحاح الثانى والستون

الكنيسة عروس المسيح

يعلن الله عن غيرته على صهيون الجديدة ، كنيسة العهد الجديد ، بقبولها عروسا مقدسة تحمل اسما جديدا ، وتتمتع بمجد عريسها السماوى ، يحرسها بجنوده السماويين ويجعل من حياتها سر فرح وتهليل للبشرية ...

(1) اسم جديد وحياة مجيدة

" من أجل صهيون لا أسكت ومن أجل أورشليم لا أهدأ حتى يخرج برها كضيء ، وخلصها كمصباح يتقد ، فترى الأمم برك ، وكل الأمم مجدك ، وتسمين باسم جديد يعينه فم الرب " إش 62 : 1 ، 2 .

المتحدث هنا هو كلمة الله الذى تحتل الكنيسة مركز قلبه ، فقد جاء إلى العالم ليخطبها لنفسه عروسا أبدية . إن كان بوعز لم يهدأ حتى يتم أمر زواجه براعوث الأممية (را 3 : 18) ، فإن السيد المسيح لا يتوقف عن العمل الدائم حتى يضم إلى نفسه الكنيسة التى اقتناها بدمه الثمين عروسا له . إنه شمس البر الذى يشرق عليها فتحمل بره برا لها . يناجيها قائلا :

" وجملت جدا جدا فصلحت لمملكة ، وخرج لك اسم فى الأمم لجمالك لأنه كان كاملا ببهائى الذى جعلته عليك يقول السيد الرب " حز 16 : 13 ، 14 .

تمتعت كنيسة العهد الجديد بالانتساب إلى اسم المخلص كمصدر حى للتمتع ببره الفائق كسر جمال لها ، " وتكونين إكليل جمال بيد الرب ، وتاجا ملكيا بكف إلهك " إش 62 : 3 .

يدعوها الرب " إكليل جمال " و " تاجا ملوكيا " لا لتواضع على رأس الرب لأنه لا يحتاج إلى كرامة إضافية ، إنما هى فى يده ، هى عمل يديه ، مجدها من صنعه هو . يعتز بها ويبقى هو الرأس وهى جسده المجيد .

(2) عروس سماوية

أحد الأسماء الجديدة التى تمتعت بها الكنيسة هى " عروس المسيح " ، لا يقال بعد لك مهجورة ، ولا يقال بعد لأرضك موحشة ، بل تدعى حفصية وأرضك تدعى بعولة ، لأن الرب يسر بك وأرضك تصير ذات بعل ، لأنه كما يتزوج الشاب عذراء يتزوجك بنوك ، وكفرح العريس بالعروس يفرح بك إلهك " إش 62 : 4 ، 5 .

خارج المسيح المخلص كانت تدعى " مهجورة " ، و " موحشة " ، كأرض قفر بلا حياة ولا ثمر وكفتاة هجرها الكل فصارت نفسها خربة يحطمها الشعور بالعزلة والترك . الآن بالمسيح صارت عروسا أبدية سماوية لذا حملت لقبين مكرمين عوض الإسمين القديمين : " حفصية " وتعنى " مسرتى بها " و " بعولة " أى " ذات بعل " أو " متزوجة " ، صارت موضع سرور الله تعيش فى حضن عريسها السماوى .

يحب بنوها أرضها ويعملون بسرور وبهجة كأنهم متزوجون الكنيسة ، يعملون لحسابها لا كعبيد ولا كأجراء ينتظرون المكافأة وإنما كبعل يسر بعروسه يطلب راحتها وترفها .. هذه هى سمة أولاد الله الذين بفرح يكرسون قلوبهم وأفكارهم وطاقتهم للعمل فى كنيسة المسيح .

والعجيب أنه فى طقس الكنيسة القبطية توجه الأنظار أثناء قداس الزواج نحو الكنيسة كعروس المسيح ، وأيضا نحو القديسة مريم كمثال حى للتمتع بعرس داخلى مع السيد المسيح ، ففى نهاية خدمة هذا القداس يتغنى الشماسة بهذا النشيد :

" السلام للعروس المضيئة ،
أم الذى يضيئ ،

السلام للتى قبلت إليها الكلمة الكائن فى أحشائها ،

السلام للتى هى أكرم من الشاروبيم

السلام للتى ولدت لنا مخلص أنفسنا .. "

(3) حراسة مع تهليل

عانى اليهود من السبى فحسبوا أنفسهم كزوجة هجرها رجلها أو أرض صارت قفرا وها هو الرب يرددهم ليصيروا أبناء عاملين فى أرضهم (بلدهم) . لكن ربما خشى البعض من التعرض للسبى مرة أخرى ، لهذا يؤكد الرب حراسته لشعبه الراجع إليه .

" على أسوارك يا أورشليم أقمت حراسا لا يسكتون كل النهار وكل الليل على الدوام .. " إش 62 : 6 .

إن كان عدو الخير قد أسرنا في أرضه ، وحرماننا من أرض الموعد ومن التمتع بالمقدسات السماوية ، الآن بالصليب صرنا عروسا للرب ، ورجعنا كما إلى الفردوس كبيت خاص بنا أو كمدينة مقدسة نسكن فيها مع إلهنا الذي يقيم حراسة مشددة يقظة عند أسوارنا ترأقب العدو ليل نهار بلا توقف (إش 62 : 6) .

ما أروع العبارة : " يا ذاكرى الرب لا تسكتوا ، ولا تدعوه يسكت " إش 62 : 6 ، 7 .

هكذا يدعونا الرب أن نذكره على الدوام ولا نسكت فيستجيب هو أيضا ولا يسكت ، نذكره فيذكرنا ، فإنه مشتاق أن يدخلنا معه في معاملات قوية ومستمرة ، طالبا أن يثبتنا كأورشليمه المجيدة ، ويجعل منا " تسبيحة في الأرض " إش 62 : 7 . كل من يتطلع إلينا أو يتلامس معنا يتمتع بأيقونة السماء ، الفرح الداخلي الحق .

(4) تهيئة الطريق لها

تهيئة الطريق للرب في حياتنا هو تهيئة لطريقنا نحن في سمواته . هو يعبر إلى أبواب قلوبنا ليحملنا إلى أبوابه الذهبية . أقام صليبه راية حب لنا لكي نجتاز بها المعركة الروحية وننال المكافأة السماوية . لذا قيل : " أعبروا أعبروا بالأبواب ، هينوا طريق الشعب ، أعدوا أعدوا السبيل ، نقوه من الحجارة ، ارفعوا الراية للشعب . هوذا الرب قد أخبر إلى أقصى الأرض ، قولوا لابنة صهيون : هوذا مخلصك أت ها أجرته معه وجزاؤه أمامه " إش 62 : 10 ، 11 .

لقد جاء القديس يوحنا المعمدان يهيب الطريق للرب (مت 3 : 3) ، أما الذي يعمل حقيقة والذي يكافئ فهو مخلص الكنيسة .

إشعيا – الإصحاح الثالث والستون

المسيح دائن المعصرة
ظهرت الكنيسة في الإصحاح السابق كعروس تتمتع بانتسابها لله مخلصها وعريسها ، الآن يقدم لنا صورة للعريس الذي يبذل حياته من أجل عروسه .

(1) المسيح المصلوب

في يوم خراب أورشليم على يدى بابل وقف بنو آدوم شامتين بل وقاموا بدور إيجابى ضد أورشليم بإلقاء القبض على الهاربين لتسليمهم أسرى ، ودخلهم بغنائمهم للرعى فى أورشليم الخ .. لهذا يصرخ المرتل قائلا : " أذكر يارب لبنى آدوم يوم أورشليم القائلين : هدا هدا حتى إلى أساسها " مز 137 : 7 ، يشير آدوم إلى عدو الخير إبليس لهذا يظهر المخلص كقادم من آدوم بثياب حمر فى جلاله وعظمته ، غلب العدو وداسه كما فى معصرة ليهب شعبه نصره وخلاصا .

" من ذا الآتى من آدوم بثياب حمر من بصرة ؟! هذا البهى بملابسه ، المتعظم بكثرة قوته ؟! أنا المتكلم بالبر العظيم للخلاص " إش 63 : 1 .

تطلع النبى إلى المخلص وقد أرتفع على الصليب محطما آدوم الحقيقى وواها نصره وبهاء لمؤمنيه ، فصار يسأله :

من أنت ؟

من أين أنت قادم ؟

ما هو حالك ؟

ما هو عملك ؟ وما هو هدفك ؟

فمن جهة شخصه يقول : " أنا المتكلم بالبر العظيم الخلاص " إش 63 : 1 .

كثيرون يتكلمون بالبر ويجيدون الحديث عنه ، حتى بعض القادة الدينيين في ذلك الحين كانوا قادرين على التعليم بخصوص البر . أما المخلص – ربنا يسوع – فهو الوحيد القادر أن يتحدث بالبر " العظيم الخلاص " ، أى البر العملى الذى يهب خلاصا من الأعداء وتمتعا بالأبدية .
من جهة عمله يقول :

" قد دست المعصرة وحدى ومن الشعوب لم يكن معى أحد " إش 63 : 3

دخل المعركة – معركة الصليب – وحده ، وكما قال لتلاميذه :

" وتتركونى وحدى وأنا لست وحدى لأن الآب معى " يو 16 : 32 .

صنع تدبيراً رائعاً للجسد المتألم ، فقد تزين بالآلام وتمجد باللاهوت ، فإنه ليس أكثر من ذلك عذوبة وجمالاً .

(2) تسبحة عن إحسانات الرب

لم يجد النبى ما يمكن للكنيسة العروس المفدية بالدم أن تقدمه مقابل إحسانات الله الدائمة والتي تجلت فى أعرق صورها على الصليب سوى التسبيح له .

لم يقدم الله إحساناته من أجل مقابل ما ، إنما من أجل مراحمه وكثرة إحساناته ، متطلعا إلينا أننا شعبه وبنوه ، يشاركنا ضيقنا وآلامنا .

" فى كل ضيقهم تضايق وملاك حضرته (المخلص) خلصهم " إش 63 : 9 .

إنه حب عجيب ! .

(3) تذكير الله لأعماله القديمة :

إن كان الإنسان فى غياوته يأخذ موقفا مضادا من خالقه وفاديه ، فإن الله فى محبته يذكر أعماله القديمة معهم كيف رعاهم خلال موسى ، لا يزال الله هو هو فى حب يود أن يقود شعبه بنفسه !

حقا إنه يؤدبهم على موقفهم العدائى لكنه يبقى منتظرا عودتهم ، هذا ما عناه بقوله :

" ولكنهم تمردوا وأحزنوا روح قدسه فتحول لهم عدوا وهو حاربهم ، ثم ذكر الأيام القديمة الخ ... " إش 63 : 10 ، 11 .

(4) صلاة وتوبة

حين نسقط فى الشر ونقف كمعادين لله ، يبقى الله منتظرا توبتنا . فلا نبرر أخطاءنا إنما نستدر حبه وغيروته نحونا بكونه أبانا الذى يعرفنا أكثر من إبراهيم أب المؤمنين وإسرائيل نفسه (إش 63 : 16) .

" تطلع من السموات وانظر من مسكن قدسك ومجدك " إش 63 : 15 .

هكذا يشعر الخاطيء كأنه قد دنس الأرض بخطيته ورجاسته ، وكأن الله قد فارق الأرض ليبقى فى السماء حيث مقدسه ومجده ، لهذا يستدر مراحم الله ، طالبا منه أن يتطلع من سمواته الطاهرة نحو النفس الساقطة والمشتاقة إلى الرجوع إليه والتمتع بحضرته .

" أين غيرتك ؟ ... ومراحمك نحوى قد امتنعت " إش 63 : 15 . تقوم التوبة على أساس اكتشاف غيرة الرب نحو أولاده وحبه الفائق العميق " زفير أحشائك " ومراحمه نحو الإنسان مهما كانت ضعفاته . كما تقوم على إدراكه بنوته له (تث 32 : 6 ، إش 63 : 16) .

" لماذا أضللنا يارب عن طرقك ؟! قسيت قلوبنا عن مخافتك ؟! ارجع من أجل عبيدك أسباط ميراثك " إش 63 : 17 .

حين يدخل الإنسان تحت التأديب يشعر بالمرارة لذلك يقف معاتباً الله بكل وسيلة ، تارة يسأله ألا يسمح بعد أن يتركه في فساد ذهنه وقساوة قلبه ، وأخرى يسترحمه من أجل قديسيه المباركين الذين يطلبون عن البشرية (إش 63 : 17) ، وأخيراً يسأله أن يسرع بالنجدة إذ طالّت مدة التأديب . هذا ما عبر عنه النبي بالقول :

" إلى قليل امتلاك شعب قدسك ، مضايقونا داسوا مقدسك ، قد كنا منذ زمان كالذين لم تحكم عليهم ولم يدع عليهم باسمك " إش 63 : 18 ، 19 .

إذ ذاقوا مرارة السبى اشتاقوا أن يملك الرب عليهم ويدعوا اسمه عليهم حتى يخلصهم .

+ + +

إشعيا - الإصحاح الرابع والستون

تضرع من أجل مجيء المسيا يحاول بعض الدارسين أن يفسروا حديث إشعيا النبي هنا - كما في كثير من الإصحاحات - على أنه يخص مجيء السيد المسيح الثاني ليملك ألف سنة قبل حدوث الضيقة العظيمة . لكن من الواضح أن النبي يتحدث هنا عن مجيء المسيا للخلاص الذي تحقق على الصليب ، ولا يزال يتحقق عملياً في قلب كل مؤمن جائع إلى الرب .

(1) نزول المسيا من السماء

" ليتك تشق السموات وتنزل ، من حضرتك تنزلزل الجبال ، كما تشعل النار الهشيم وتجعل النار المياة تغلى لتعرف أعداءك اسمك ، لترتعد الأمم من حضرتك " إش 64 : 1 ، 2 .

من أجل خلاصنا من خطايانا وعودتنا إلى الأحضان الأبوية فالأمر يحتاج إلى شق السموات ونزول كلمة الله إلى أرضنا (إش 64 : 1) . وكما قال السيد المسيح عن نفسه :

" لأنني قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني .. أن كل من يرى الإبن ويؤمن به تكون له حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير " يو 6 : 38 - 40 .

(2) بركات انتظار المسيا

كما عاش الأنبياء مترقبين مجيء المسيا للخلاص ، نحن نبقي دوماً ننتظره ليملك لا على الأرض إنما في قلوبنا على حياتنا الداخلية كي يحملنا إلى شركة مجده ، نرى ما أعده الله لنا ، نمتلىء فرحاً ببره العامل فينا . يقول النبي : " منذ الأزل لم يسمعوا ولم يصغوا . لم تر عين إلهاً غيرك يصنع لمن ينتظره تلاقى الفرح الصانع البر .. " إش 64 : 4 ، 5 .

(3) اعتراف بالخطايا

تبقى نفوسنا دائماً متهللة من أجل أعمال الله الخلاصية الفائقة ، منتظرين دائماً التلاقى المستمر معه لينزع عار خطايانا ويعطن مجد بره فينا . أما طريق هذا اللقاء فهو :

أ - الاعتراف بالخطايا : " ها أنت سخطت إذ أخطأنا " إش 64 : 5 . يقول القديس كبريانوس : [حسنة هي التوبة ! فإن لم يكن لها موضع في قلبك فستخسر نعمة الغسل التي نلتها في المعمودية منذ أمد بعيد ، فإنه من الأفضل أن يكون لنا ثوب نصلحه عن ألا يكون لنا ثوب نرتديه ، ولكن إذ أعد لنا الثوب مرة فيجب أن يتجدد ..] .

ب - إدراكنا عجز البر الذاتي عن خلاصنا : " وقد صرنا كلنا كنجس وكثوب عدة كل أعمال برنا وقد ذبلنا كورقة وآثامنا كريح تحملنا " إش 64 : 6 .

ج - إدراك أبوة الله الحانية والغافرة للخطايا : " والآن يارب أنت أبونا ، نحن الطين وأنت جابلنا وكلنا عمل يديك . لا تسخط كل السخط .. " إش 64 : 8 ، 9 .

يقدم الله نفسه لنا أبا وعريسا وصديقا وراعيا باذلا .. لكى يجتذب كل نفس بالتوبة إليه . وتحمل كنيسة ذات السمة لكى تحتضن الكل بالحب لينعموا بخلاص الله العجيب . ففي رسالة إلى راهب ساقط يقول القديس باسيليوس الكبير :

[اننى أحزن عليك ، لأنه أى كاهن لا ينتحب عندما يسمع هذا ؟!]

أى خادم للمذبح لا يقرع صدره ؟!

أى " علمانى " لا ينكسر خاطره ؟!

أى ناسك لا يحزن ؟!

إنك حطمت الجميع دفعة واحدة ، دفعة واحدة استهنت بالكل ..

تذكر الراعى الصالح الذى يتبعك ويناجيك ..

أرجوك ألا تتردد فى أن تأتى إلى بسبب أى اعتبار أرضى ، فإننى أنتحب إذ أجد ميتى ، أألزمه وأبكيه من أجل " خراب بنت شعبي " إش 22 : 4 .

هوذا الكل مستعد للترحيب بك ! الكل يساهمون معك فى جهادك فلا تتراجع ..

إنه وقت للخلاص ، إنه زمن للأصلاح !] .

د - تذكرنا أننا شعبه المنتسب إليه (إش 64 : 9)

هـ - اعترافنا بما حل بنا من خراب ، فقد صرنا برية قاحلة ، واشتعلت النيران فى داخلنا ، وتشوهت كل المقادس الداخلية .

+ + +

إشعياء - الإصحاح الخامس والستون

السموات الجديدة والأرض الجديدة

يطالبنا الله أن نحمل شوقا نحو نزوله إلينا وحلوله فى داخلنا ، معترفين بأعماله الخلاصية الفائقة فى حياتنا مع اعترافنا بآثامنا وعجز كل بر ذاتى فىنا ، الآن يعلن دعوته للأمم بغير محاباة ليتمتع الكل بالحياة الجديدة فيه ، والتى يحرم منها الجاحدون أيا كان جنسهم .

(1) دعوة الأمم

" أصغيت إلى الذين لم يسألوا ، وجدت من الذين لم يطلبونى ، قلت هانذا لأمة لم تسم بإسمى " إش 65 : 1 .

واضح هنا أن الحديث خاص بقبول الأمم التى لم تعرف الله ولا طلبته قبلا ولا حملت إسمه ، لكنها آمنت بالمخلص فتمتعت بما حرم شعب الله نفسه بنفسه منه .

(2) جحود شعبه

" بسطت يدى طول النهار إلى شعب متمرّد سائر فى طريق غير صالح وراء أفكاره " لقد بسط الرب يديه على الصليب بالحب ليحتضن الكل ويهبهم حياة الغلبة كما بسط موسى النبى يديه أثناء المعركة ضد عماليق كرمز لعمل المسيح الخلاصى .

أما سر رفض الله شعبه فهو :

أ – تمردهم (إش 65 : 2) ، طالبين السير حسب أهوائهم الذاتية لا حسب فكر الله .

ب – كسرهم للشرعية ، وانحرافهم نحو العبادات الوثنية (إش 65 : 3 ، 4) .

ج - اتكالهم على البر الذاتي (إش 65 : 5) .

يرى القديس أغسطينوس أن جحد الإيمان بالرب هو موت ، فقد شاهدوا معجزات المخلص بأعينهم ولم يحيوا خلالها بل بقوا كما في حالة موت .

(3) اهتمامه بالبقية

إن كان الشعب ككل قد أخذ موقف الجحود لكن هناك بقية مقدسة للرب مثل التلاميذ والرسل والمريمات وزكا العشار ولاوى الخ ... هذه القلة المقدسة لا تهلك بل تكون بركة :

" هكذا قال الرب : كما أن السلاف يوجد في العنقود فيقول قائل لا تهلكه لأن فيه بركة ، هكذا أعمل لأجل عبيدي حتى لا أهلك الكل " إش 65 : 8 .

بين المقاومين وجد مختارون للرب ، عبيد له ، يطلبونه (إش 65 : 10) .

(4) مقارنة بين المؤمنين والجاحدين

أ – ظن بعض تاركى الرب أنهم ينجون بإقامة ولائم وثنية تنسم بالترف والسكر ، ولم يدركوا أنهم صاروا كغنم للذبح (إش 65 : 11 ، 12) .

ب – غالبا ما يظن الجاحدون أنهم يعيشون في ترف بلا حرمان ، لكن سرعان ما يشبع المؤمنون ويجوع الجاحدون ، يفرح الأولون ويحزن الآخرون . يتمتع المؤمنون بحياة التسبيح والتهليل الداخلى بينما ينكسر قلب الجاحدين (إش 65 : 13 – 15) .

ج - يتعرض المؤمنون للضيق لكنهم ينالون بركة الله الحق حتى وهم على الأرض فينسون متاعهم وسط تعزيات الله وبركته (إش 65 : 16) .

(5) السموات الجديدة والأرض الجديدة

يقدم لنا إشعياء النبي صورة رائعة عن عمل السيد المسيح الخالق لإقامة كنيسة العهد الجديد . لقد أقام سموات جديدة وأرضا جديدة (إش 65 : 17) ، أقام تجديدا حقيقيا للنفس (السموات) وللجسد (الأرض) ، فصارت النفس والجسد معا في انسجام ، إذ خضع كلاهما لروحه القدس .

نفرح نحن كعروس مقدسة متجددة بعريسها ، ويفرح هو بنا ، إذ يقول : " فأبتهج بأورشليم وافرح بشعبى " (إش 65 : 19) . إنها فرحة الحب المشترك !

في هذه الحياة الجديدة التى صارت لنا فى المعمودية نرى سماتها فهى :

أ – لا نعود نذكر الحياة الأولى ولا تخطر على بالنا ، لأن فيض بركة الرب تمتص كل طاقاتنا (إش 65 : 17) .

ب – حياة فرح وابتهاج دائم أبدي (إش 65 : 18 ، 19) ، لا يسمع فيها صوت بكاء أو صراخ .

- ج - ليس فيها إنسان يحمل عجز الطفولة أو الشيخوخة ، بل يتمتع الكل بالنضوج الروحي (إش 65 : 20) .
- د - مملوءة بركات : يبنون بيوتا روحيا يسكنون فيها مع الله ويغرسون كروما ليشبعوا من ثمار الروح (إش 65 : 21) .
- هـ - لا يغتصب العدو (إبليس) موضعا فيهم (إش 65 : 23) .
- و - مملوون سلاما ، لا يحل بهم الرعب (إش 65 : 13) .
- ز - يستجيب الرب صلواتهم قبلما ينطقون بها : " ويكون أنى قبلما يدعون أنا اجيب وفيما هم يتكلمون بعد أنا اسمع " إش 65 : 24 .

ح - تغيير الطبيعة بانتزاع روح العداوة والتمتع بروح الحب والوحدة حتى بين الذئب والحمل ، الأسد والبقر ، الحية والإنسان ! يأتي البشر من أمم متباينة اتسمت بعضها بالشراسة ، وصار الكل شعبا واحدا تحت قيادة روح الله القدوس .

+ + +

إشعياء - الإصحاح السادس والستون
أورشليم الجديدة

اختتم هذا السفر الأنجيلي بالكشف عن أورشليم الجديدة التي أقيمت بالسيد المسيح بعدما هدم الحرف القاتل الذي أرتبط بالمشكلات المفسدة لحياتنا الداخلية وعلاقتنا مع الله .

(1) فساد العبادة الشكلية

كثيرا ما أتكلم اليهود على وجود الهيكل في أورشليم كمصدر أمان لهم ، مهما كانت حياتهم أو علاقتهم بالرب ، لهذا يوبخهم الرب قائلا : " السموات كرسى والأرض موطن قدمي ، أين البيت الذي تبنيون لي ؟ وأين مكان راحتي ؟ " إش 66 : 1 .

إن كان الله في محبته للإنسان سمح أن يبني له بيتا ، إنما من قبيل تنازل الله ليعلن حلوله في وسطنا . الله لا تهمة الحجارة والمباني الضخمة إنما يسكن في " المسكين والمنسحق الروح والمرتع من كلامه " (راجع إش 66 : 2) .

يقول القديس أغسطينوس :

+ كنيسة الله هي السماء !
+ " نفس البار كرسى الحكمة " ... الأبرار هم الكراسي .
+ لقد صرت سماء ، فهل تخاف الأرض ؟
لذلك متى صار لك كمال المعرفة ، وصار لك الحب ، تصيح عرش الله وسماء . فإن السماء التي نتطلع إليها بأعيننا هذه ليست بثمينة جدا أمام الله . نفوسنا المقدسة هي سماء الله ، أذهان الملائكة وكل الخدام هي سماء الله .
الكنيسة هي الدخول في الصخرة كما فعل موسى النبي لكي يرى مجد الله ، هذه الصخرة هي المسيح . تثبت فيه بروح الأتضاع مع الأنسحاق فننعم بالسكنى الإلهية ، لهذا قيل :

" وإلى هذا أنظر إلى المسكين والمنسحق الروح والمرتع من كلامي " إش 66 : 2 .

يقول القديس أغسطينوس :

+ أتريد أن تكون موضعا للرب ؟ كن مسكينا بالروح ومنسحقا ومرتعدا عند كلمة الله ، فيتحقق لك ما تطلبه .

+ لترتعب قلوبنا عندما يتطلع الله إلينا فيستقر فيها .

هكذا بالأتضاع وانسحاق القلب وخشية كلماته يتطلع إلينا الرب ، ويسكن فينا ، ويحولنا إلى سمواته المقدسة . أما من ينشغل بالشكليات في العبادة بروح الرياء والكبرياء ، فإن الله لا يجد فيه راحة وتصير عبادته مكرهة أمامه . يشتم الله الذبائح رائحة قتل ونجاسة وعبادة أوثان ، إذ يقول : " من يذبح ثورا فهو قاتل إنسان . من يذبح شاة فهو ناجر كلب ، من يصعد تقدمة يصعد دم خنزير . من أحرق لبانا فهو مبارك وثنا " إش 66 : 3 .

وكما يقول الحكيم : " ذبيحة الأشرار مكرهة الرب وصلاة المستقيمين مرضاته " أم 15 : 8 .

أما ثمرة الأنشغال في الشكليات بلا روح فهو الدخول في متاعب بلا تعزية ، وعوض أن يطمئنهم الرب قائلا لكل واحد منهم :

" لا تخف لأنى معك ، دعوتك باسمك أنت لى " إش 43 : 1 ، يقول لهم :

" هم اختاروا طرقهم وبمكرهاتهم سرت أنفسهم ، فأنا أيضا أختار مصائبهم ، ومخاوفهم أجلبها عليهم ، من أجل أنى دعوت فلم يكن مجيب ، تكلمت فلم يسمعوا بل عملوا القبيح فى عيني وأختاروا ما لم أسر به " إش 66 : 3 ، 4 .

هم يختارون الطريق الشرير ويسرون بالرجاسات المكروهة من الرب ، لذلك يتركهم الله لأختيارهم فيسقطون تحت مصائب يجلبها عليهم .. هي ثمرة طبيعية لتصرفاتهم . يرفضون دعوته ولا يسمعون لصوته لذلك لا يسمع إلى صلواتهم ولا يستجيب إلى طلباتهم . يشربون من ذات الكأس التى ملأوها .
(2) التمييز بين الشكليين والجادين فى العبادة

" اسمعوا كلام الرب أيها المرتعدون من كلامه . قال إخوتكم الذين ابغضوكم وطردوكم من أجل اسمى : ليتمجد الرب ، فيظهر لفرحكم ، وأما هم فيخزون " إش 66 : 5 .

هذا ما حدث عندما أبغض اليهود تلاميذ الرب ورسله وطردوهم تحت ستار الغيرة على مجد الله والناموس الموسوى ، لكن فرح التلاميذ وخزى المضطهدون . أشار السيد المسيح إلى ذلك بقوله : " سيخرجونكم من المجمع بل تأتى ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله " يو 16 : 2 .

أما ثمر الضيق الذى حل على رجال كنيسة العهد الجديد من إخوتهم فهو خراب الهيكل على يدى تيطس ، إذ قيل هنا : " صوت ضجيج من المدينة ، صوت من الهيكل ، صوت الرب مجازيا أعداءه " إش 66 : 6 .

انتهت المقاومة بخراب الهيكل ، أما هيكل كنيسة العهد الجديد فأقيم فى كل قلب يحمل ثمرا هو تجلى رب المجد يسوع فى الحياة الداخلية لكل مؤمن . يحدثنا النبى هنا عن نشأة هذه الكنيسة بطريقة فائقة ، قائلا : " قيل أن يأخذها الطلق ولدت ، قبل أن يأتى عليها المخاض ولدت ذكرا . من سمع مثل هذا ؟ من رأى مثل هذا ؟ " إش 66 : 7 ، 8 .

ما هذه الولادة إلا تجلى السيد المسيح فى حياة المؤمنين .

لقد ولدت الكنيسة الجامعة بقوة كما فى يوم واحد ، إذ قيل : " هل تمخض بلاد فى يوم واحد ؟ أو تولد أمة دفعة واحدة ؟ " إش 66 : 8 ، إذ ولدت فى يوم العنصرة ونمت بسرعة عجيبة .

(3) أورشليم الجديدة

يختم النبى حديثه بالكشف عن أورشليم الجديدة :

أ – تفيض فرحا وبهجة على محبيها النائحين عليها بسبب ما تعانیه من ضيقات (إش 66 : 10) . من الخارج آلام ومتاعب ، ومن الداخل فيض فرح حتى على الغير .

ب – تفيض شعبا للجميع ، تهب الأطفال تعزيات كما من لبن ثدييها ، بينما تهب الكبار من عصير ولذة درة مجدها .

ج - فيض سلام كنهر ، ومجد عظيم كسيل جارف : " لأنه هكذا قال الرب : هأنذا أدير عليها سلاما كنهر ومجد الأمم كسيل جارف فترضعون ، وعلى الأيدي تحملون ، وعلى الركبتين تدللون " إش 66 : 12 .

د – مصدر تعزية إلهية : " كإنسان تعزية أمه هكذا أعزيكم أنا وفي أورشليم تعزون " إش 66 : 13 .

الله أب يهب الكنسة أمومة ليس فقط نحو المؤمنين أبنائها وإنما نحو كل بشر ، تحمل قلبا متسعا كعريسها لتفيض حبا على الجميع .

" فترون وتفرح قلوبكم وتزهو عظامكم كالعشب وتعرف يد الرب عند عبيده ويحنق على أعدائه " إش 66 : 14 .

هذه هي تعزيتنا في الرب خلال كنيسته : يهبنا فرح القلب السماوى واتساعه بالحب وينمى إيماننا (العظام بكونها مركز الجسم) .

هـ - مصدر للطهارة : " الذين يقدسون ويطهرون أنفسهم فى الجنات وراء واحد فى الوسط آكلين لحم الخنزير والرجس والجرذ يفتنون معا يقول الرب " إش 66 : 17

" كما يحضر بنو إسرائيل تقدمة فى إناء طاهر إلى بيت الرب " إش 66 : 20 .

و – تعلن مجد الله وسط الأمم (إش 66 : 18 – 20) .

ز – مدينة كهوتية : " واتخذ أيضا منهم كهنة ولاويين قال الرب " إش 66 : 21 .

ح – مدينة أبدية : " هكذا يثبت نسلكم واسمكم " إش 66 : 22 .

ط – شعب دائم التعبد : " ويكون من هلال إلى هلال ومن سبت إلى سبت أن كل ذى جسد يأتى ليسجد أمامى قال الرب " إش 66 : 23 .

ى – ليس بينهم هالك ... إنما يتحقق الهلاك خارج أورشليم الحقيقية : " ويخرجون ويرون جثث الناس الذين عصوا على ، لأن دودهم لا يموت ونارهم لا تطفأ ، ويكونون رذالة لكل ذى جسد " إش 66 : 24 .

+ + +